القـــوة التـــي تحتاجهـــا حتـــى لا تستسلـــم

لا تستسلم أبدًا!

جون بيفيــــر

مؤلف كتاب «*فخ إبليس*» الذى حقق أعلى المبيعات

مرفق مع هذا الكتاب منهاج «لا تستسلم أبدًا !»

صديقي العزيز،

كيف تكمل رحلتك مع المسيح أهم بكثير من كيف تبدأها. فأنت مثل العدّاء في السباق. عليك أن تضع نفسك في المكانة التي فيها تنهي السباق بنجاح. لكن في كثيرٍ من الأحيان، نرى إخوةً وأخوات لنا وقد تعثروا في الطريق، واستسلموا نتيجة الصعوبات والتجارب. إلا أن الخبر السار هو أن نعمة الله تمدنا بما نحتاجه لنتغلب على الظروف الصعبة. إن رسالة كتاب «لا تستسلم أبدًا!» تقدم لك القوة التي تحتاجها لتنهي السباق بنجاح.

إنني أؤمن أن الكنيسة في يومنا هذا تحتاج إلى هذه الرسالة النبوية الممسوحة. منذ أن انطلقت هذه الرسالة شهد الكثيرون من الرجال والسيدات انتفاضةً في حياة إيمانهم وفي حريتهم وفي قدرتهم على التحمُّل. لقد اختبرت نهضةً في روحي منذ أن كلَّمني الربُّ بهذه الحقائق.

لقد وضع الربُّ على قلبي أن أشاركك وكلَّ القادةِ حول العالم بهذه الرسالة. أرجو أن تقبلها مع كل محبتي. عندما تستخدم الأسطوانة المضغوطة المرفقة بهذه المجموعة، وباستخدامك لبعض الملفات من على شبكة الإنترنت، أرجو أن تشارك كلَّ هذه الأمور مع من تعرفهم. وإنني أثق أنها ستدفعك للأمام وتدفع من تقودهم أيضًا لحياةٍ هادفةٍ خاضعةٍ لإرادة الله، وتتمتع بسلطانه.

صديقي، لقد غيَّرت هذه الرسالةُ حياتي وخدمتي تغييرًا جذريًّا. أصلِّي أن تغيِّرك أنت أيضًا، وأن تخضع لما أراد اللهُ أن يقوله لك من خلال هذه الصفحات. أود أن أسمع منك كيف أن هذه الرسالة أثرت فيك وفي من يعملون معك في الخدمة.

أخوك في المسيح

جون بيفير
Johnbevere@ymail.com

تابع جون بيفير على
فيس بوك و تويتر

لا
تستسلم أبدًا!

القـــــوة التـــــي تحتاجهـــــا حتـــــى لا تستسلـــــم

جون بيفير

لا تستسلم أبدًا!

المـطبعة : شركة الطباعة المصرية - ت: ٢٤٦١٠٠٥٨٩ (٢٠٢+)
الطبعـة : العربية الأولى ٢٠١٢
حقوق الطبع محفوظة

P.T.W. للترجمة والنشر
تليفاكس : ٢٦٦٧٨٩٨٠ ـ ٢٦٦٧٨٩٨١ - (٢٠٢ +)

E-mail: ptw@ptwegypt.com
www.ptwegypt.com

رقـم الإيـــــداع :

ISBN:

تنويه:
عزيزنا القارئ.
الأعداد الكتابية المستخدمة في هذا الكتاب مقتبسة من ترجمات عديدة وهي الترجمة العربية المبسطة. فان دايك. كتاب الحياة.

Relentless by John Bevere © 2012 Messenger International
www.MessengerInternational.org
Originally published in English
Additional resources in Arabic are available for free download at :
www.CloudLibrary.org
To contact the author : JohnBevere@ymail.com
Printed in Egypt.

شاهد النسخ الإلكترونية باللغة العربية من هذا المنهج. كما يمكنك تحميل المزيد من على شبكة الإنترنت:
www.MessengerInternational.org
www.CloudLibrary.org
للتواصل مع المؤلف: JohnBevere@ymail.com
تمت الطباعة بجمهورية مصر العربية.

أهدي هذا الكتاب إلى ابني...

أليس بيفير

لقد تغلبت على العقبات وسموت فوق الشدائد.
إن حياتك شهادة لنعمة الله ودعمه.
أنا فخور جداً بك وسأحبك إلى الأبد.

المحتويات

المقدمة ٧

١: المثابرة ١١

٢: السيادة على الحياة ٢١

٣: مصدر القوة ٣٣

٤: سلوك المسيح ٤٣

٥: متميز ٥٥

٦: يرى أو يدخل ٧٣

٧: من يقف وراء الصعوبات؟ ٩١

٨: سلِّح نفسك ١٠٩

٩: القوة في النعمة ١٢٥

١٠: سلاح التواضع ١٣٣

١١: اطرح الأثقال ١٤٧

١٢: كن متَّزنًا ويقظًا ١٦٥

١٣: قاوم إبليس ١٧٩

١٤: أعلى أشكال المقاومة ١٩٥

١٥: الصلاة المثابرة ٢٠٩

١٦: اركض لتنال الجعالة ٢٢٣

١٧: بالقرب من الملك ٢٣٧

١٨: لا تستسلم أبدًا! ٢٤٥

الملحق أ: صلاة لتصبح ابنًا لله ٢٥٥

الملحق ب: لماذا أستخدم ترجمات مختلفة كثيرة للكتاب المقدس؟ ٢٥٧

أسئلة للمناقشة ٢٥٩

الإصدارات السابقة ٢٦٠

المقدمة

بعد فترة قليلة من بداية كتابتي لهذا الكتاب، شاهدت فيلمًا سينمائيًّا يوضح بشدة أهمية الصمود. هذا الفيلم بعنوان "الشبح والظلام The Ghost and the Darkness" قام بتمثيله النجوم مايكل دوجلاس وفال كيلمر، وهو مبني على واقعة حدثت في نهاية القرن التاسع عشر.

باترسون (فال كيلمر)، ذلك المهندس الذكي بالجيش الذي عُيِّن للإشراف على بناء جسر لخط السكة الحديد ليمتد فوق نهر تسافو في أوغندا، وذلك لتوسيع شبكة السكك الحديدية في شرق أفريقيا. كان المشروع متأخرًا عن الميعاد المحدَّد لإنهائه عندما وصل باترسون إلى الموقع.

في خلال فترةٍ قصيرةٍ، أدرك باترسون سبب التأخير في إنجاز المشروع؛ فقد كان العمال يختفون تحت ستار الليل ولا يعودون مرة أخرى للموقع. علم باترسون أن أسدين مفترسين يتسللان للموقع. لإيقاف هجومهم الشرس على الموقع، وضع بعض الفخاخ وجرَّب عدة أساليب أخرى، لكن الأسدين المفترسين استطاعا أن يفلتا من كل محاولات باترسون للتخلُّص منهما.

عندما وصل عدد الضحايا إلى ثلاثين شخص، لجأ باترسون إلى الصياد الأمريكي تشارلز رمنجتون (مايكل دوجلاس) ذي الصيت الشائع في قدرته على تعقُّب واصطياد الفريسة. إلا أن الأسدين استمرا في القتل، حتى ظن العمال أن الأسدين ما هما إلا أرواح شريرة لا يمكن السيطرة عليها. لكن عندما وصل عدد القتلى إلى ١٣٠، استحوذ الرعبُ والارتباكُ على العمال في الموقع، فبدأوا يقفزون في قطار ينزلق في النهر، ولم يستطع باترسون ورمنجتون أن يفعلا شيئًا إلا أن يقفا ويلاحظا العمال وهم يسقطون في النهر.

تلك اللحظة الحاسمة حرّكت مشاعري؛ فالصورةُ واضحةٌ. على جانب، ترى الملاحظ الجبان الذي يغذي الخوف في نفوس العمال ويحرِّضهم على ترك العمل الذي قبلوا إتمامه. على الجانب الآخر، ترى ثلاثة رجال – رمنجتون، باترسون، ومساعد باترسون – يرفضون التهرب من مسؤولياتهم، ولم يسمحوا للخوف أن يدفعهم للهزيمة.

لقد تُرك هؤلاء الرجال الثلاثة لمواجهة تلك الحيوانات الماكرة بمفردهم. لقد حاولوا قتل هذه الحيوانات عدة مرات لكنهم فشلوا؛ فالمهمة التي أمامهم مرعبة وخطيرة جدًّا، قد تكلفهم حياتهم. لكنهم كانوا مصممين على مواجهة كل المقاومات وإنهاء الجسر. لقد كانوا مسلحين بأسلحةٍ ساميةٍ. كان باترسون ورمنجتون مقتنعين أنهما يستطيعا أن ينتصرا في النهاية إذا كانا يتمتعان بالحكمة، اليقظة والتصميم ويرفضان الاستسلام.

لا يتَّسع المجال هنا لمزيد من التفاصيل، لكن أريد أن تعرفوا: أنه قد تمت السيطرة على الأسود آكلة البشر، لكن هذه النصرة كان لها ثمن كبير.

رجع العمال إلى موقع العمل، وبدأوا يرون المهندس باترسون مدير المشروع بطريقةٍ مختلفةٍ؛ فهو ذلك الشخص الذي واجه الموتَ ولم يستسلم. لقد أصبحت لباترسون مكانة عالية في نفوس كل العمال، فشحذوا طاقاتهم وحققوا المشروع الذي بدا مستحيلًا. وهكذا تم بناء الجسر في التوقيت المحدد!

كسفراء عن الله، نحن نبني جسورًا. هذه الجسور لا تعبر أنهارًا، لكنها تمتد لتملأ الفجوة بين السماء والأرض. بنفس الطريقة، نحن نواجه مقاومات؛ فالكتاب المقدس يصور خصمَنا كأسدٍ يريد أن يبتلعنا. لكن، كما كان الحال مع أسود تسافو، فإن عدوَّنا لا يمتلك أسلحةً... لكننا نمتلك. هو منزوع السلاح، أما نحن فمُسلَّحون بأقوى سلاح متاح لكل إنسانٍ.

هناك حروب علينا أن ننتصر فيها ومعاقل وحصون علينا أن نقتحمها. إن المقاومة التي نواجهها رهيبةٌ؛ فهي ثمر عمل العدو في أهل العالم الذي أثَّر بشدة في أذهانهم وتصرفاتهم. لكننا "في المسيح" نحن أقوى من أية مواجهةٍ.

لذلك، فإننا نواجه سؤالًا مهمًّا: "هل سنكون مثل العمال الخائفين الذين هربوا من المحنة لينقذوا أنفسهم، أم سنكون شجعان وصامدين في سعينا لتحقيق وصايا اللّٰه؟" إنني أثق أن هذه الرسالة ستخلق في داخلك موقفًا ثابتًا وصامدًا. هذه الحقائق لن تمنحك الثباتَ والصمودَ فحسب، لكنها ستزوِّدك بالقوة لتواجه كلَّ الصعوبات، بل وتصنع فرقًا إيجابيًّا.

من المهم أن تتأسَّس على هذه المعرفة. في العهد القديم ذهب شعبُ اللّٰه إلى السبي وهلك بسبب عدم المعرفة. (انظر إشعياء ٥: ١٣، هوشع ٤: ٦). إن المعرفة الصحيحة تضع أساسًا للإيمان، وبالإيمان، نحن نصنع تغييرًا في العالم المظلم الهالك.

لقد خُلقتَ لتصنع فرقًا في دائرة تأثيرك في هذا العالم. في روح الصلاة، دعونا نقبل هذا التحدِّي ونحن نكتشف تلك القوة الثابتة التي تجعلنا لا نستسلم أبدًا!

١

المثـــابـــــرة

«نِهايَةُ أمرٍ خَيرٌ مِنْ بَدايَتِهِ» (الجامعة ٧: ٨).

أتخيل أنك تتفق معي على هذه المقولة:

" كيف "ننهي" أهم بكثير من كيف "نبتدئ" ".

في الحياة المسيحية، نسمع صوتَ الرب يقول لنا في النهاية:

"نعمَّا، أيها العبد الصالح والأمين!"

ما هو شعورنا عندما نستمع لتلك الكلمات الخاصة من ذلك الشخص الذي يعني الكثير بالنسبة لنا؟

لننهي حياتنا نهايةً جيدةً، علينا أن نعيشها بطريقةٍ جيدةٍ. هذا يعني أنه ينبغي أن نعرف كيف لا نستسلم أبدًا؛ إنها تعني أن نتمتع بروح المثابرة.

كيف يمكن أن نكتسب هذه الصفة؟ وما أهميتها؟

أشعر بالقلق تجاه كثيرين من المؤمنين الذين لن ينتهوا نهايةً جيدةً. لقد أعطاني اللّهُ رؤيا مرتبطةً بهدف هذا الكتاب [١].

كان رجل يجدِّف في قارب عكس تيار مياه النهر. كان يصارع ليتقدم في مواجهة تيار المياه – عمل شاق، لكنه يستطيع القيام به.

---

(١) شاركت بهذه الرؤيا في كتاب سابق: (A Heart Ablaze Nashville: Thomas Nelson, 1999) أشعر الآن بدافعٍ لأكرر هذه القصة مضيفًا عليها بعض التفاصيل.

كانت السفن الأخرى، الأكبر حجمًا وأكثر ترفًا، حاملةً مجموعات من الناس، تمر عليه في طريقها في اتجاه تيار مياه النهر. كان الناس على تلك السفن يضحكون، يسكرون ويشعرون بالراحة. بين الحين والآخر، كانوا ينظرون إلى ذلك الرجل الذي يصارع ضد التيار ويستهزئون به. كان يصارع في كل خطوة ليتقدم قليلًا، بينما هم لم يبذلوا إلا أقل القليل وكانوا يتقدمون بسرعةٍ شديدةٍ.

بعد فترةٍ، شعر الرجلُ بالإرهاق من السير ضد التيار، نتيجةً لشعوره بالتعب والإحباط، رفع المجدافين داخل القارب... للحظات، استمر في التحرك عكس التيار بسبب قوة الدفع، بعدها توقف تمامًا. ثم حدث شيء فظيع ومحزن؛ بالرغم من أن قاربه كان في اتجاه ضد التيار، إلا أنه بدأ ينجرف في اتجاه تيار المياه.

لاحظ الرجلُ سفينةً كبيرةً، كانت هذه السفينة تختلف عن باقي السفن؛ فقد كانت تتجه ضد التيار مثله، لكنها أصبحت تسير في اتجاه التيار. كانت هذه السفينة تحمل أشخاصًا يضحكون ويتسامرون ويشعرون بالراحة أيضًا. بما أن اتجاه تلك السفينة كان عكس التيار، فقد قرر الرجل أن ينضم لتلك السفينة. هذه السفينة كانت تختلف عن باقي السفن التي تسير في اتجاه التيار أن مقدمتها في اتجاه عكس التيار، لكن للأسف، استمرت السفينة في الانزلاق مع التيار.

ما هو تفسير تلك الرؤيا؟ النهر يمثل العالم، أما القارب فهو يشير إلى الجسد البشري الذي نعيش به في وسط العالم. الرجل الذي يوجد في القارب يشير للمؤمن، أما المجدافان فيرمزان لنعمة الله المتفاضلة. تصور لنا السفينة التي تحمل مجموعةً من الناس هؤلاء الذين يجمعهم هدفٌ واحدٌ، أما تيار المياه، فيمثل تيارَ العالم الذي يخضع لسلطان الشرير.

من خلال مجاديف النعمة، يستطيع الإنسانُ أن يقاوم التيار ويسير عكس الاتجاه نحو مقصده لامتداد ملكوت الله. أما القوة الجسدية فترمز للإيمان. للأسف، تضعف القوة الجسدية ويزداد الإرهاق بسبب الحرب. يفقد الإنسانُ الثقةَ في قدرته على المواجهة، مع أنه يقدر عليها. وهكذا، يفقد كلَّ ما لديه من طاقة، ويستسلم.

بمجرد أن يتوقف الإنسان عن التجديف، يستمر القارب في السير في نفس الاتجاه (ضد التيار) لفترة قصيرة تحت تأثير قوة الدفع. وهنا، يبدأ الخداع، فيستمر ذلك الإنسان في رؤية بعض الثمر في حياته، إلا أن هذا الثمر لا يدفع حياته للتقدم، ويظن أنه يستطيع أن يعيش حياةً سهلةً دون يقظةٍ واحتراسٍ.

أخيرًا، يتوقف القاربُ، ثم يبدأ في الانجراف للخلف (في اتجاه التيار) - في البداية، ينجرف ببطء، ثم بعد ذلك ينجرف بنفس سرعة تيار المياه.

هنا، نرى تفسير الرؤيا: بينما ترى القارب متَّجهًا ضد التيار، إلا أنه يبدأ في الانجراف للخلف مع التيار. هذا الشخص له صورة المؤمن - يعرف لغة، ترانيم وسلوكيات أبناء الملكوت - لكن في واقع الأمر، هو يتشبه بأسلوب العالم. (انظر ١ يو ٢: ١٥ -١٧).

أخيرًا، يرى هذا الشخصُ قاربًا آخر يحمل مجموعةً من "المؤمنين" الذين يشبهونه، هم أيضًا يعتبرون أنفسهم جزءًا من الكنيسة؛ لأن وجهة القارب الذي يستقلونه عكس التيار. فهم يعرفون نفس اللغة، الترانيم والسلوكيات. إلا أنهم يعيشون في راحةٍ لأنهم اختاروا أن يعيشوا حياةً "مسيحيةً" بلا ثمر، ويخضعون لسلطان ذلك الشرير الذي يتحكم في المجرى.

هؤلاء الذين يستقلون هذه السفينة "سفينة المؤمنين" لا يتعرضون لأي اضطهاد أو سخريةٍ من غير المؤمنين. في الواقع، هم يجدون قبولًا ـ بل وترحيبًا ـ من أصحاب التأثير في العالم. لم يعودوا يسعون ويركضون للأمام كما حثَّ الرسول بولس المؤمنين

"أسعَى نَحوَ الغَرَضِ لأجلِ جَعالَةِ دَعوَةِ اللهِ العُليَا في المَسيحِ يَسوعَ"

(في ٣: ١٤).

في الواقع، هؤلاء المؤمنون المنجرفون ليست لديهم أية مقاومةٍ لطرق واتّجاهات العالم.

تأمل في ما كتبه الرسول يوحنا:**"لأنَّ كُلَّ ما في العالَمِ: شَهوةَ الجَسَدِ، وشَهوةَ العُيونِ، وتعَظُّمَ المعيشَةِ، ليس مِنَ الآبِ بل مِنَ العالَمِ. والعالَمُ يَمْضي وشَهوتُهُ، وأمَّا الذي يَصنَعُ مَشيئَةَ اللهِ فيَثبُتُ إلَى الأبدِ" (١ يو ٢: ١٦ -١٧).** الرؤيا التي وصفتها لكم تصوِّر ثلاثة أنواع من الناس: المؤمن، غير المؤمن والمخدوع.

= غير المؤمن يسير مع التيار، مدفوع برغبته الجارفة في الأخذ، الأخذ، الأخذ.
= المؤمن الذي يسعى، يسعى، يسعى في جهاد الإيمان لامتداد ملكوت الله.
= المخدوع يُخفي دوافعَه للأخذ من خلال "المظهر المسيحي" والاستخدام الخطأ للكلمة.

أعلم أن هذه الرؤيا تعبِّر عن نظرةٍ مزعجةٍ للمؤمنين اليوم، لكنها تدفعنا لنسأل أنفسنا هذا السؤال الحيوي: "أي نوع من هؤلاء الأشخاص أُشبِه؟" فكلمة الله تحثنا على أن...

"جَرِّبوا أنفُسَكُمْ، هل أنتُمْ فِي الإيمَانِ؟ امتَحِنُوا أنفُسَكُمْ. أَمْ لستُمْ تعرِفونَ أنفُسَكُمْ، أنَّ يَسوعَ المَسيحَ هو فيكُم، إنْ لمْ تَكُونُوا مَرفُوضِينَ؟" (٢ كو ١٣: ٥)

بعد أن رأيت تلك الرؤيا وفهمت تفسيرها، ازدادت قناعتي بالكلمات التي كُتبت للعبرانيين:

"لِذلِكَ قَوِّمُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخَلَّعَةَ، وَاصْنَعُوا لأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَيْ لاَ يَعْتَسِفَ الأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى... مُلاَحِظِينَ لِئَلاَّ يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ. لِئَلاَّ يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُون" (عب ١٢: ١٢ -١٣، ١٥)

كأولادٍ لله، يجب أن تكون لدينا الرغبة الأكيدة أن ننهي مشوارَ حياتنا نهايةً جيدةً ليتمجَّد اللهُ. لا نريد أن نسقط من نعمة الله بسبب شعورنا بالتعب، فنرفع المجاديف، وهكذا ننزلق مع تيار العالم.

نحتاج أن ننظر إلى كلمة الله لنرى أمثلةً لأشخاصٍ أنهوا فصولًا من حياتهم نهايةً جيدةً أو سيئةً. تأمل في سليمان ابن داود، الذي كان أحكم وأغنى وأقوى شخص في وقته، لقد حقق أعلى ما يمكن أن يحققه إنسانٌ في جيله، أو في أجيالٍ كثيرةٍ من قبله ومن بعده، ولم يستطع أحدٌ أن ينافسه أو حتى يقترب من إنجازاته. إلا أنه بدأ يترنح – توقف عن استخدام المجاديف – في الفترة الأخيرة من مُلكه، مبتعدًا عن الله ومتحالفًا مع العالم.

بدأ سليمانُ يواجه صراعًا عنيفًا من جهة ولائه وطاعته لله، وذلك بسبب زوجاته الأجنبيات. لقد فضَّل أن يحتفظ بسلامه مع زوجاته على أن يكون مخلصًا وأمينًا لله، فبنى مذابح للآلهة الغريبة بل وعبدها.

لقد عانى سليمانُ الكثيرَ بسبب حماقته، إلا أن أبناءَه وأحفادَه تحمَّلوا معاناةً أشد قسوة. لقد اؤتمن على مملكةٍ قويةٍ خلفًا لوالده داود الذي عاش بالأمانة. اتسعت المملكة وازدادت قوتها في بداية مُلكه، إلا أنها بدأت تعاني وانقسمت واضمحلت؛ لأن سليمان فشل في أن ينهي حياته نهايةً جيدةً. بالتأكيد، كان تاريخ شعب إسرائيل سيتغير لو أن سليمان استمر ثابتًا مثابرًا.

دعونا نقارن سليمان بيوحنا المعمدان. كان يوحنا متمسكًا بالحق، يعلنه بكل شجاعةٍ. لقد واجه المِحَن تمامًا مثل سليمان، إلا أن الموقف كان أشد قسوة، فلم يكن الأمرُ يتعلق بزوجةٍ أو عدة زوجات، لكنه يتعلق بملك اليهودية الذي رفض ذلك الحقَّ الذي أعلنه يوحنا المعمدان. لقد واجه سليمانُ صراعًا في بيته، لكن يوحنا واجه السجنَ، التعذيبَ والموتَ. وبرغم مواجهته لهذه الظروف القاسية، إلا أنه ظل صامدًا ومتمسكًا بالحق في حياته وفي الرسالة التي أعلنها. النتيجة: الميراث الذي تركه يوحنا أعظم بكثير من ذلك الميراث الذي تركه سليمان.

لم يكن يوحنا وسليمان هما الوحيدين اللذين واجها الصعاب ـ تيار مياه جارفةٍ- لكن أنا وأنت أيضًا نواجه صعابًا؛ فنحن في حربٍ ضاريةٍ ضد مبادئ العالم الزائفة والضحلة. هذه المبادئ لها تأثير قوي، كما أنها خادعة ومغرية. من السهل أن نشعر بالوهن، ونكفَّ عن المثابرة ونستسلم، وهكذا ننزلق في تلك التيارات السائدة. الطريق الوحيد الذي يجعلنا ننهي حياتنا نهايةً قويةً هو الثبات في الإيمان. إذا فعلنا ذلك، سنصبح مصدر تهديدٍ حقيقي لمملكة إبليس.

روحٌ ثابتةٌ

ما معنى أن تكون ثابتًا؟ إنه موقف تكون فيه مصمِّمًا، مثابرًا وصلبًا، أي أنك لا تلين. أن تلين هذا معناه أن تكون متساهلًا، متراخيًا ومذعنًا. أود أن أقدم لك بعضَ المرادفات

التي تساعدك في فهم معنى الثبات: "صخر، صرامة، قسوة، عدم قبول الحلول الوسط، التماسك وحتى العِنْد". بعض المعاني الأخرى تشمل الجَلد ـ ذا الفكر الموحَّد ـ المثابر ـ الصارم.

قد تنطبق المثابرة على الأمور الشريرة، لكننا سنركز هنا على المعنى الإيجابي والروحي للكلمة، لذلك، سنصف بها ذلك الشخصَ الجريء، الشجاع، المصمِّم على إتمام المهمة التي يعملها. فالقلب الثابت يُنهي مهمته بكفاءةٍ، سواء كانت مهمةً طويلة المدى أو قصيرة. لن يستطيع أحدٌ أن يعوقه عن تحقيق هدفه.

ونحن نتأمل في ذلك المؤمن الثابت، فإننا نتحدث عن شخصٍ لا يتغير إيمانُه، رجاؤه وطاعته لله مهما واجهته صعاب. المؤمن الثابت ملتزمٌ بأن ينهي حياته نهايةً جيدةً، هو ذلك الشخص الذي نستطيع أن نطلق عليه أنه صانعٌ للتاريخ، وهو ذلك الشخص الذي عندما يصل إلى السماء سيستمع لكلمات السيد: "نعمَّا".

هذه الكلمات التي تصف الشخصَ الثابت لم تصف شخصًا أعرفه جيدًا – أنا! في الواقع، لم تكن لديَّ روحٌ ثابتةٌ صامدةٌ، بل روح مستسلمة. بصراحة، كنت ذلك الشخص الذي لا ينهي الأمورَ بل ينسحب.

لقد أصبحت ابنًا لله في عام ١٩٧٩م، أثناء دراستي في جامعة بوردو. عند عودتي إلى البيت في نهاية هذا الفصل الدراسي، كنت ممتلئًا بالحماس، فشاركت والديَّ ـ اللذين ينتميان للطائفة الكاثوليكية ـ بإيماني. كان تعليق والدتي: "جون! هل هذه إحدى البدع التي تعتنقها؟ أنا متأكدة أنك ستتخلَّى عنها كما فعلت مع كل ما سبقها".

لم يكن تعليقها اللاذع أو اتهامها هو الذي جرحني، لكن ما آلمني بحق هو أن كل ما قالته كان حقيقيًّا؛ فلديَّ تاريخ طويل في عدم إنهاء أي شيء أبدأه.

لقد تذكرت مشاعر الخوف التي تملَّكتني كرجلٍ أعزب، أنني لن أستطيع أن أستمر في علاقةٍ زوجيةٍ، لذلك توقفت عن مواعدة أية فتاة بعد تجربتين أو ثلاث. كانت كل منهن متميزةً وجذابةً وتتمتع بشخصيةٍ عظيمةٍ، إلا أنني كنت أشعر بالملل من كلٍّ منهن. كان رجال آخرون يتواعدون مع نفس هؤلاء الفتيات ويستمرون في علاقتهم معهن. أما أنا فكنت أتواعد مع فتاة ثم أتركها وأذهب إلى أخرى وهكذا.

لم أكن ذلك الشخص الذي لا يستمر في أية علاقةٍ فحسب، فقد بدأت دروس بيانو وأردت أن أتوقف بعد ستة أشهر لكن والديَّ رفضا. أخيرًا، فقدت حماسي تمامًا حتى أن مدرِّستي توسلت لوالديَّ أن يوافقا على أن أتوقف عن تعلُّم البيانو. لقد كنت التلميذ الوحيد طوال فترة عملها في التدريس الذي شجعته على التوقُّف!

المؤمن الثابت يصنع تاريخًا بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

بعد ذلك، طلبت من والديَّ أن أتعلَّم العزفَ على الجيتار. اشترينا جيتار غالي الثمن، بدأتُ أداعب أوتارَه بحماسٍ، لكن هذا الأمر لم يستمر سوى عدة أشهر.

أما في الرياضة، فقد كنت أسير على ذات المنوال؛ لعبت البيسبول، وتوقفت بعد سنتين. ثم بدأت لعب كرة السلة، التي لم أستمر فيها إلا لمدة موسم واحد. ثم بدأت في الجولف، ولم أستمر سوى موسمًا واحدًا، وهكذا أيضًا بعض الألعاب الأخرى.

وهكذا، تستمر القائمة؛ أبدأ في قراءة كتب، لكني لا أنهي أيًّا منها. أثناء دراستي في المرحلة الثانوية، أنهيت قراءةَ كتابٍ واحدٍ لنهايته لأرنست هيمنجواي بعنوان "The Old Man and the Sea"؛ ذلك لأنه كان واجبًا مدرسيًّا، وبما أن الكتاب قصير، وأنا أستمتع بالصيد، لذا، استطعت أن أنهي هذا الكتاب.

لقد اشتركت في عدة نوادٍ، لكني تركتها بعد فترةٍ قصيرةٍ، اتَّجهت لبعضِ الأنشطة الخاصة واشتريت أجهزةً غالية الثمن، ليكون مكانها الدولاب أو لتصدأ من قلة الاستخدام، بعد بدايةٍ حماسيةٍ قويةٍ.

باختصار، كانت أمي مُحقَّةً فيما قالته. هل سأكرر ذلك النمط المتكرر؟ هل سأترك المسيحية، إيماني بالله، هذا الأمر الذي أحْمس له بشدة؟ هل سينتهي الأمر بالكتاب المقدس وكتب التفسير أن توضَع في الدولاب بجانب كل أنشطتي الكثيرة التي لم تدُم طويلًا؟

الخبر السار هو أن ذلك الشخص الذي لم يستمر في أي شيء من قبل، استمر في تبعيته للرب يسوع لمدة ثلاثين عامًا. نعم، فأنا اليوم أكثر التزامًا، أكثر من ذلك الوقت الذي أتيت فيه إلى البيت وأعلنت لوالديَّ عن إيماني. اللّه الآب القدير، غيَّرني من شخصٍ كان من السهل عليه أن يتنازل أو يمل. فمن خلال عمل الروح القدس في حياتي، خلق فيَّ تلك الفضيلة، الروح الثابتة الصامدة.

إذا كنت قد قبلت الربَّ يسوع كمخلِّصٍ شخصي لك، تستطيع أن تتمتع بهذه الفضيلة، ويمكنك أن تنمِّيها فيك. الهدف من هذا الكتاب هو أن يوضِّح لك كيف يمكنك أن تطوِّر وتعزِّز هذه الإمكانيةَ التي متَّعك بها اللّهُ لتعيش حياةً متميزةً وتُنهي حياتَك نهايةً قويةً.

الله يكتب عنك كتابًا

هل تدرك من أنت ومدى احتياج الله لك لتحقق خطته لامتداد ملكوته؟ هل تشعر بالدهشة عندما تعرف أن الآب السماوي يعتمد عليك؟

لقد رسم اللّهُ خطةً خاصةً لحياتك! فحياتك واضحة أمامه بكل تفاصيلها من قبل أن تولد. لقد أعلن المرنمُ ذلك في المزمور:

"رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا" (مز ١٣٩: ١٦).

لقد كتب اللّهُ عنك كتابًا قبل أن يفكر والداك في إنجابك. فالحكّام والمشاهير ليسوا هم فقط الذين لديهم كتب تسطر حياتَهم، فإن حياتك مسجَّلةٌ أيضًا لدى الله. لكن الأمر المدهش هو أن الله رسم وكتب كلَّ تفاصيل حياتك من قبل أن تولَد.

قد تعترض وتقول: "لا يا جون، أنت لا تعرف مقدارَ الصدمات، الجروح وحتى الانكسارات التي مرت بحياتي بسبب اختياراتي السيئة. هل الله هو مصدر هذه الأمور؟"

بالتأكيد لا! الله خطط حياتنا، لكنه منحنا الحريةَ للاختيار. اختياراتنا الصحيحة تجعلنا نسير في خطته الرائعة لحياتنا. أما الاختيارات الخطأ تغيِّر اتجاهاتنا، لكن التوبة الحقيقية تعيد سفينةَ حياتنا إلى مسارها الصحيح.

قد تسأل سؤالًا آخر: "لكني مررتُ بأمورٍ فظيعةٍ ليست بسبب اختيارات خطأ. لقد أعطتني الحياةُ بعضَ الصفعات القاسية. هل خطط اللّهُ هذه الإحباطات والصعوبات؟"

بالتأكيد لا! نحن نعيش في عالم ساقط. لذلك قال يسوع إننا سنتعرض لبعض المِحَن وسنعاني من بعض الظروف القاسية. لكن الخبر السار هو أن الله بحسب علمه السابق بالشر الذي يباغتنا، بحكمةٍ، صمَّم طرقًا نستطيع من خلالها أن ننجو من هذه الصعاب، بل ونخرج منها منتصرين. لهذا، تعلن كلمة الله أن المؤمنين الثابتين الصامدين "منتصرون".

يحثنا كاتب الرسالة للعبرانيين **قائلا: "لِذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْل، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا"** (عب١٢: ١).

لقد وضع اللّهُ أمام كلٍّ من أبنائه سباقًا، ولكي تستطيع أن تنهي هذا السباقَ نهايةً جيدةً، عليك أن تجْرِي السباقَ بجَلَدٍ وثباتٍ. لا تستطيع أن تنهي السباقَ إلا بهذه

الشروط. يجب أن تنتبه أن هذه هي السمة الوحيدة التي ركز عليها هذا الجزء. لم يقل الكاتب: "لنركض فَرِحين" أو "لنركض متمسِّكين بهدف" أو "لنركض جادِّين". أرجو ألا تفهمني فهمًا خاطئًا. فالجدِّية، الفرح والتركيز على الهدف كلها سمات مهمة لمسيرتنا في الحياة المسيحية، لكن السمة المحورية هي الثبات أو الجَلَد.

الروح الثابتة تستطيع أن تُنهي فصلًا من فصول الحياة نهايةً جيدةً؛ فهي تحتاج إلى مثابرةٍ وجَلَدٍ. أحب هذه الرسالة التي قدمها لنا اللّهُ في (عب ١٢: ١): "نطرح، نركض- لا نتوقف في السباق!". إتمام السعي ليس مهمًّا لنا فقط، لكنه مهمٌّ أيضًا للذين دعينا لنؤثِّر فيهم. من المهم ألا تتراجع أو تنحرف عن المسار الذي رسمه لك اللّهُ. إذا كنت ابنًا للّه، فلديك ما يجعلك تستطيع أن تحقق هذا في حياتك. لقد سكن فيك الروحُ القدس الذي يمكِّنك من تحقيق ذلك. إذا ثابرت، يمكنك أن تشترك مع الرسول بولس في هذا الإعلان:

"قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ" (٢ تي ٤: ٧).

قد تواجه صعوبات في زواجك، أسرتك، عملك، مدرستك، أحوالك المالية، صحتك، أو أي مجال آخر. قد تبدو حالتك بلا أملٍ ولا يوجد لها حلٌّ. قد تكون مرعبةً، مخيفةً بل ومُجهِدةً، وقد تدفعك للاستسلام والانجراف مع التيار. لكن هناك خبرًا سارًّا أريد أن أقدمه لك: **"عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللّهِ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللّهِ" (مر ١٠: ٢٧).**

مهما كانت ظروفك صعبة، فهي ليست مستحيلة في يدي اللّه. لكن الرب يسوع وضع شرطًا لتحقيق هذا الوعد: **"إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ" (مر ٩: ٢٣).**

فالمؤمن الثابت يستطيع أن يرى غيرَ المستطاع وقد أصبح مستطاعًا. الرسالة هنا هي: "عندما تواجهك أمور أكثر من إمكاناتك البشرية، تستطيع أن ترى المستحيلَ وقد أصبح غيرَ مستحيلٍ، من خلال قوةِ اللّه ونعمته".

أريد أن تسمعني! اللّه يريد أن يطلق عليك **"عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ" (لو ١: ١٥).** لا يوجد شخصٌ يريد نجاحك أكثر من شخص اللّه. لقد أعدَّ لك حياةً مميَّزةً، ويتوقَّع لك نهايةً عظيمةً من خلالها تترك للأجيال ميراثًا من الإيمان، العظمة بل والقيمة. إن الأمر متوقف على كونك تعيش مؤمنًا ثابتًا.

قد تقول: "أنا لست من الشخصيات المثابرة؛ فلم أستطع أن أستمر فيما أفعل في الأوقات الصعبة".

إذا كان هذا الوصف ينطبق عليك، فهناك أخبار سارة أخرى؛ فالماضي غير مهم. من خلال نعمة الله، تستطيع ألا تكرر الماضي. تستطيع أن تصبح مؤمنًا ثابتًا وتنهي حياتك نهايةً جيدةً. فستكون محظوظًا لترى تلك النهاية السعيدة، سواء كانت هذه النهاية السعيدة في مرحلةٍ محدَّدةٍ من حياتك أو طوال عمرك. فأنت عظيمٌ في نظر الله، هذا هو وعده لك.

الله يبغي نجاحك أكثر من أي شخص آخر.

لن نتجنَّب الصعاب التي تنتظرنا لو تبعنا طريقَ الرب يسوع. حتى وإن كانت الظروف صعبة، لكن المكافأة الأبدية أعظم بكثير من كل الصعوبات. فأنت أمام عدو رديء يريد أن يُفسِد تأثيرَك ويحطِّم إرسالية الله لك. فمن وجهة نظر إبليس، أنت تمثل مصدرًا للتهديد، ويريد أن يوقفك أو إن استطاع يتخلص منك. لكن، من خلال عمل المسيح على الصليب، أصبح إبليس عدوًّا مهزومًا. ففي كل حرب نواجهه فيها، هو مهزوم، لكن علينا أن نحارب إبليسَ وجنودَه بثباتٍ. وسنتعلم معًا كيف نفعل ذلك.

لقد خُلقت لتكون مؤثرًا في هذا العالم. أنت ابن الملك، من حقك أن تملك. مفاتيح الملكوت في جيبك! في سيرك مع الله وتسليمك له وثباتك في الإيمان، سيمنحك اللهُ القوةَ والإرشادَ لتستطيع أن تتغلب على التيارات القوية التي تندفع ضدك.

قبل أن نبدأ ، دعونا نسلم هذه الرحلة معًا لله:

"يارب، أثناء قراءتي لهذا الكتاب، دع روحَك القدوس يعلِّمني وينير ذهني. لا أريد أن أضيف بعضَ المعلومات لذهني، لكني أريد أن أدرك عظمةَ وغنَى دعوتك لحياتي. أريد أن أعرف مقدارَ القوة التي وضعتها داخلي التي من خلالها أستطيع أن أحقِّق غرضَك في حياتي.

من خلال هذه الرسالة، أعطني القوةَ لأقف راسخًا في الحق، وثابتًا في الحرب ضد أية صعوبات قد تعيق مسيرتي في تحقيق إرادتك. نعم يارب، لقد أوجدتني لمثل هذا الوقت، لذلك، أرجوك أن تستخدم هذا الكتابَ ليُعِدَّني لإتمام الخطة الإلهية، وأمجِّد اسمَك وأفرِّح قلبك. أطلب كلَّ هذا في اسم المسيح، آمين".

٢

السيادة على الحياة

"لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ" (عبرانيين ٤: ١٢)

إذا كنا نقرأ كلمة الله بحق، لكانت حياتنا تختلف اختلافًا تامًّا عمَّا نحن عليه.

أحيانًا، نجد أن التحدِّي الأكبر لنا هو أن نؤمن بكلمة الله بغضِّ النظر عن ظروفنا الحالية. إذا كانت ظروفك غير مُرضية الآن، تدرك أنها قد تتغير – فظروفك الحالية ليست ثابتةً. الشيء الوحيد الذي لا يتغير أبدًا هو كلمة الله. لقد أعلن الربُّ يسوع هذا الأمرَ عندما قال: **"اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَيَزُولُ"** (لو ٢١: ٣٣). انظر إلى أعلى وتأمل الشمسَ التي تعطي نورًا ودفئًا لكوكبنا منذ خلق الإنسان. قد تزول الشمسُ، لكن كلمة الله ستظل ثابتةً للأبد!

لقد أعلن الآبُ القديرُ: **"لأَنِّي أَنَا سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لأُجْرِيَهَا" (إر١: ١٢).** لاحظ أن الله مستعدٌّ، فمتى سيحقق هذا؟ الإجابة ببساطة، عندما يؤمن به شخصٌ ما. يؤكد الربُّ يسوعُ هذا فيقول: «**إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ**» **(مر ٩: ٢٣).** إذًا ليكن لنا ذلك الإيمان الثابت!

نحن نملك في هذه الحياة

في الفصول الأربعة القادمة، سنكتشف معًا حقيقةً مهمةً جدًّا ـ هذه الحقيقة أساسية ليستطيع المؤمن الثابت أن ينهي حياته نهايةً جيدةً. قد يبدو لك أننا ابتعدنا عن الموضوع الأساسي، لكني أؤكد لك أن هذا الأمر أساسي في الموضوع الذي نناقشه في هذا الكتاب.

تعالوا بنا ندرس واحدًا من أقوى الأجزاء الكتابية في العهد الجديد: **"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ!"** (رو ٥: ١٧).

تأمل في هذه العبارة: "يملكون في الحياة". في بعض الترجمات ذُكِرَت: "يملكون كملوكٍ في الحياة". أنا وأنت، كأولادٍ لله، سنملك كملوكٍ وملكات! هذه الكلمات ليست كلمات إنسان؛ لأننا نعلم أن
"كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ" (٢ تي ٣: ١٦).
إذًا، الله يعلن أننا سنملك في الحياة من خلال قوة ابنه. لاحظ أنه لم يقل: "ستملكون في السماء في يومٍ ما" أو: "ستملكون في الحياة الأخرى". لقد صرَّح بكل وضوح أننا سنملك في الحياة كملوكٍ من خلال الرب يسوع.

أحد المعاني الموجودة في القاموس لكلمة ملك أو ملكة هو "الشخص الأسمى والبارز في مجال معين". أما كلمة "حكم" فتعني "سيطرة أو واسع التأثير". لتحكم كملك يعني أن تكون لك السيادة الأسمى أو التأثير في مجالٍ معيَّن. في أي المجالات نتفوق ونكون الأعظم؟ في مجال الحياة.

بلغةٍ أخرى، لا يجب أن تتفوق الحياةُ علينا، لكننا نحن نتسلط عليها. هذا ما تعلنه كلمةُ الله، إنه وعد الله لك! أشجِّعك أن تُرسِّخ هذه الحقيقة في قلبك.

تقرير غيابي

تأمل ذلك التقرير المتداوَل لمدة سنين، عندما تصبح الظروف صعبةً، غير سارة، مؤذيةً، وربما مهدِّدةً للحياة، يلجأ الكثيرون لتأكيد ذلك التقرير المتداوَل أن "الله هو المسيطر". هذا التقرير يتضمن أنه لا داعي أن تواجه مثل هذه المقاومات؛ لأن الله المحب الصالح سيحوِّل الصعاب للخير لأنه هو المتحكم في كل شيء.

الحقيقة، أن الله أعطانا السلطانَ. لكن قبل أن تترك هذا الكتاب، أرجوك أن تسمعني. في سفر المزامير نقرأ: **"السَّمَاوَاتُ سَمَاوَاتٌ لِلرَّبِّ، أَمَّا الأَرْضُ فَأَعْطَاهَا**

لِبَنِي آدَمَ" (مز ١١٥: ١٦). هذه الآية تقول ما معناه: "سماء السماوات للّه، لكنه أعطانا المسؤولية تجاه الأرض".

من المسؤول عن الأرض؟ نحن!

اللّه القدير، هو الخالق صاحب السلطان المطلق، قرر أن يعطي الإنسانَ السيطرةَ على الأرض ويدير كلَّ ما عليها. إذا احتفظ اللّهُ بالتحكم في الأرض كما يعتقد الكثيرون، لكان تدخل ومنع آدمَ من تناول الثمرة وقال له بلغةِ الاستغراب: "ماذا هذا الذي سوف تفعله يا آدم؟ ألا تدرك نتائج ما تنوي أن تفعله؟ ألا تدرك الألمَ، المعاناةَ، المرضَ، الجوعَ، الفقرَ، القتلَ، السرقةَ، وأشياءً أخرى ستعاني منها أنت وسلالتك؟ كذلك الزلازل، البراكين، الفيضانات، الأوبئة، المجاعات، والخطر من الحيوانات المفترسة؟ ألا تعلم أن كلَّ الخليقة ستصبح في حالة فساد؟ والأهم من كل هذا أني سوف أضطر لإرسال ابني الوحيد ليموت لفداء البشر ويرجعهم في علاقة معي مرةً أخرى؟"

عندما يعطي اللّهُ شيئًا، فالعطية هي هبة دائمة.

لكن اللّه لم يمنع آدمَ؛ لأنه سلَّم الأرضَ للإنسان. فاللّه الخالق المحب لا يعطي السلطةَ ثم يسحبها إذا أُسِيء استخدامها. عندما يعطي اللّهُ شيئًا، فهو هدية دائمة. هذه الحقيقة تؤكدها كلمة اللّه:

"لأَنَّ هِبَاتِ اللّهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ" (رو ١١: ٢٩).

قد يعترض البعض ويقول: **"لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا"** (مز ٢٤: ١). للرد، أود أن أقصَّ شيئًا حدث لأسرتي على مر السنوات الماضية.

منذ فترةٍ طويلةٍ، كانت شيرلي ـ والدة ليزا، والتي تبلغ من العمر سبعين عامًا ـ تعيش بمفردها في شقة في فلوريدا، دون أي أقرباء بالقرب منها. كنا أنا وليزا نريدها أن تعيش بالقرب منا. ذات يومٍ، لاحظت ليزا بعضَ البيوت معروضةً للبيع، هذه البيوت كانت تبعد عن بيتنا حوالي خمس دقائق. كانت بيوتًا مميَّزةً! لذلك عرضنا على شيرلي أن نشتري أحدَ هذه البيوت لها لتعيش فيه، وقدمنا لها الدعوة لتنضم لفريق الخدمة الذي نخدم فيه. قبلت شيرلي هذا العرض بفرح. اشترينا البيت، وقررنا أن تدفع أمنا

إيجارًا شهريًّا رمزيًّا للبيت لتشعر باستقلاليتها. لقد انتقلت إلى هذا البيت منذ حوالي سنتين، وهي تعيش حياةً مزدهرةً في كل جوانب الحياة.

كمالكٍ للبيت، لم أفرض عليها كيفية تزيين البيت أو تنظيم الأثاث. لم أتدخل في إدارة شؤون البيت واختيار نوع الطعام الذي تُعدَّه للإفطار، الغداء والعشاء، أو شراء أي نوع من الأجهزة. والدة ليزا مسؤولة عن الأعمال اليومية. أنا أمتلك هذا البيت ـ لديَّ صك الملكية ـ لكني قمت بتأجيره لها، وهي عليها أن تدير شؤون هذا البيت بحسب رغبتها. قد تطلب مساعدتي في أي وقت، لكني لن أتدخل إلا بناءً على طلبها.

بنفس المنطق، الأرض ملكٌ لله، فهو المالك، لكنه أعطى الإنسانَ حقَّ الانتفاع والإدارة. اسمع لما قاله الله عندما خلق الإنسان وأعطاه البيتَ "أي الأرض":

"فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ»"
(تك ١: ٢٧ – ٢٨).

لقد أعطانا اللهُ أن نكون مسؤولين عن بيته الكبير. أنا وأنت، وليس الله، المسؤولون عن إدارة الحياة على هذا الكوكب.

مالكٌ جديدٌ للأرض

المشكلة الضخمة التي نشأت في جنة عدن عندما دخل الشيطانُ جسدَ الحيةِ وأقنع آدمَ وحواءَ أن يعصيا كلامَ الله ويقتنعا بكذبه. منذ تلك اللحظة، سلَّم الإنسانُ نفسَه لمالكٍ جديدٍ اسمه إبليس. فنحن لم نسلم أنفسنا فقط، لكننا سلمنا كلَّ ما كان تحت سلطاننا. كل الجنس البشري، وأيضًا كل الخليقة أصبحت تحت سيطرة ذلك المضل الشرير.

تغيير المالك يفسر تلك المواجهة التي حدثت بعد ذلك بين المسيح وإبليس. أخذ إبليسُ الربَّ يسوعَ إلى جبلٍ عالٍ وأراه جميعَ ممالك العالم، حيث قدم إبليسُ هذا العرضَ: **"لَكَ أُعْطِي هذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ، لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ"**
(لو ٤: ٦).

متى امتلك إبليسُ كلَّ ممالك العالم؟ لقد حدث هذا منذ آلاف السنين، في جنة عدن، عندما تنازل آدمُ عن حقه الذي أعطاه له اللهُ في إدارة الأرض. ما أعطاه اللهُ للإنسان أصبح بين يدي عدوِّه الرئيسي. لهذا يخبرنا الكتاب: **"نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ اللهِ، وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ"** (١ يو ٥: ١٩).

خطة الاسترداد

كانت رغبة الله هي أن يعيد للإنسان ما فقده آدمُ. لم يستطع أن يأتي كإلهٍ وينتزع تلك الملكيةَ؛ لأن الله لا يتراجع عن السلطان الذي منحه، وقد أضاعه آدمُ. الإنسان أضاع ذلك الحقَّ، لذلك يجب أن يعيده إنسانٌ. لذلك، أتى يسوعُ كابن الإنسان. لقد وُلِد من امرأةٍ، ليكون ١٠٠٪ إنسان. وولد من الروح القدس، ليكون ١٠٠٪ إله (دون لعنة الخطية). إلا أن الكتاب أعلن لنا أنه **"لكِنَّهُ (يسوع) أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ"** (**في ٢: ٧**). مع كونه الله، لكنه قرر أن يتنازل عن إلوهيته ويأتي إلى الأرض في صورة إنسانٍ. لقد عاش الربُّ يسوع في طاعةٍ كاملةٍ للآب. بسبب طهارته، واستعداده لتحمُّل الصليب، استطاع أن يشتري بدمه ما فقده آدمُ. قال الكتاب إنه **"إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ"** (**كو ٢: ١٥**). الآن، هو فقط يمتلك السلطانَ الذي فقده آدمُ. لهذا أعلن بوضوح قائلًا: **"دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ"** (**مت ٢٨ : ١٨**).

في يومٍ ما، سيأتي ويعيد الخليقةَ كما كانت قبل سقوط آدم في جنة عدن، كما كتب الرسول بولس: **"إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ، لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ"** (**رو ٨: ٢٠ – ٢١**).

مازالت الخليقة تخضع للضعف؛ فأجسادنا تكبر وتموت، مازال العالمُ فاسدًا، الحيوانات المفترسة مازالت تأكل الحيوانات الضعيفة، الحيَّات مازالت تمتلك سمًّا مميتًا، الأمراض مازالت تنتشر، الفيضانات والزوابع مازالت تُحطِّم. لكن يوجد شخص واحد له السلطان على كل هذه الأمور ويستطيع أن يغيِّرها؛ إنه المسيح.

من هو المسيح؟

هنا يأتي السؤال: "من هو المسيح؟" وهنا يأتي الذهنُ غير المجدَّد فيسرق من أولاد الله فهمهم عن من هو المسيح. عندما يفكر الكثيرون في المسيح، يفكرون في يسوع المسيح. كما لو كان "المسيح" هو الاسم الثاني ليسوع. هؤلاء الأعزاء لا يفكرون إلا في ملكنا العظيم الذي مات على الصليب وقام من بين الأموات. نعم اسم المسيح يشير إلى الرب والمخلِّص، لكن دعونا نرى ماذا تقول كلمة الله.

يقول الرسول بولس: **"وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا" (١كو ١٢: ٢٧).**

نحن المؤمنون، معًا، نُكوِّن جسدَ المسيح. كلٌّ منا عضو حيوي في هذا الجسد. الرب يسوع هو الرأس، ونحن الجسد. الأمر في غاية البساطة!

كفردٍ، لديك رأس أعلى كتفيك، لكنك تمتلك أيضًا يدين، قدمين، ركبتين، ذراعين، صدر، معدة، كبد، كليتين وهكذا. عندما تفكر في نفسك، هل تفكر في رأسك كجزء مستقل أو مختلف عن باقي الجسد؟ هل تطلق على رأسك اسمًا وعلى باقي الجسد اسمًا آخر؟ بالطبع لا؛ فأنت كيان واحد ـ شخص واحد. إذا رأيتم رأسي، ستشيرون إليها أنها جون بيفير. إذا اختفت رأسي للحظة ورأيتم جسدي، ستشيرون إليه أيضًا على أنه جون بيفير. فرأسي وجسدي واحد.

بنفس الطريقة، رأس المسيح وجسده واحد. المسيح هو الرأس ونحن الأعضاء المختلفة في جسده، لذلك فنحن واحد في المسيح. لذلك عندما تقرأ "المسيح" في العهد الجديد، تحتاج أن ترى ليس فقط الذي مات على الصليب، بل نفسك أيضًا. لذلك يعلن الكتاب: **"وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي" (يو ١٧: ٢٠ -٢١)**

أنت والمسيح واحد!

أريد أن أؤكد لك تلك الحقيقة المثيرة، لذلك سأضع أمامك بعض الآيات التي تؤكد تلك الحقيقة، حتى لا تظن أني استخدمت آيةً أو اثنتين خارج القرينة. أدعوك أن تقرأ هذه الآيات بعناية، وتتأمل فيها وكأنك تقرأها لأول مرة:

- كتب بطرس أننا "مولودين ثانية بكلمة الله"، وأصبحنا "شركاء الطبيعة الإلهية".
- (١ بط ١: ٢٣، ٢ بط ١: ٤). كلمة "طبيعة" تعني السمات الأساسية والفطرية الموجودة في الإنسان. فأنت وأنا نمتلك نفسَ السمات الأساسية مثل يسوع، تمامًا مثل يدي التي تمتلك نفسَ التركيبة الجينية للرأس لأني شخص واحد وليس اثنين.
- كتب الرسول يوحنا: **"من ملئه نحن جميعًا أخذنا" (يو ١: ١٦).** هل تعرف كلمة "ملء". إذا ربطنا ما قاله بطرس بما قاله يوحنا، نجد أننا نتمتع بملء السمات الأساسية للمسيح والتركيبة الجينية الروحية الخاصة به.
- بعد ذلك، يذكر الرسولُ يوحنا في رسالته الأولى: **"لأنه كما هو في هذا العالم هكذا نحن أيضًا" (١ يو ٤: ١٧).** فهو لا يقصد العالمَ الآخر في هذا النص؛ فهو يكتب في زمن المضارع، كما هو، نحن أيضًا – الآن، اليوم!

- يكتب الرسول بولس: **"ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح؟" (١ كو ٦: ١٥).** الطريقة التي يذكر بها تلك الحقيقة تتضمن أنه أمر بديهي. هل تفتقد هذه الحقيقة الأساسية؟ هل ككنيسة نؤمن بهذه الكلمات؟

سلطان المسيح

من خلال إدراكنا لعلاقتنا بالمسيح، دعونا نرى من خلال هذا الإعلان مقدارَ القوة والسلطان اللذين لنا في المسيح. في الرسالة إلى أهل أفسس صلى الرسولُ بولس لكل من يتبع المسيح أن يدرك **"مَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ" (أف ١: ١٩).**

يا لها من كلماتٍ معبِّرة! يا لعظمة مضمون هذه الكلمات! هل تتَّفق معي على أن رب المجد لديه قدرة فائقة؟ هل تؤكد أن قدرته تفوق أية عظمة، أي سلطان، أو أية قوة أخرى في الكون؟ أنا واثق من أنك سوف تؤكد على هذه الحقيقة دون أي تردد.

لكن، هل تستطيع أن تقول نفسَ الشيء عن نفسك؟ الأهم، هل تصدق هذا؟ إذا لم تكن تصدق تلك الحقيقة، فأنت دون أن تدري منفصل عن المسيح. هل أنت جزء في جسد آخر؟ ألست عضوًا في جسد المسيح؟ قد تقول إنني مبالغ! لتدرك إنني لست مبالغًا، اقرأ الجزء التالي في صلاة بولس: **"وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ" (أف ١: ١٩).**

كان بولس يشير إلى جميعنا. لماذا؟ كمؤمنٍ، أنت جزء من الرب يسوع. لذلك فأنت تتمتع بنفس القوة التي للمسيح! هل تسمح لهذه الحقيقة أن تتأصل في داخلك؟

دعونا نتأمل في باقي صلاة بولس لأهل أفسس: **"... حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ، الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ" (أف ١: ١٩ -٢٠).**

هل تؤمن بأن الرب يسوع صُلِب، مات، دُفِن، قام من بين الأموات، والآن جالس عن يمين العظمة في الأعالي؟ إذا كنت مؤمنًا حقيقيًّا، فبالتأكيد تؤمن بهذا. لكن هل تؤمن أن هذه الأمور لك؟ معظم المؤمنين لا يرون أنفسَهم في ضوء هذا الحق. لكن بولس يكتب:

"أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ. فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟" (رو ٦: ٣- ٤).

لاحظ أن هذا الجزء لا يشير إلى معمودية الماء، لكن "لغمرنا" في جسد المسيح من خلال عمل الروح القدس عند ولادتنا ثانيةً (انظر ١ كو ١٢: ١٣). نحن جسد المسيح، لذلك، فمنذ اللحظة التي ارتبطنا فيها بالمسيح، تغيَّر تاريخنا. فقد متنا معه، دُفنَّا معه، أُقِمنا معه، وكأشخاصٍ جدد، نعيش مثله! أكرر: "كما هو، هكذا نحن أيضًا في هذا العالم". نحن في المسيح! نعم نحن في المسيح! نحن جسده! نحن واحد معه!

لأننا جزء من المسيح، بحسب ما جاء في (أف ١: ٢٠)، أصبحت لنا تلك المكانة أن نحكم. في الواقع، إنها أعلى مكانة للسلطان في هذا الكون، بخلاف سلطان الله الآب. قال يسوع: **"دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ" (مت ٢٨: ١٨).**

يكمل بولس: **"فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا" (أف ١: ٢١).**

لأننا جزء من المسيح، أصبحت لنا السيادة مثله.

هل تؤمن أن الرب يسوع جالس فوق كل رياسة وقوة وسلطان في هذا العالم بل وفي كل الكون؟ بالتأكيد، أنت تؤمن بهذا كمؤمن. لكن أسالك مرةً أخرى: "هل تؤمن بأن هذه الأمور لك؟" قد لا ترى نفسك في ضوء تلك الامتيازات، أو قد لا تصدق هذه الحقيقة. إذا كان هذا هو حالك، فأنت قد فصلت نفسك عن المسيح في تفكيرك وإيمانك. هل أنت جزء من جسد آخر؟ لا، أنت جزء من المسيح! كلنا في المسيح. نحن جسده! استمع جيدًا لما قاله الرسول بولس لتأكيد تلك الحقيقة:

"وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ" (أف ١: ٢٢ -٢٣).

نحن جسد المسيح، ملؤه، واحد معه. يذكر بولس أن كل شيء أُخضِع تحت قدمي المسيح. إذا كنت جزءًا من جسد المسيح، حتى لو كان هذا الجزء أحد أصابع القدم، فلك كل القوة و السلطان والسيادة على الأرض وما تحت الأرض. لقد أعيد لك ذلك السلطان الذي فقده آدم، بل وأعظم منه.

ربما رأى اللهُ في علمه السابق أننا قد نجد صعوبةً في تصديق تلك الحقيقة، لذلك أوحى لبولس أن يوضحها أكثر في الأصحاح الثاني من رسالة أفسس حتى لا يترك مجالًا للشك. لاحظ أن تقسيم الرسالة إلى أصحاحات وأعداد تم في وقت لاحق ـ فهذه رسالة واحدة بفكر واحد متصل:

"وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أف ٢: ٦).

الرأسُ لم تنفصل عن الجسد. نحن جميعًا جالسون في السماويات للسيادة، القوة والسلطان. بكلماتٍ أخرى، نحن في مجالٍ أعلى من أية قوى أرضية. نعم نحن أعلى بكثير!

فليس هناك روح شرير، أو أحد ملائكة إبليس، أو حتى إبليس لديه سلطان علينا؛ فإننا نملك بسبب المكانة والسلطان التي لنا في المسيح! هللويا!

السيادة في الحياة

في ضوء ما ركزنا عليه، دعونا نرجع مرةً أخرى لآيةٍ في نفس هذا الأصحاح:
"يملك في الحياة بيسوع المسيح الواحد أولئك الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر المجانية!" (رو ٥: ١٧ ترجمة كتاب الحياة).

أرجو أن تركز معي للحظة على عبارة "يملك في الحياة بيسوع المسيح". كأعضاءٍ في جسد المسيح، نستطيع أن نملك، بل ونقف ضد كل مقاومةٍ في الحياة، وكل مقاومةٍ لله. بما أننا نحن مَن لنا الحقَّ في السيادة في الأرض، فإذا لم تَسِر الأمورُ بطريقةٍ جيدةٍ، هل هذا لأننا تخاذلنا عن ممارسة السلطان الذي لنا؟

منذ سنواتٍ طويلة، أعلن راعي الكنيسة التي أنتمي إليها أنني سأنضم لفريق خدمة الوعظ بالكنيسة. بعد أيام قليلة، تقدم واعظٌ متقدِّمٌ في العمر، وتحدث مع زوجتي قائلًا: "ليزا، لديَّ رسالة من الله لزوجكِ".

كنا في ذلك الوقت صغارًا في السِّن، وفي أشد الحاجة للنمو وللمعرفة (ومازلنا نحتاج لهذه الأمور). أجابت زوجتي: "أخبرني بهذه الرسالة، وأنا سأنقلها لزوجي".

قال الخادم العجوز: "أخبري جون بأنه إذا لم يستخدم السلطانَ المُعطَى له من الله، سوف يأخذه آخر ويستخدمه ضده".

عندما أخبرتني ليزا بهذه الرسالة، شعرت وكأن سيفًا قد اخترق قلبي. على مر السنين، أدركت مدى صدق هذه الكلمات ـ ليس لي فقط، لكن لأي شخص في المسيح. لقد شعرت بالحزن العميق لمشاهدتي كثيرين ممَّن يحبون اللهَ بحق، لكنهم مُقيَّدون، بل وتحت سلطان قُوَى مضادة أو ظروف. لقد دفع الربُّ يسوعُ ثمنًا غاليًا ليعتقهم أحرارًا، لكنهم مازالوا مُكبَّلين بقيودٍ، مثل أجواءٍ مضادة، كوارث طبيعية، أمراض، قوى شيطانية، مواجهات صعبة ـ قائمة لا تنتهي. هذه القوى تتحكم في هؤلاء الأشخاص،

بل وتسيطر عليهم بالرغم من أن هؤلاء هم ملوك وملكات في هذا العالم، لكنهم يجهلون مقامهم في المسيح.

إذا كنت واحدًا من هؤلاء الذين تحت سيطرة أحد هذه الأمور، فلديَّ أخبار سارة لك. إذا صدقت كلمة الله أنك لست من هذا العالم، فسوف تختبر تغييرًا في حياتك. أنت تعرف الآن أنك تمتلك القوةَ والسلطانَ، وتستطيع أن تساعد هؤلاء الذين يجهلون تلك الحقيقة، وتستطيع أيضًا أن تقدم الحياةَ المتميزةَ لأبناء الملكوت الذين في احتياج لذلك الأمر.

لقد صرَّح الرسولُ يوحنا تصريحًا قويًّا لكلِّ من ينتمي لجسد المسيح: **"مَنْ قَالَ: إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا"** (١ يو ٢: ٦).

لقد أكد الرب يسوع على هذه الحقيقة عندما قال: **"كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا"** (يو ٢٠: ٢١). كما ملك المسيحُ، كذلك هو يريدنا أن نملك أيضًا. عندما جاءت الزوابع على الرب يسوع وتلاميذه، أمر الريحَ والبحرَ فأطاعاه. عندما احتاج لطعام ليطعم الجموعَ في البرية، استطاع أن يضاعف القليلَ الموجودَ ليطعم به الآلاف، وتبقَّى خبزًا أكثر من الذي كان موجودًا. عندما أراد أن يعبر البحرَ، ولم تكن لديه سفينة، مشى على الماء. عندما نضب مستودع الخمر في العرس، حوَّل الماءَ إلى خمر. لقد أمر شجرةَ التين أن تيبس وتموت بمجرد كلمةٍ. أعاد أُذُنًا لصاحبها، كان قد فقدها بحد السيف. لقد طهَّر المرضى، فتح أعين العميان، فتح أذان الصم، وجعل العرج يمشون.

لم يَخَف من هؤلاء الذين بهم أرواح شريرة، استطاع أن يرد على كلماتهم المضادة له. الحكام الأشرار لم يستطيعوا أن يمسكوا به. الجموع الغاضبة لم تستطع أن تدفعه من على حافة الجبل. لم يفزع ممَّن بهم أرواح شريرة، لكنه حرَّرهم من تلك الأرواح الشريرة. القائمة لا تنتهي. في نهاية الإنجيل، لخَّص يوحنا هذه القائمة وقال: **"وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ... وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ"** (يو ٢٠: ٣٠، ٢١: ٢٥).

لقد كان للرب يسوع كل السيادة والسلطان في هذا العالم. كان له السلطان على كل المقاومين وعلى كل الصعوبات؛ جاء بالسماء إلى الأرض. وضع لنا المثال لنتبعه، وهو يتوقع منا المزيد:

"مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا"
(يو ١٤: ١٢).

هذا يأتي بنا إلى السؤال المنطقي التالي:

"كيف يمكن أن يكون لنا السلطان والسيادة في هذه الحياة؟

من أين نستمد القوة؟"

٣

مصـــــدر الـــقـــوة

"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رومية ٥ :١٧).

عندما نكتشف أن لنا الحق أن نملك كملوك وملكات، عندئذٍ فالحياة على هذه الأرض لن تسود علينا، لكن نحن نسود عليها.

يأتي السؤال المنطقي: "هل أمتلك القوةَ أو الإمكانيةَ لتحقيق ذلك؟"

تأمل في شيواوا (كلب مكسيكي)، والدب الأبيض.

هذا النوع من الكلاب صغير، وكثير النباح، له إصرار وعزم، بل ومثابر في نباحه. إذا تقابلت مع كلبٍ من هذا النوع، ستجده لن يتوقف عن النباح حتى تبتعد عن مملكته المزعومة، حتى إنه قد يعضك في كعبك. إذا حاولت أن تبعده بلطف، يستمر في موقفه لتكون له السيادة. أما إذا شعرت بالملل من أسلوبه في التصرف، فكل ما عليك هو أن ترفسه بقدمك وتصيح فيه بصوتٍ عالٍ، فيعدو مبتعدًا، وهو يشعر بالرعب والهزيمة. لماذا؟ هذا الكلب الصغير لا يمتلك القوةَ التي تستطيع أن تتفوق على شخصٍ بالغٍ.

على الجانب الآخر، إذا كان الدب الأبيض لديه نفس التصميم أن يبعدك عن مكانه، ولم تكن معك بندقية، فأنت في مأزقٍ حقيقي؛ فالدب يستطيع أن يتغلب عليك وينهي حياتك.

إننا نعلم جيدًا أن هناك قوى لا تريدنا أن ننهي حياتنا نهايةً جيدةً. في حربنا مع تلك القوى، كيف نستطيع أن نعرف أن لدينا قوةً أكبر ممَّا لتلك القوى؟ في حربنا مع ذلك العدو القوي، هل نحن نشبه ذلك الكلبَ الصغير أم الدبَّ الأبيض؟ من أين تأتي القوة التي نستطيع بها أن تكون لنا السيادة؟

الإجابة نجدها في (رو ٥: ١٧): نستطيع أن تكون لنا السيادة من خلال "نعمة الله الغنية". (في كتابي بعنوان "فوق العادي" شرحت بالتفصيل المعنى الكامل للنعمة، لكني هنا سأذكر النقاط المحورية فقط).

الانفصال العظيم

بالنسبة لموضوع "النعمة الغنية أو المتفاضلة" هناك عدم فهم عظيم بين المؤمنين الإنجيليين في أمريكا لمعنى هذه الكلمة.

في عام ٢٠٠٩م، أجرت خدمتُنا مسحًا في أنحاء أمريكا، سألت فيه آلافَ المؤمنين، المولودين ولادةً ثانيةً، المنتظمين في حضور الكنيسة يوم الأحد، من الطوائف المختلفة. كان السؤال لكل هؤلاء أن يقدموا ثلاثة تعريفات أو أوصاف لنعمة الله. كانت إجابات الأغلبية هي: (١) الخلاص، (٢) هدية بدون استحقاق، (٣) غفران الخطايا.

أنا سعيد بأن كل هؤلاء المؤمنين يدركون أننا نلنا الخلاصَ بالنعمة، وبالنعمة فقط؛ فالخلاص لا نحصل عليه من خلال الرش بالماء، حضور كنيسة معينة، حفظ بعض الوصايا أو القيام ببعض الأعمال الحسنة لتوازن أعمالنا السيئة. يعلن الكتاب في (أف ٢: ٨ -٩) هذا الأمرَ بوضوح: **"لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ"**. من الرائع أن نرى أن المؤمنين لديهم هذه القناعة الراسخة بأننا لا نستطيع أن نحصل على نعمة الله إلا من خلال الإيمان بعمل يسوع في الجلجثة وفدائه لنا.

إنها مأساة أن نرى أشخاصًا مستنيرين يحاولون الحصولَ على رضا الله.

يا للمأساة أن نرى أشخاصًا مستنيرين يحاولون الحصول على رضا الله! لقد شاهدت كثيرًا من المواقف التي تكسر القلبَ لأشخاصٍ يتَّكلون على أعمالهم أو سلوكهم ليكونوا مُرضِين أمام الله. مهما شهد عنك المجتمع أنك شخصٌ صالحٌ، فإن (أف ٢: ٨-٩) يعلن أنك لا تستطيع أن تخلِّص نفسَك من الدينونة الوشيكة على الجنس البشري بمجهوداتك. تستطيع أن تحصل على الخلاص فقط من خلال الإيمان؛ لأن الخلاص هو عطية الله لنا من خلال موت وقيامة ابنه.

من المؤسف أيضًا أن ترى هؤلاء الذين قبلوا عطيةَ الله، الخلاصَ الأبديَّ، بالإيمان، لكنهم يعيشون وكأنهم يستحقون نعمة الله من خلال أعمالهم. فهؤلاء المؤمنون يشعرون أنه يجب عليهم أن يقضوا أوقاتًا أكثر في الصلاة، يصوموا أكثر، يعملوا أعمالَ رحمةٍ أو أية خدمات أكثر. قدم الرسولُ بولسُ تأنيبًا لأهل غلاطية على هذه الخطوة الخطأ فقال لهم: **"قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ" (غل ٥: ٤).** من المؤسف أن نرى الكثيرين من المؤمنين حَسِني النِّيَّة يقعون في نفس هذا الفخ.

أوضح المسحُ الذي أُجري أن الأغلبية من المؤمنين يؤمنون أن خطاياهم قد مُحِيَت من خلال نعمة الله. (أف ١: ٧) يؤكد هذه الحقيقة: **"الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ"**. إنها عطية الله المجانية التي غفرت خطايانا إلى الأبد. شكرًا لله على عطيته!

معظم المؤمنين لديهم تلك الحقيقة راسخة، أن نعمة الله تشمل الخلاص، إنها عطية بلا مقابل، وهي غفران الخطايا. يبدو أن خدام الإنجيل قد قاموا بدورٍ فعَّال في تأكيدهم على تلك الحقائق، وأنا أثق أن الله يشعر بالرضا تجاه هذا الأمر.

لكن، تأتي المأساة التي أظهرها هذا المسحُ: فقد وجدنا أن ٢ ٪ فقط من آلاف الأشخاص الذين تم سؤالهم يؤمنون أن دور النعمة هو قوة الله للمؤمنين، مع أن هذا ما وصف به اللهُ نعمتَه: **"تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ" (٢ كو ١٢: ٩).**

إذا قرأت هذه الآية في إحدى الترجمات باللغة الإنجليزية التي تكتب كلَّ أقوال الرب يسوع باللون الأحمر، وباقي الأجزاء باللون الأسود، ستجد أنَّ هذه الآية مكتوبةٌ باللون الأحمر، بالرغم من أن هذه الكلمات كتبها الرسولُ بولس، إلا أنها موجَّهةٌ مباشرةً من الرب شخصيًّا. يصف اللّهُ نعمتَه بأنها قوته التي يمكِّن بها المؤمنين. بالرغم من ذلك نجد أن ٢٪ فقط ممَّن سُئِلوا في هذا المسح (بالتحديد ١,٩٪) هم الذين يدركون تلك الحقيقةَ. وهذا يعني أن أقل من اثنين من كل مائة مؤمن لديهم هذا الإدراك! إلهنا ـ كلِّي القدرة، وكلِّي الوجود ـ يصف نعمته بأنها قوته التي يمنحها لنا. ومع ذلك، فإن أقل من اثنين من بين كل مائة شخصٍ يدركون ذلك. يا له من أمر يُنذِر بالخطر!

قوة النعمة

كلمة "ضعف" كما وردت في (٢ كو ١٢: ٩) تعني "عدم القدرة". يعلن اللّهُ: " نعمتي (قوتي) تكفي عندما تواجه مواقف تفوق قدرتك للتعامل معها". نستطيع أن نرى ذلك في حديث الرسول بولس للمؤمنين عن مؤمني مكدونية: **"ثُمَّ نُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ نِعْمَةَ اللهِ الْمُعْطَاةَ فِي كَنَائِسِ مَكِدُونِيَّةَ... لأَنَّهُمْ أعطَوْا حَسَبَ الطَّاقَةِ، أنا أشهَدُ، وفَوْقَ الطَّاقَةِ، مِنْ تِلقاءِ أنفُسِهِم" (٢ كو ٨: ١، ٣).**

لقد سمحت نعمةُ الله للمؤمنين المكدونيين أن يقدِّموا فوقَ طاقتهم. هذه هي النعمة – إنها قوة الله.

قبل ذلك، كتب الرسول بولس لنفس المجموعة: **"فإن فخرنا هو هذا: شهادة ضميرنا بأننا، في قداسة الله وإخلاصه، قد سلكنا في العالم، وبخاصة تجاهكم؛ ولم يكن ذلك بحكمة بشرية بل بنعمة الله"** (**٢ كو ١: ١٢ ترجمة كتاب الحياة).** هنا أيضًا نعمة الله توضِّح قوتَه.

يعرِّف الرسولُ بطرس نعمةَ الله بنفس الطريقة قائلًا: **"لِتَكْثُرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَيَسُوعَ رَبِّنَا. كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ" (٢ بط ١: ٢-٣).**

هنا أيضًا يعرِّف النعمةَ على أنها قوته الإلهية. يقول الرسول بطرس إن كلَّ ما نحتاجه لنستطيع أن نعيش بالطريقة التي يريدها الله، متاحٌ من خلال قوة نعمته التي قبلناها بالإيمان.

تعالوا بنا نتعمق في فهمنا للنعمة بالرجوع إلى اللغة اليونانية. كلمة النعمة المذكورة في العهد الجديد هي Charis، التي عرَّفها جيمس ستروخ في كتاب "Exhaustive Concordance of the Bible" بأنها "هدية"، "فائدة"، "امتياز"، "كرم" و"سخاء". إذا مزجت هذه التعريفات ببعض الشواهد في الرسائل لرومية، غلاطية، أفسس تستطيع أن ترى جانب النعمة الذي يستطيع أن يراه معظم المؤمنين. لكن ستروخ يستمر في وصفه للنعمة بأنها "التأثير الإلهي على القلب وانعكاس ذلك على الحياة بأكملها".

من خلال هذا التعريف، نستطيع أن نرى وجود انعكاسٍ خارجي لما يحدث في القلب، ممَّا يؤكد قوة النعمة. يخبرنا الكتابُ أن برنابا عندما وصل إلى كنيسة أنطاكية ورأى عملَ النعمة، فرح (أع ١١: ٢٣). لم يسمع عن النعمة، لكنه رأى دلائلها؛ لقد رأى القوةَ في القلوب، والتي ظهرت في أسلوب حياة الناس.

لهذا السبب، كتب يعقوب: **"أَنْتَ لَكَ إِيمَانٌ (نعمة)، وَأَنَا لِي أَعْمَالٌ. أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي (نعمة)" (يع ٢: ١٨).** لقد وضعتُ كلمة "نعمة" بدلًا من كلمة "إيمان"؛ لأننا لا نستطيع أن نقترب لنعمة الله إلا من خلال الإيمان، (انظر رو ٥: ٢). يقول يعقوب: "أريد أن أرى دليلَ القوة، الذي يُعتَبَر المؤشر الحقيقي على أنكم قبلتم النعمةَ بالإيمان".

يشرح قاموس الكتاب المقدس(Zondervan's Encyclopedia of Bible Words) كلمة charis هكذا: النعمة هي قوة فاعلة، لها عمل أكثر من أن تجعلنا أبرارًا أمام الله. النعمة لها تأثير في خبراتنا. النعمة هي قوة الله داخلنا التي تساعدنا على التغلُّب على عجزنا.

بعد قراءةٍ دقيقةٍ لكل الآيات في العهد الجديد التي تخص النعمة، بعد دراسةٍ طويلةٍ للقاموس اليوناني، وبعد الحديث مع أشخاصٍ يتكلمون اليونانية بطلاقة، أستطيع أن أضع تعريفًا ملخصًا للنعمة:

النعمة هي قوة الله المجانية التي يمنحنا إياها لنستطيع أن نتخطى إمكانياتنا المحدودة.

لماذا هي مأساة؟

لماذا نعتبرها مأساة أن ٢٪ فقط من مؤمني الغرب يدركون قوة الله التي لنا من خلال نعمته؟ دعوني أوضِّح من خلال سيناريو افتراضي. لنقُل مثلًا إننا قمنا بعمل بعض الأبحاث، واكتشفنا قبيلةً صغيرةً تعيش في الغابات بالقرب من خط الاستواء في أفريقيا. لقد علمنا أن هذه القبيلة تحتاج أن تسير مسافة ٢ ميل يوميًّا لتحصل على مياه عذبة من أقرب ينبوعٍ للمياه. ثم عليهم أن يحملوا هذا الماءَ الثقيلَ الوزن لخيامهم لأفراد القبيلة.

عندما يحتاج أهلُ القرية للطعام، فهم لا يجدون حيوانات تأتي إلى خيامهم وتقول: "أنا طعامكم، اصطادوني". لكن بعض رجال القبيلة يخرجون للصيد، وبعد ذلك، عليهم أن يحملوا ذلك الحيوان الثقيل الذي اصطادوه لمسافة عشرة أميال إلى خيامهم.

كلما احتاجوا لأي مؤن غير موجودة في الغابة، يضطرون للسير لأقرب قريةٍ على بُعد خمسة وثلاثين ميلًا ليشتروا ما يحتاجون إليه، ويحملونه إلى خيامهم.
عندما نعرف كلَّ هذا عن هذه القبيلة، نقرِّر أن نقدِّم لهم هديةً. نعم، سوف نميِّزهم بأن نكون أسخياء معهم (هذا هو معنى كلمة "نعمة" في قاموس الكتاب المقدس الذي كتبه ستروخ). نقرر أن نشتري لهم سيارة نقل.

نشتري لهم السيارة، ونشحنها على سفينةٍ إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، ثم أقودها بنفسي حتى أوصِّلها إلى منطقتهم. عندما نصل إلى هناك، ندخل على أقدامنا إلى داخل المخيم، ونأخذ رئيسَ القبيلة وبعض أفرادها إلى حيث تقف السيارة؛ حيث نعلن لهم: "إنها هديتنا لكم!"

ندعو رئيس القبيلة أن يجلس في المقعد الأمامي، وأحدنا يبدأ في قيادة السيارة. ثم نعلن لرئيس القبيلة: "هذه السيارة النقل مذهلة! بها تكييف! لذلك إذا كانت درجة حرارة الجو ٤٢ درجة مئوية، فكل ما تحتاج أن تفعله أن تضغط هذا الزر، وتحرِّك هذا المفتاح إلى درجة ٢٢، ستستمتع بجو جميل برغم شدة الحرارة بالخارج. لقد وضعنا راديو في هذه

السيارة. هل تعرف ماذا يعني هذا؟ تستطيع أن تسمع الأخبارَ من كلِّ أنحاء العالم وأنت داخل السيارة". يشعر رئيسُ القبيلة بالدهشة.

لكنك تكمل حديثك فتقول: "لكننا أيضًا وضعنا في هذه السيارة جهاز DVD". ثم تضع أسطوانةً وتشغِّل الجهاز. فيندهش رئيس القبيلة عندما يرى فيلمًا على الشاشة التي أمامه.

"لكن يوجد المزيد! هذه السيارة تحتوي على CD". وتزداد دهشة رئيس القبيلة عندما يستمع لموسيقى بعض الترانيم.

ينزل كلانا من السيارة، ثم يسألني رئيس القبيلة: "ماذا يمكننا أن نقدم لكم مقابل هذه الهدية؟"

نؤكد له: "لا شيء، لا يمكنك أن تشتري هذه السيارةَ منا؛ إنها هديةٌ مجانيةٌ لك ولقبيلتك، نحن نحبكم جميعًا!"

يقدم رئيس القبيلة وأعضاء قبيلته لنا الشكر، ثم نرحل. بعد عدة أشهر، نعرف أن أفرادَ القبيلة مازالوا يمشون أربعة أميال ليأتوا بالماء. مازالوا يسيرون لمسافة خمسة وثلاثين ميلًا ليجدوا حيوانات للصيد، ثم يحملون هذه الحيوانات الثقيلة إلى خيامهم. كما أنهم مازالوا يسيرون لمسافة خمسة وثلاثين ميلًا ليشتروا ما يحتاجون إليه من أقرب قرية لهم. لماذا؟ لأننا لم نخبرهم أن الوظيفة الأولى لتلك السيارة هي وسيلة مواصلات؛ لقد أبرزنا كلَّ الإمكانيات التي في السيارة ماعدا الوظيفة الأهم: "هذه السيارة تستطيع أن تنقلكم إلى أي مكان تحتاجون أن تذهبوا إليه، كما أنها تستطيع أن تحمل كلَّ أثقالكم".

بنفس المنطِق، كثيرون من القادة لم يخبروا المؤمنين أن التعريف الوظيفي الأساسي للنعمة هو قوة الله.

التعريف الوظيفي الأساسي

قد تقف في تحدٍّ وتسألني: "كيف يمكن أن تضع تعريفًا للنعمة على أنها قوة الله؟"

منذ فترة قريبة، أثناء صلاتي سألني الربُّ سؤالًا تحدَّى فيه تفكيري: "يا بني، كيف قدمت النعمة في كتابي، العهد الجديد؟"

بما أني كتبت عددًا كبيرًا من الكتب، فقد كان لهذا السؤال معنى خاص بالنسبة لي. فكلَّما قدمت تعبيرًا جديدًا في أحد الكتب التي كتبتها، هذا التعبير غير مألوف لمعظم القارئين، كنت أقدم تعريفًا أساسيًّا، ثم بعد ذلك، أستطيع أن أقدم تعريفات أخرى من خلال الكتاب.

فمثلًا، إذا كنت سأكتب خطابًا لرئيس القبيلة لأخبره عن السيارة، كنت سأبدأ الجزء الأول هكذا:

"عزيزي رئيس القبيلة، نقدِّم لك سيارة نقل جديدة، مهمتها الأساسية هي التوصيل. لذلك، لن يحتاج أفرادُ قبيلتك أن يحملوا الماءَ على ظهورهم لعدة أميال في رحلتهم اليومية. يستطيع واحدٌ من أفراد القبيلة أن يقود السيارةَ ويحمل المياه عليها. لن يحتاج أفرادُ قبيلتك أن يسيروا مسافات طويلة ليجدوا صيدًا، يستطيع أحدكم أن يقود السيارة ويصطاد ويحمل فريسته على السيارة. كذلك، لن يحتاج الناسُ أن يسيروا لمسافة خمسة وثلاثين ميلًا ليشتروا ما يحتاجونه من أقرب قريةٍ لكم، اذهب بالسيارة واشترِ كلَّ ما تحتاجونه، وانقله بالسيارة في أقل من عُشر الوقت".

من المهم أن تقدم الغرضَ الأول من السيارة؛ لأن رئيس القبيلة وشعبه لم يروا سيارةً من قبل. ثم في الجزء التالي من الخطاب، أستطيع أن أخبره عن التكييف. قد أخصِّص الجزءَ الثالث من الخطاب للراديو، أما الجزء الرابع فأخصِّصه للحديث عن ال DVD وال CD . ثم أنهي الخطابَ بأن أعلمه أن السيارة هدية. لكني قدمت له التعريفَ الوظيفي للسيارة في أول جزءٍ من الخطاب.

من خلال هذا المفهوم، تعالوا بنا نعود لسؤال الله لي:

"كيف قدمت النعمة في كتابي، العهد الجديد؟"

أجبت: "لا أعلم". ذهبت إلى الكمبيوتر، وفتحت قاموسَ الكتاب المقدس، ووجدت كيف قدم اللهُ النعمةَ في العهد الجديد. لقد أعلن عنها في (**يو ١: ١٦**): "**وَمِنْ مِلْئِهِ (يسوع) نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ**".

لاحظ أن يوحنا كتب: "نعمة فوق نعمة". لديَّ صديق يوناني يعيش في أثينا. هو خادم يتحدث اليونانية، كما أنه درسَ اللغة اليونانية القديمة، لذلك، هو من ألجأ إليه فيما يخص اللغة اليونانية. لقد قال لي إن يوحنا أعلن أن الله أعطانا نعمتَه في غناها ووفرتها. بكلمات أخرى، يخبرنا الرسولُ أن الغنى أو الوفرة لما تفعله النعمةُ هي أنها تعطينا ملءَ المسيح! هل سمعت هذا؟ ملء المسيح شخصيًّا! هذا يشير إلى القدرة والقوة.

أريد أن أتأكد من أنك فهمت ما قلته. تخيَّل معي أني اقتربت من لاعب تنس متوسط المستوى يلعب في أحد الأندية المحلية وقلت له: "أصبحت لدينا الآن وسائل علمية تمنحك ملءَ القدرة الخاصة بروجر فيدرر". (إذا كنت لا تعرف شيئًا عن لعبة التنس، فيدرر هو واحد من أعظم لاعبي التنس في تاريخ اللعبة). في رأيك، ما هو رد فعل ذلك اللاعب صاحب المستوى المتوسط؟ سيقول: "بالتأكيد، أعطني هذا الملءَ الآن! ما الذي أحتاج أن أفعله لأحصل عليه؟" بمجرد ما نعطيه ملءَ روجر فيدرر، ما الذي سيحدث؟ يمكنك أن تخمِّن ذلك: سيفوز بالبطولة الخاصة بناديه المحلي، وهذا سيؤهله لبطولة أمريكا المفتوحة ويفوز بها، ثم يفوز عدة مرات ببطولة ويمبلدون.

تخيَّل معي أني تقدمت لأحد طلبة العمارة في الجامعة وقلت له: "الآن لدينا بعض الوسائل العلمية التي تعطيك إمكانيات – الإمكانيات الكاملة ـ لفرانك لويد رايت". ما هو رد فعل هذا الطالب؟ سيقول بحماس: "أعطوني هذه الإمكانيات الآن!" إذا حققنا هذا، ما الذي يستطيع أن يفعله هذا الطالب؟ سيترك دراستَه ويركز في مهنته التي يجني من ورائها الجوائز والتقدير.

مثال آخر. لرجل أعمال يصارع في عمله ونقول له: "لدينا أسلوب علمي جديد يمنحك الإمكانيات الكاملة لبيل جيتس".

في اعتقادك، ما هو رد فعل هذا الرجل الذي يصارع في عمله؟ بالتأكيد سيصرخ بأعلى صوته: "أريد هذا!" ما الذي يفعله بعد أن يحصل على إمكانيات بيل جيتس الكاملة؟ سيبدأ في التفكير في طرقٍ لتصميم منتجاتٍ جديدةٍ، يعمل استثمارات لم يفكر فيها من قبل.

النعمة لم تُعطِنا ملءَ روجر فيدرر، فرانك لويد رايت أو بيل جيتس. لكن نعمةَ الله أعطتنا ملءَ يسوع المسيح! هل تدرك هذا؟ إنها القدرة! إنها القوة!

لم يقدم اللهُ النعمةَ في العهد الجديد على أنها عطيته المجانية، رغم أني أشعر بالامتنان على عطيته المجانية. كما أنه لم يقدم النعمةَ على أنها غفران لخطايانا، رغم أني أشعر بالامتنان على غفران خطاياي. لكن الله قدَّم النعمةَ على أنها القوة التي تمنحنا ملءَ يسوع المسيح.

نعمةُ اللهِ أعطتنا ملءَ المسيح ذاته

في الفصل السابق، رأينا بطرسَ يكتب عن النعمة أنها جَعلنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٢- ٤). كلمة "طبيعة" تصف السمات الأساسية التي تميِّز شخصَ الرب يسوع. لذلك، فإن نعمة الله تعطينا ملءَ صفات وخصائص الرب يسوع ذاته! يكتب الرسول يوحنا ويقول:

"لأَنَّهُ كَمَا هُوَ فِي هَذَا العَالَمِ، هَكَذَا نَحنُ أيضًا" (١ يو ٤ :١٧).

هل أدركت قوة ومغزى هذه الكلمات؟

إن هذا يُلقِي ضوءًا على إمكاناتنا وقوتنا لنملك في هذه الحياة! إن نعمة الله قد أعادت خلقَنا من جديد، لنكون مثلَ الربِّ يسوع. وتعطينا القوةَ لنعيش كما عاش هو. نحن في المسيح بمعنى الكلمة. نحن مؤمنون، لهذا يعلن يوحنا **"مَنْ قَالَ: إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا" (١ يو ٢: ٦).**

دع هذه الكلمات تترسَّخ داخل قلبك: "من حقِّنا أن نعيش كما عاش المسيحُ على هذه الأرض. هذا ليس مجرد اقتراح، لكنها وصيةٌ كتابيةٌ!"

٤

سلوك المسيح

"مَنْ قَالَ:
إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ
كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا"
(١ يوحنا ٢: ٦).

إذا كان ينبغي أن نسلك كما سلك المسيح، فيجب أن نسأل: "كيف سلك هو؟"

أولًا، سلك في طهارةٍ مذهلةٍ. لم تستطع شهواتُ هذا العالم أن تتحكم فيه، لكنه استطاع أن يتحكم في كل رغبةٍ لا ترضي اللّهَ. بنفس هذا الأسلوب، يخبرنا الرسولُ بولس عن الطريقة المقبولة التي بها نخدم الله:
"فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ" (٢ كو ٧: ١).

هل لاحظت كلمة "نطهِّر ذواتنا"؟ الشيء المثير أنه لم يقُل: "الله سوف يطهِّرك". دعني أوضِّح الأمرَ. دم يسوع يطهرنا من كل خطية ـ هذا هو عمل الفداء. إلا أن الرسول بولس يتحدث هنا عن التقديس، أي أن نعيش ونمارس ما حصلنا عليه مجانًا. ببساطة، يتعلق الأمرُ بما يتوقعه اللّهُ منا في سلوكنا اليومي كمؤمنين. إنه يتحدث عن التغيير الخارجي الذي يحدث فينا نتيجةً لعمل الفداء في حياتنا.

هل لاحظت كلمة "كل" في هذه الآية؟ فنحن لن نطهِّر ذواتنا من بعض الأشياء أو حتى معظم الأشياء التي تجعل أجسادَنا وأرواحَنا طاهرةً، لكننا نطهِّر أنفسَنا من كل

شيءٍ. يتوقع منا اللّهُ أن نطهِّر ذواتنا لنصبح طاهرين بالكامل. يؤكد الرسول بطرس هذا في قوله: **"بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ" (١ بط ١: ١٥).** إذا أخذنا هذه الكلمات بجدِّيةٍ ولم نحاول تخفيفها (كما يفعل البعضُ)، فالأسلوب المقبول لخدمتنا هو أن نتبع أسلوبَ الرب يسوع. كيف نستطيع أن نفعل ذلك؟ من خلال نعمة اللّه.

دعوني أوضِّح هذا الأمرَ. عندما كنت طالبًا في المرحلة الثانوية، كنت خاطئًا مؤثرًا. ما معنى هذا؟ كانت لي طبيعة تحب الخطيةَ، وكنت أفعل الخطيةَ بفعاليةٍ.

في مرحلة المراهقة المبكرة، سألني والدي أنا وأختي الصغيرة إن كنا نريد أن نذهب إلى المسرح لمشاهدة فيلم بعنوان "الوصايا العشر" "The Ten Commandments". يقوم فيه بدور البطولة الفنان شارلتون هيستون. في مدينتنا الصغيرة، التي كان عدد سكانها ثلاثة آلاف شخص، كان المسرح يقدم فيلمًا واحدًا، فلم تكن لدينا الإمكانيات المتاحة اليوم، مثل الصالات المتعددة لعرض أفلامٍ مختلفة، شاشات التليفزيون الضخمة والألعاب الإلكترونية المتعددة. كل ما كان لدينا، هو تليفزيون ملوَّن صغير. لذلك، عندما كانت تُقدَّم لي الدعوة لمشاهدة أي فيلم على الشاشة الضخمة، كنت أقبل الدعوةَ على الفور، لذلك وافقت بحماسٍ على الذهاب إلى المسرح.

في أثناء مشاهدتنا للفيلم، فجأة، رأيت المشهدَ الذي فيه تنفتح الأرض وتبلع داثان ومن معه الذين عارضوا موسى. لقد ابتلعتهم أحياءً، مباشرةً للجحيم. كخاطئ، بدأت أتوب بانفعالٍ شديدٍ. بدأت أتذكر خطاياي وتصرفاتي الشهوانية الواحدة تلو الأخرى، طالبًا من اللّه الغفران، ووعدت اللّهَ بأنني لن أعمل أيًّا من هذه الخطايا مرةً أخرى. لقد غادرت المسرحَ شابًّا جديدًا! لكن هذا الأمر استمر لمدة أسبوعٍ واحدٍ، وبعدها، رجعت لكلِّ أفعالي الخاطئة. لماذا؟ لقد قدمت توبةً، لكن بلا نعمةٍ.

بعد عدة سنواتٍ، أثناء دراستي الجامعية، قدَّم لي أحدُ الشباب الحقائقَ الروحية الأربع الخاصة بمؤسسة Campus Crusade's. بعد قراءة الحقائق الأربع، قبلت الربَّ يسوع كمخلِّصٍ ورب. في هذه اللحظة، أصبحت ابنًا للّه. لكن، استمريت في حياة الخطية التي كنت أحيا فيها قبل قبولي للمسيح. كان هذا بسبب عدم معرفتي الكافية بالكتاب المقدس؛ لأني لم أكن أعرف القوةَ المتاحة لي.

بعد عدة سنواتٍ، أنارت أمام عيني آيةٌ، كنت قد قرأتها مرات عديدة من قبل: **"اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ" (عب ١٢: ١٤).** لقد صدمتني تلك الكلمات. فكَّرت في نفسي: "أنا أريد أن أرى اللّٰهَ، وهذه الآيةُ تخبرني بأنني يجب أن أعيش حياةً مقدسةً!" للأسف، لم أفهم هذا جيدًا، فأصبحت مثل الناموسيين، أجلد من حولي بهذا المنطق. كنت أطالبهم أن يعيشوا حياة القداسة، لكني لم أستطِع أن أساعدهم على إتمام ذلك. لقد وضعت أساسًا للحياة المقدسة مبنيًّا على القدرات والإرادة الشخصية، لا على قوة اللّٰه. لقد استطعت أن أجعل زوجتي، أصدقائي وكل من حولي يشعرون بعدم الراحة.

بعد فترةٍ، تحدث إليَّ الربُّ أثناء صلاتي وقال: "يا بنيَّ، القداسة ليست عمل الجسد، لكنها نتاج نعمتي". هذا ما كنت لا أدركه! لقد أدركتُ أن النعمة هي وجود اللّٰه في حياتي، الذي يمنحني الإمكانيةَ لتحقيق ما لا أستطيع أن أعمله بقوتي الشخصية: تطهير ذاتي من كل ما يجعل جسدي ونفسي غير طاهرين، وأصبح طاهرًا. هذا هو الأسلوب المقبول لخدمة اللّٰه. لهذا يقول كاتب الرسالة للعبرانيين:

"لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ (نعمة) بِهِ نَخْدِمُ اللّٰهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى" (عب ١٢: ٢٨).

النعمة تمكِّننا من خدمة اللّٰه خدمةً مرضيةً، كما أنها تعطينا القوةَ لنطهِّر ذواتنا من كلِّ ما لا نستطيع أن نتطهَّر منه بقدراتنا الذاتية.

من خلال المسح الذي أجريناه على مستوى الولايات المتحدة، نستنتج أن ٩٨ ٪ من المؤمنين يحاولون أن يعيشوا حياةً مسيحيةً حقيقيةً، لكن بقوتهم الشخصية! ٢ ٪ فقط يدركون أن النعمة هي قوة اللّٰه التي تمكِّنهم من تحقيق هذا، ممَّا يعني أن ٩٨ ٪ من المؤمنين لا يستطيعون أن يستفيدوا من هذه القوة؛ لأنهم لا يدركون أنها متاحةٌ لهم. نحن نقبل هذه القوةَ بالإيمان، وبالطبع، لا نستطيع أن نؤمن بشيءٍ لا نعرفه. كما قال الرسول بولس: **"كَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟" (رو ١٠: ١٤).** نحن نستطيع أن ننتفع فقط ممَّا نعرف أننا نمتلكه.

بالرجوع لذلك المثل عن القبيلة الأفريقية، إذا لم تعرف القبيلةُ أن الغرضَ الأساسي من السيارة هو التوصيل، فلن يقودوا السيارة. سيستمتعوا بالتكييف، ال DVD، الراديو، ال CD ، لكنهم لن يقودوا السيارة.

اشتريت كاميرا رائعة، فتحت الغلاف وأخرجت الكاميرا وبدأت أستخدمها كما كنت أفعل بسابقاتها. كنت أركِّز على الهدف الذي أريد تصويره، وألتقط الصورةَ بصراحة. أعتقد أن هذا ما يفعله معظمُ الناس عندما يشترون كاميرا.

بعد عدة سنوات من امتلاكي لتلك الكاميرا الرائعة، ملأني الفضول إذ وجدت صديقي يستطيع أن يلتقط صورًا مدهشةً في الليل، صورًا لمسطَّحات واسعة، صورًا لأشخاص يتحركون. سألت، وعرفت السببَ. لقد اكتشفت أن الكاميرا التي أمتلكها لديها كل الإمكانيات مثل الكاميرا التي يمتلكها صديقي. أخرجت كتيب التشغيل وبدأت أتعلم كيف يمكنني أن أستخدم كلَّ الإمكانيات المتاحة في الكاميرا. بعد قليل، أصبحت لديَّ القدرة على التقاط صور أفضل! لقد كنت أجهل ما لديَّ، لذلك لم أستطع أن أستمتع بكل الامتيازات.

هذا الأمر ينطبق على ٩٨٪ العاثري الحظ. لم يستخدموا كتيبَ التشغيل الخاص بالحياة، الكتاب المقدس، ليكتشفوا النعمةَ الممنوحةَ لهم. لقد اكتفوا بتقليد النموذج والتعليم الذي تتبعه الأغلبية. لم يعرفوا ما يمتلكون بداخلهم، فظلوا في محدوديتهم.

ماذا يمكن أن يحدث لو أننا حاولنا أن نعيش حياةً مقدسةً بمجهودنا الشخصي؟ شيء من اثنين: إما أن نصبح ناموسيين مرائين (نتكلم بحزمٍ وانضباطٍ لكن نعيش حياتنا السرية بطريقةٍ مختلفةٍ)، أو أننا نستمر في الحياة المتسيِّبة متمسِّكين بذلك المبدأ غير الكتابي: "النعمة تغطي كلَّ الخطايا التي اخترت أن أستمر في ممارستها". لذا، نرى أن "التشبُّه بالمسيح" هدفٌ سامٍ لكنه غير واقعي.

بسبب هذه الطريقة في التفكير، ابتدع بعض المؤمنين والمعلِّمين هذه البدعة: "فداء المسيح يجعل منا أولادًا لله، إلا أننا نظل خطاة، مرتبطين بطبيعتنا البشرية". نحن نعتقد اعتقادًا خاطئًا أننا مكبَّلون لنعيش حياةً لا تختلف عن باقي البشرية، وبالتالي، نعطي لأنفسنا العذرَ على تصرفاتنا الشهوانية الشريرة. هذا يجعلنا نشعر بسلامٍ زائفٍ.

لكن ما يعلنه لنا الكتابُ في العهد الجديد يختلف عن هذا الفكر تمامًا: فالرب يسوع لم يأتِ ليعتقنا فقط من عقاب الخطية، لكنه أعتقنا أيضًا من سلطان الخطية!

هذا واضحٌ في كلمات الرسول بولس: **"فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ" (رو٦: ١٤).** فالناموس يقيِّد البشرَ، أما النعمة فتمنحنا القوةَ التي بها نستطيع أن نتحرَّر من كلِّ ما لم نستطع أن نحرِّر أنفسَنا منه بقوتنا الشخصية ـ الخطية. لهذا حثَّ الرسول بولس المؤمنين في كنيسة كورنثوس قائلاً: **"فَإِذْ نَحْنُ عَامِلُونَ مَعَهُ نَطْلُبُ أَنْ لاَ تَقْبَلُوا نِعْمَةَ اللهِ بَاطِلاً" (٢ كو ٦: ١).**

لا يتحدث بولسُ عن تبديد النعمة، تلك النعمة التي تعلَّمها الكثيرون في كنائس الغرب اليوم، التي تقول: "أنا أعلم أنني لا أعيش بحسب ما يريده الله مني، لكن لا بأس؛ لأني خلصت ومستور بالنعمة". قد يتطرف بعض المؤمنين ويظنون، أو حتى يقولون: "أستطيع أن أفعل كلَّ ما أريد؛ لأن خلاصي مؤسسٌ على عمل المسيح لأجلي وليس على أعمالي". لذلك، لم تعد هناك قناعة راسخة لدى مؤمنين كثيرين بأن يعيشوا حياةً روحيةً ملتزمةً. هل يمكن أن نفقد هذه النعمة؟ الواقع أننا لا نستطيع أن نفقدها. هذا التفكير تعبيرٌ خاطئٌ عن هدف وقوة نعمة الله.

عندما ندرك أن النعمة تعني حضورَ الله القوي الذي يعطينا الإمكانيةَ أن نفعل ما لا نستطيع أن نفعله بإمكانياتنا الشخصية ـ نطهِّر أنفسَنا من كل ما يلوث أجسادنا أو أرواحنا لنكون طاهرين ـ عندئذٍ نستطيع أن ندرك كيف يمكن أن نفقد هذه النعمةَ.

إذا قررنا أن نعود إلى تلك القبيلة في أفريقيا التي أعطيناها السيارة النقل بعد عشر سنوات. الغريب أننا وجدنا السيارة قابعةً في مكانها، وقد غطاها الترابُ، ونَمَت حولها الأعشابُ. نفتح باب السيارة بصعوبةٍ، ونراجع عدَّاد الكيلومترات، فنجده كما كان منذ عشر سنوات. ألا نقول لبعضنا البعض: "لقد أتلفوا الهدية التي قدَّمناها لهم منذ عشر سنوات!"

قد يكون أفراد تلك القبيلة قد كتبوا أغاني عن "الهدية المجانية" التي حصلوا عليها أو تحدَّثوا عن هذا الأمر في رسائل من الواحد للآخر. ربما يكونوا قد ركبوا داخل السيارة عندما كانت تمطر وكتبوا رسائل عن حماية السيارة لهم في وقت المطر. لكن تبقى الحقيقة، أنهم لم يقودوا السيارة. لقد أضاعوا الهدية!

بنفس المنطق، لا يريدنا بولسُ أن نفقد البركةَ الأساسية والامتيازَ الذي لنا من خلال نعمة الله العظيمة:

"فَإِذْ نَحْنُ عَامِلُونَ مَعَهُ نَطْلُبُ أَنْ لاَ تَقْبَلُوا نِعْمَةَ اللهِ بَاطِلاً...
فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ،
مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ"
(٢ كو ٦: ١، ٧: ١).

هل أصبح الأمر أكثر وضوحًا؟ سؤالي، لماذا لم يكن يُقدَّم هذا التعليم بوضوح في كنائسنا؟

سدَّد الربُّ يسوعُ احتياجات الجنس البشري

بالرجوع للصفحات السابقة، رأينا الأمرَ الكتابي الذي ذكره يوحنا في رسالته الأولى: **"مَنْ قَالَ: إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا"(١ يو ٢: ٦).**

لاحظ كلمة "ينبغي". كما قلنا قبلًا إن هذه الآية ليست اقتراحًا لكنها وصيةٌ. يتوقع اللهُ منا أن نسلك كما سلك المسيحُ. تعالوا بنا نتساءل مرةً أخرى: "كيف سلك المسيحُ؟"

من الواضح في الأناجيل أن الرب يسوع سدَّد احتياجات البشر. لقد شفى المرضى، طهَّر البُرَّص، حرَّر الناسَ من القيود، فتح أعين العميان، فتح أذان الصُّم، أقام المفلوجين، أطعم الجياع، كما أنه أقام الموتى. ثم أوصانا بهذه الوصية: **"كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا" (يو ٢٠: ٢١).**

كيف نستطيع أن نعمل هذه الأشياء؟ من خلال عطية الله المجانية لنا، النعمة! يقول الكتابُ عن الكنيسة الأولى: **"وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ، وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ" (أع ٤: ٣٣).**

لماذا يربط الله بين القوة العظيمة والنعمة العظيمة؟ لأن النعمة هي قوة الله!

قد تفكر وتقول: "يا جون، هذا الحديث عن الرسل، وأنا لست رسولًا ولا راعيًا!" دعني أخبرك عن رجلٍ عادي. لقد كان للكنيسة في أورشليم مطعم، كان أحد الرجال الذين

يخدمون الموائدَ اسمه "استفانوس". لم يكن رسولًا، نبيًّا، كارزًا، راعيًا، أو معلِّمًا. كان يخدم موائدَ للسيدات العجائز. لكن الكتاب يعلن عنه قائلًا:
"وَأَمَّا اسْتِفَانُوسُ فَإِذْ كَانَ مَمْلُوًّا إِيمَانًا وَقُوَّةً، كَانَ يَصْنَعُ عَجَائِبَ وَآيَاتٍ عَظِيمَةً فِي الشَّعْبِ" (أع ٦: ٨).

كيف استطاع أن يصنع آيات عظيمةً، وهو لم يكن رسولًا أو راعيًا؟ من خلال قوة نعمة الله! لقد فعل ما فعله يسوعُ تمامًا، سدَّد احتياجات البشر من خلال قوة تلك العطية المجانية، النعمة.

هذه العطية المجانية متاحةٌ لكل مؤمن؛ إنها لك ولي. لهذا أوصانا الربُّ يسوعُ وقال: **"اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا... وَهذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي... وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ"** (مر١٦: ١٥، ١٧- ١٨).

ليست لدينا أية مشكلة لنصدِّق هذا. أليس كذلك؟ لكن الكتاب يخبرنا أيضًا أن: "المؤمنين (ليس فقط الرسل) سينالون قوةً (العطية المجانية للنعمة) ليعملوا آيات". حتى نستطيع أن نسلك كما سلك المسيحُ! بقوة الله، نستطيع أن يكون لنا سلطانٌ على المرض أو أية صعوبات أخرى يجتاز فيها من نحبهم.

حكمة، فهم، بصيرة، ذكاء، إبداع

كيف سلك الربُّ يسوعُ؟ لقد سلك بحكمةٍ مذهلةٍ، فهمٍ، بصيرةٍ، ذكاء وإبداع. لقد أذهلت حكمته أكثر الناس علمًا. من أين جاءت حكمته؟ **"وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ" (لو٢: ٤٠).** النعمة هي السبب في تمتُّع الرب يسوع بحكمةٍ غير عاديةٍ.

هنا يأتي سؤالٌ مهم: "إذا كانت نعمة الله فقط لغفران الخطايا وللدخول للسماء (كما تعلَّم مؤمنون كثيرون)، لماذا يحتاج يسوعُ إلى نعمةٍ؟ فهو لم يفعل خطيةً، لذلك، لا يحتاج إلى غفران". نحن نعلم أنه بالرغم من أن الرب يسوع هو ابن الله، إلا أنه عاش في أرضنا كإنسانٍ. لقد أخلى نفسه من كل الامتيازات كإلهٍ (انظر في ٢: ٧). لذلك احتاج لقوة النعمة ليسلك بحكمةٍ، فهمٍ، بصيرةٍ، ذكاء وإبداع؛ تلك الصفات التي تجسَّدت في شخصيته.

أنا مُعجَب بالإبداع في حكمته، ذكائه، تعقُّله. بهذه الصفات، أنقذ حياةَ امرأةٍ. يخبرنا (يو ٨) عن بعض رجال الدين الغيورين الذين أمسكوا بتلك المرأة وهي تزني، لقد جروها إلى الهيكل، وألقوا بها أمام الرب يسوع (أود أن أعرف، لماذا لم يفعلوا نفسَ الشيء مع الرجل الذي زنى معها؟) سألوا يسوع قائلين: "موسى أوصى أن مثل هذه تُرجَم. فماذا تقول أنت؟"

في مواجهةٍ كهذه، نحتاج لحكمةٍ غير عادية. انحنى يسوعُ وبدأ يكتب على الأرض. (أعتقد أنه بدأ يكتب أسماء السيدات اللواتي في علاقة مع هؤلاء القادة. ربما كان يكتب حنة، راحيل، إيزابل). عندما استمر هؤلاء القادة يسألون نفسَ السؤال، رفع السيدُ عينيه ونظر إليهم وقال: "من منكم بلا خطية فليرمها أولًا بحجر". ثم استمر يكتب على الأرض.

أتخيَّل أن هؤلاء القادة المنافقين الذين يتظاهرون بالتقوى، رموا الأحجار التي كانوا يمسكون بها، وانصرفوا من المشهد بسرعةٍ عندما رأوا أسماء النساء اللواتي يقيمون علاقةً معهن، أو لأن الرب يسوع قدَّم تحذيرًا صارمًا. يخبرنا الكتاب: **"وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسْطِ" (يو ٨: ٩).**

ثم وقف الربُّ يسوعُ وسأل المرأةَ : **"«يَاامْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا»" (يو ٨: ١٠ -١١).**

لقد أنقذ الربُّ يسوعُ المرأةَ بحكمته ولباقته. لاحظوا أن الرب يسوع لم يُدِنها، إنه الوحيد الذي بلا خطية، لكنه تعامل معها بالرحمة. لم يصدر عليها الحكمَ الذي تستحقه بحسب الناموس، لكنه قال لها: "اذهبي ولا تخطئي أيضًا". هنا تحدثت النعمةُ، فالنعمة تعطينا ما لا نستحق، بينما الرحمة لا تعطينا ما نستحق. الرحمة لم تُدِنها، لكن نعمة الله أعطتها القوة ألا تعود لخطية الزنا مرةً أخرى.

نعمة الله التي ظهرت في شخص الرب يسوع أعطته الحكمةَ ليحرِّر هذه المرأةَ من دينونة رجال الدين الغيورين. لقد ساعدتها النعمةُ أن تحرِّرها من خطية الزنا. يالها من نعمةٍ!

في موقفٍ آخر، كان الربُّ يسوع على شاطئ بحر الجليل؛ حيث كانت هناك مجموعة من الصيَّادين المحترفين يواجهون أسوأ أيام حياتهم. هؤلاء الرجال لم يصطادوا سمكةً واحدةً طوال اليوم. ما هو شعورك لو أنك كنت تمتلك متجرًا ولم تَبِع شيئًا طوال اليوم؟ بالتأكيد، ستعتبره أسوأ يوم في حياتك. لكن كلمة حكمة واحدة من الرب يسوع غيَّرت هذا اليومَ لأنجح يومٍ في تاريخ عملهم! لم يكن الرب يسوع صيادًا، لقد كان نجارًا – لكنه ممتلئ نعمة! يالها من حكمة وقوة!

يالها من قوة، تلك التي تمتلكها النعمةُ!

في مواقف أخرى، استطاع الرب يسوع أن يجد حمارًا بسبب حكمته النابعة من النعمة. لقد استطاع أن يدفع ما عليه من جزيةٍ دون أن يحتاج للذهاب إلى الصرافة – قال لبطرس أن يصطاد سمكةً، وعندما يفتح فم السمكة سيجد في فمها المبلغَ المطلوبَ بالضبط. لقد أعلنت له النعمةُ ذلك.

لقد تمتع الربُّ يسوع ببصيرةٍ مدهشةٍ؛ فقد علم أن هناك شيطانًا يعمل بين تلاميذه قبل أن يُظهِر إبليسُ شرَّه من خلال يهوذا. لقد علم أن نثنائيل رجلٌ مستقيمٌ قبل أن يتقابل معه.

تغيير المجتمع

نعمة الله التي ظهرت في حياة المسيح منحته الإمكانية لتغيير المجتمعات التي كان جزءًا منها. لقد ذهب إلى عرسٍ في قانا الجليل. كانت الأعراس في ذلك الوقت مناسبات كبيرة، يشارك فيها كلُّ أهالي القرية. كان أصحاب هذا العرس في مأزقٍ بسبب نفاذ الخمر. هل تتخيَّل مقدار الخزي الذي سيعاني منه أفرادُ الأسرتين بسبب هذا الموقف؟ لكن ظهرت نعمة الله من خلال الرب يسوع وتحوَّل هذا العرسُ إلى عرسٍ مميَّز وخاص.

في مجتمع آخر يدعى "نايين"، كانت الحكومة ستتكفل بتلك الأرملة التي فقدت ابنَها الوحيد. كانت هذه المرأة ستعيش بقية حياتها معتمدةً على المعونة المُقدَّمة لها من الحكومة. لكن بمقابلةٍ واحدةٍ مع نعمة الله في شخص الرب يسوع، لم تَعُد في

احتياجٍ لأموال الحكومة؛ لقد أعاد لها الربُّ يسوعُ كرامتَها وذرِّيَّتَها. (انظر لو ٧: ١١ -١٥).

في مدينةٍ أخرى، تقابل الربُّ يسوعُ مع رئيسٍ للجريمة المُنظَّمة. إننا نتحدث عن شخصٍ كان يُعتَبَر - بمقاييس يومنا - رئيس نقابةٍ بين العشارين. مقابلة واحدة مع نعمة الله في شخص الرب يسوع، غيَّرت زكا وقدَّم عهودًا جعل من المجتمع مجتمعًا أكثر أمنًا وازدهارًا. لم يعد الشعبُ مهدَّدًا بجامع الضرائب. لم ينتهِ الأمرُ عند هذا الحد؛ فقد صرخ زكا وقال: "سأعطي نصفَ أموالي للمساكين". لقد استفاد كلُّ ضحاياه في المدينة! لم يتوقف الأمرُ عند هذا الحد. لكن زكا قرر أن يعيد ٤٠٠ ٪ لكل شخصٍ كان قد سرقه، وبهذا، أعاد الاستقرارَ الاقتصادي لهذه المنطقة
(انظر لو١٩ : ١- ٨). مقابلةٌ واحدةٌ مع نعمة الله حقَّقت كلَّ هذا!

في حادثةٍ أخرى، شابٌّ مجنون تُرِك وحده ليعاني. لم تكن هناك مؤسَّسات تعتني بهؤلاء في ذلك الوقت، لكن كان على الحكومة أن تعتني بمثل هؤلاء. كانوا يستخدمون أموالَ الضرائب ليكفلوا كلَّ احتياجاته من طعام وملابس. لقد استهلك الكثيرَ من الملابس؛ لأنه كان يقطِّعها. لكن بمقابلةٍ واحدةٍ مع نعمة الله من خلال شخص الرب يسوع، تم شفاء هذا الرجل.

لم يكن محتاجًا بعد ذلك للمال أو للحماية، والأهم من ذلك أن المدن العشر سمعت عن ملكوت الله من خلال هذا الرجل الذي تقابل مع نعمة الله (انظر مر ٥).

تأمل في كل المرضى، الصُّم، العمي، العرج وكل من لديهم مشاكل جسدية الذين نالوا الشفاءَ ولم يعودوا في احتياجٍ لأية معونةٍ من الدولة، وذلك نتيجةً لنعمة الله من خلال الرب يسوع. نستطيع أن نستمر، حتى لِمَا لم يُذكَر في الكتاب المقدس؛ لأنه كما ذكر يوحنا أن العالم لا يسع الكتبَ التي تحوي المعجزات التي عملها الربُّ يسوع في خلال السنوات الثلاث لخدمته العلنية.

ذكر أن الرب يسوع وعد أن **"مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا" (يو١٤: ١٢).** كيف؟ من خلال عطية الله المجانية: النعمة. نستطيع أن نغيِّر مجتمعاتنا بنفس الطريقة التي غيَّر بها يسوعُ المجتمعَ - من خلال النعمة، عطية الله المجانية.

البحث ـ التنقيب ـ التحقيق

أؤمن أن قوى الشر وأجناده قد وضعوا واحدًا من أهدافهم الرئيسية وهو أن يخفي هذه الحقيقةَ عن المؤمنين؛ فهم يتنفسون الصعداء لأنهم يرون ٩٨ ٪ من مؤمني الولايات المتحدة يرون النعمةَ على أنها عطية الله المجانية لغفران الخطايا، ويجهلون قوة النعمة المذهلة. هذا يعني أن ٢ ٪ فقط هم الذين يعتبرهم العدو مصدرًا حقيقيًّا لتهديد مملكته.

العدو لا يخاف من امتلاكنا لمباني كنائس جميلة، أو نشر كتب، أو اجتماعات كبيرة، أو برامج تليفزيونية، أو فضائيات، مادمنا نجهل القوة المذهلة المتاحة لنا. إن ما يخيف العدوَّ هو عندما يكتشف المؤمنون القوةَ التي بداخلهم، والتي من خلالها نستطيع أن نغيِّر مجتمعاتنا بشجاعةٍ كما فعل الربُّ يسوع. إنهم يخشون أن نأخذ مكانتنا الحقيقية كمن لهم السلطان في هذه الحياة.

لقد كان مارتن لوثر في تأمل عميق، عندما ثبَّت الخمسة والتسعين بحثًا بمسامير على باب كنيسة جميع القديسين في ويتنبرج بألمانيا في ٣١ أكتوبر عام ١٥١٧م. لقد فجَّر هذا التصرف شرارةَ الإصلاح. منذ ذلك الحين، لم تعد الكنيسة كما كانت من قبل؛ فقد عمل الروحُ القدس من خلال هذا الرجل. إن ملخص رسالته كان أن الصراع القائم سيستمر بالإيمان. لقد واجه صكوكَ الغفران التي كانت تمنحها الكنيسةُ، وجعلت الناسَ يعيشون تحت عبودية الكنيسة.

أنا أيضًا في مناجاةٍ، يشاركني فيها بعض المؤمنين. إننا نريد أن نجنِّدك. نحن لا نسمِّر خمس وتسعين رسالة على بابٍ خشبي قديم، لكن على قلوب إخوتنا المؤمنين. رسالتنا هي النعمة ليست فقط غفرانًا لخطايانا. إنها تمنحنا القوةَ لنسلك كما سلك الربُّ يسوع، ليكون لنا السلطان في هذه الحياة من خلال إعلان سلطان وقوة السماء التي بها نستطيع أن نؤثر في العالم.

لنصمِّم على أن نرفع النسبة من ٢ ٪ إلى ١٠٠ ٪، فعندما يسمع المؤمنون كلمة "نعمة"، يفكرون مباشرةً في "القوة التي تفوق إمكاناتنا البشرية".

٥

متميّز

**"الذين ينالون وفور النعمة وموهبة البر.
سيملكون في الحياة بواحد، هو يسوع المسيح"
(رومية ٥: ١٧ الترجمة البولسية)**

إن عظمة الكلمات المذكورة في (رو ٥: ١٧) أكبر من أن تكون واقعيةً؛ فالرسالة التي تقدمها مذهلة. ربما لأجل هذا السبب أهملها الكثيرون.

إن كلَّ من قَبِل يسوعَ ربًّا في حياته، أصبح لديه الامتياز أن يملك في هذه الحياة. كل من قَبِل عطيةَ النعمة المجانية من الله، قد نال قوةً يستطيع بها أن يتغلب على كل صعاب هذا العالم؛ فالحياة في هذا العالم لن تسودنا، لكن نحن لنا السلطان عليها. من خلال قوة نعمة الله، نستطيع أن نغيِّر مجتمعاتنا كما فعل الرب يسوع. نعم، هذه هي مهمتنا.

كلام عملي

تعالوا بنا ننقب بعمقٍ في معنى أن تكون لنا السيادة في الحياة من خلال نعمة الله. يجب أن نتخطَّى المعتاد، أن ننطلق أبعد من الوضع الراهن. هذا يعني ألا نرى الحياةَ كوظيفةٍ من الثامنة صباحًا وحتى الخامسة مساءً، فيها نتقاضى راتبًا في نهاية كل شهر، ثم نتقاعد، ثم نموت وفي النهاية نذهب للسماء. يا لها من نظرةٍ مُحزِنةٍ للحياة! بالتأكيد، ليس هذا ما يريده اللهُ لحياتنا؛ لقد خلقنا لأعظم من ذلك بكثير!

نستطيع أن نكون مؤثِّرين، إذا أدركنا أن الله دعانا لنكون الرأس وليس الذيل، في المقدمة وليس في المؤخرة (انظر تث ٢٨: ١٣). فليس دورنا أن نتخطى الظروف الصعبة فحسب، لكن أن نضيء لهؤلاء الذين لم يدخلوا في عهدٍ مع الله. نحن مدعوون لنكون قادةً في وسط عالمٍ مظلمٍ. فالرأس يحدِّد الاتجاهَ والمسارَ، أما الذيل فيتبع. يجب أن نكون قادةً لا تابعين في كل المجالات في مجتمعاتنا.

إذا كنت تعمل مدرِّسًا في مدرسةٍ حكوميةٍ، فمن خلال عطية النعمة تستطيع أن تبتكر دائمًا أساليب جديدةً، جذَّابةً ومُبتَكَرةً في توصيل المعلومات للتلاميذ. هذه الأساليب لم يفكر فيها أحدٌ من المدرِّسين من قبل. فأنت ترتفع بمستوى التدريس، وتكون مصدرًا لإلهام تلاميذك، حتى إن الآخرين يتعجَّبون. فيتساءل باقي المدرِّسين مع بعضهم البعض: "من أين يأتي بهذه الأفكار العظيمة؟"

إذا كنت في المجال الطبي، فمن خلال عطية النعمة تستطيع أن تأتي بطرقٍ جديدةٍ ومؤثرةٍ لعلاج المرضى. عندئذٍ، يتساءل زملاؤك متحيِّرين: "من أين أتى بهذه الأفكار الخلاقة؟"

إذا كنت مصمِّمًا، فمن خلال عطية النعمة، تكون خلَّاقًا ومبدعًا في تصميماتك، حتى تصبح أنت المرجعية بين المصمِّمين. أنت تسبق كلَّ المصمِّمين حتى إنهم يتساءلون فيما بينهم: "من أين يأتي بهذه التصميمات المُبتَكَرة؟"

أما إذا كنت تعمل في مجال السياسة، فمن خلال عطية النعمة، تستخدم الحكمة المعطاة لك لحل المشاكل الاجتماعية التي فشل الآخرون في حلها. فأنت تضع القوانين، وتترقى بسرعة أكثر من زملائك؛ ففطنتك وتعقُّلك يجعلان الآخرين الذين يعملون في نفس المجال يتعجَّبون ويقولون: "من أين له كل هذه الحكمة؟"

إن كنت ممَّن يعملون في مجال القانون، فمن خلال عطية النعمة، تستطيع أن تكون مصدرًا للسلام في المواقف التي يتصارع فيها الآخرون. تستطيع أن تستدل على دلائل تساعدك على الوصول للغز القضية أسرع من أي مُخبِرٍ آخر. بصيرتك وحكمتك يجعلان زملاءَك الذين يعملون معك في نفس المجال يتساءلون: "من أين له كل هذا الفهم والذكاء؟"

كرجل أو سيدة أعمال، من خلال عطية النعمة تستطيع أن تطوِّر التقنيةَ التي تستخدمها في البيع والتسويق، وبالتالي، تتفوق على أقرانك. تستطيع أن تميِّز بين ما يُدِرُّ ربحًا والنقيض. تستطيع أن تعرف متى تبيع ومتى تشتري. رجال الأعمال الآخرون يتعجبون محاولين أن يكتشفوا سببَ نجاحك.

هذه ليست أمثلةً غير واقعيةٍ، لكنها أمثلةٌ لما يجب أن نكون عليه. كلٌّ منا مدعو لقطاعٍ مختلفٍ في المجتمع. لكن، أينما وُجِدنا، يجب أن تكون سمات القيادة واضحةً فينا؛ فأعمالنا لا يجب أن تعاني، عندما يعاني الآخرون. مجتمعاتنا يجب أن تكون آمنةً، مُبهِجةً ومزدهرةً. أماكن عملنا يجب أن تكون مزدهرةً. موسيقانا يجب أن تكون عذبةً وأصيلةً – فيقلِّدنا الموسيقيون الدنيويون بدلًا من أن نقلِّدهم نحن.

الأمر ينطبق أيضًا على فنوننا، وتصميماتنا المعمارية؛ فالإبداع في عائلة الله يجب أن يكون مُلهِمًا ومثالًا يَحتذِي به الآخرون في كل المجالات. أداؤنا في كل المجالات، الرياضية، الفنون، الإعلام أو أية مجالاتٍ أخرى، يجب أن يكون مثالًا يُحتَذَى به. وستزدهر مجتمعاتُنا عندما يسود البرُّ.

في أي مجالٍ أو مكان يشارك فيه المؤمنون، يجب أن يسود الإبداعُ، الإنتاجُ، الهدوءُ، الحساسيةُ والتميُّزُ؛ يجب أن نكون أنوارًا في وسط ظلمة هذا العالم.

اكتشف تميُّزك

نحن الذين تمتَّعنا بقوة نعمة الله، نحتاج أن نُبرِز تفوُّقَنا في كل مجالات الحياة. اقرأ هذه الشهادة عن دانيال بعناية:
"فَفَاقَ دَانِيآلُ هذَا عَلَى الْوُزَرَاءِ وَالْمُرَازِبَةِ، لأَنَّ فِيهِ رُوحًا فَاضِلَةً. وَفَكَّرَ الْمَلِكُ فِي أَنْ يُوَلِّيَهُ عَلَى الْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا" (دا ٦: ٣).

يا لها من شهادةٍ رائعةٍ! لقد اكتشف دانيالُ التميُّزَ الذي فيه؛ فالنص لا يخبرنا أن "الله رأى تفوق دانيال". لكن كل الترجمات توضِّح أن دانيال، ذلك الشاب، اكتشف تميُّزَه وتفوقَه.

كيف استطاع أن يفعل ذلك؟ كان يتمتع بصفاتٍ استثنائيةٍ بسبب صلته بالله. لقد تدرب دانيالُ على أن يكون بالقرب من الله وفي اتصالٍ دائمٍ مع الخالق. اليوم، لا يجب أن يختلف الأمرُ مع أي شخصٍ دخل في عهدٍ مع الله.

في ترجمة (The New American Standard Version)، نقرأ: "فأبدى دانيالُ تفوُّقًا ملحوظًا... لأنه كانت لديه روح غير عادية". كلمة "غير عادي" تعني "فوق الطبيعي، تخطي الوضع الراهن والمقاييس المعتادة". أحيانًا، نستطيع أن نفهم الكلمةَ بصورةٍ أوضح عندما نضع عكسَ هذه الكلمة وهو: "عام، معتاد، عادي". لذلك، فإن الحياة العادية هي عكس ما تحياه الروح الفاضلة.

يخبرنا النصُّ أن دانيال كان يتمتَّع بروحٍ غير عاديةٍ، ولم يذكر ذلك على عقله أو جسده. إذا كانت الروح غير عادية، فيستتبع ذلك الحكمة، المعرفة والإبداع؛ فالروح هي التي تشكِّل حياتَنا. إذا أدركنا مقدارَ النعمة التي لنا، نستطيع أن ندرك أنه لا توجد حدود؛ لأنه **"إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ" (مر ٩: ٢٣)**. من خلال العهد الذي بين دانيال وبين الله القدير، أدرك دانيالُ أنه هو المتحكِّم في الظروف، وليست الظروف التي تتحكم فيه. فهو الرأس وليس الذيل.

لنفكِّر في الأمر بعمق أكثر. لقد أُخِذ دانيالُ وأصدقاؤه الثلاثة من أمتهم الصغيرة إسرائيل، إلى أقوى أمةٍ في العالم. كانت بابل تحكم العالمَ بأكمله في ذلك الوقت. كانت بابل الأقوى اقتصاديًّا، سياسيًّا، عسكريًّا، اجتماعيًّا، علميًّا وفي كل المجالات الأخرى. إلا أننا نرى تميُّزَ دانيال وأصدقائه الثلاثة في معرفتهم عشرة أضعاف القادة الآخرين في المملكة **"وَفِي كُلِّ أَمْرِ حِكْمَةِ فَهْمٍ الَّذِي سَأَلَهُمْ عَنْهُ الْمَلِكُ وَجَدَهُمْ عَشَرَةَ أَضْعَافٍ فَوْقَ كُلِّ الْمَجُوسِ وَالسَّحَرَةِ الَّذِينَ فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ" (دا ١: ٢٠)**. لقد قدَّموا اقتراحاتٍ وأفكارًا لم يفكِّر فيها حكماءُ بابل.

أعظم من دانيال، أعظم من يوحنا

من خلال هذا الفهم، اقرأ كلمات الرب يسوع: **"إِنَّهُ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (لو ٧: ٢٨)**. هذا يُعني أن يوحنا أعظم من دانيال. لا نحاول أن نقارن بين الاثنين، يوحنا عمل في مجال الخدمة، أما دانيال فكان يعمل في

مجال العمل المدني. إلا أن الرب يسوع كان قاطعًا في أن يوحنا "الأعظم". لكنه يكمل حديثه ويقول: **"وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ" (لو ٧: ٢٨).**

لماذا يُعتَبَر الأصغر في ملكوت السماوات أعظم من دانيال ويوحنا؟ لم يكن الرب يسوع قد ذهب إلى الصليب حينذاك ليحرِّر البشرَ. لذلك لم يكن يوحنا قد وُلِد ولادةً ثانيةً. لم يكن جزءًا من جسد المسيح. لا يمكن القول: "كما أن المسيح كائنٌ في هذا العالم، هكذا أيضًا يوحنا المعمدان". لم يقُم يوحنا من بين الأموات مع المسيح، ولم يجلس عن يمين العظمة في الأعالي مع المسيح. لكن كل هذه الحقائق تنطبق علينا اليوم. لهذا السبب، فإن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم من يوحنا.

تقريبًا، هناك حوالي بليوني مؤمن منذ قيامة المسيح. إذا كان ترتيبك الأخير بين المؤمنين، فأنت مازلت أعظم من يوحنا المعمدان! هذا يعني أنك بالتأكيد أعظم من دانيال! السؤال هنا: "هل تقدِّر نفسك؟ هل أنت أفضل ممَّن تعمل معهم عشرة أضعافٍ في الحكمة، الفهم، الذكاء والإبداع؟ (كذلك، هل أنت متميِّز عمَّن تعمل معهم عشرة أضعافٍ في الصبر، المحبة، الالتزام، الحنان، كرم الضيافة والسخاء؟)" إذا كانت الإجابة لا، فلماذا؟ لماذا معظم المؤمنين المولودين ولادةً ثانيةً ليسوا أكثر تميُّزًا من زملائهم بعشرة أضعافٍ؟ هل هذا لأن ٢ ٪ فقط من المؤمنين يدركون أن النعمة هي القوة التي تمكِّننا من أن نتخطى إمكانياتنا الطبيعية فنستطيع أن نرى تميُّزَنا كما كان دانيال يدرك تميُّزَه؟ (لاحظ: أننا يجب أن نحمل أحمالَ الضعفاء في الكنيسة. إلا أن الكتاب المقدس لا يخبرنا أن يظل الضعفاء هكذا طوال العمر؛ فهم أيضًا عليهم أن يدركوا تميُّزَهم في دوائر تأثيرهم في هذا العالم).

أعلن الربُّ يسوعُ أننا "نور العالم" (انظر مت ٥: ١٤). إن هذه الإشارة أن أولاد الله أنوارٌ في العالم قد وردت كثيرًا في العهد الجديد؛ فالشواهد الآتية تؤكِّد ما قاله الربُّ يسوعُ: (مت ٥: ١٤ -١٦)، (لو ١٢: ٣)، (يو ٨: ١٢)، (أع ١٣: ٤٧)، (رو ١٣: ١٢)، (أف ٥: ٨)، (كو ١: ١٢)، (في ٢: ١٥)، (١ تس ٥: ٥)، (١ يو ١: ٧، ٢: ٩ -١٠). أعتقد أنك تستطيع أن ترى بوضوحٍ أن هدفًا أساسيًّا في حياتنا المسيحية هو أن نكون أنوارًا في وسط عالمٍ مظلمٍ.

هل توقَّفت لتتأمل عن معنى أن تكون نورًا في العالم؟ للأسف، يعتقد الكثيرون أن عبارة: "تكون نورًا" معناها أن تتصرف بلطفٍ، أن تحمل كتابك المقدس حيثما تذهب، وأن تقتبس ما جاء في (يو ٣: ١٦) كثيرًا. ماذا لو أن هذا كان فهم دانيال لكونه نورًا؟ ماذا

لو أنه تحرك بين المكاتب وتعامل مع الموظفين بلطفٍ، وقال لهم: "يا أيها القادة البابليون، مزمور ٢٣ يقول: "الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء"؟

ماذا كان سيقوله الموظفون بعضهم لبعض، عندما يخرج دانيال من المكتب ليصلي في الفترة المخصَّصة لتناول الغداء؟ هل يمكنك أن تتخيَّل حديثًا كهذا؟ أعتقد أنه سيكون شيئًا من هذا القبيل: "نحن سعداء أن هذا المتعصب خرج من المكتب. نتمنى أن يستمر في الصلاة لوقتٍ طويل. إنه شخص غريب جدًّا!"

لماذا وضعوا قانونًا يمنع دانيال من الصلاة؟ (انظر دا ٦: ٦ –٨). السبب الوحيد المنطقي هو أن دانيال كان يتمتَّع بذكاءٍ وحكمةٍ تفوق أقرانَه بعشرةِ أضعافٍ – عشرة أضعافٍ أكثر في المعرفة، الإبداع والابتكار. لقد كان يترقى ترقيات متتاليةً، حتى أصبح رئيسًا لهم. لقد كانوا متحيِّرين. أتصورهم وهم يتذمَّرون ويقولون لبعضهم البعض: "لا نستطيع أن نفهم ما يحدث. لقد تدرَّبنا على أيدي أفضل المدرِّبين والعلماء. من أين حصل دانيالُ على كل هذا العلم مع أنه أتى من بلدةٍ صغيرةٍ؟! من أين يأتي بكل هذه الأفكار؟! كيف يمكن أن يكون أفضل منا بهذا القدر؟! لابد أن كل هذا بسبب صلواته. إنه يصلي لإلهه ثلاث مرات في اليوم! لنُصدِر قانونًا يمنعه من الصلاة حتى لا يستمر أكثر تميُّزًا منا!"

كان دانيالُ نورًا مضيئًا وسط عالم مظلم؛ لأنه كان شخصًا متميزًا. كان زملاؤه لا يحبون ذلك، كانوا يغيرون منه. لكني أتصور أن كثيرين ـ بمن فيهم الملك ـ كانوا يرون دلائل على وجود الله، من خلال قدرات دانيال. كان تفوق دانيال جذَّابًا، جعل القادةَ يقدِّرون إلهَ دانيال. لم تكن معلومات دانيال الكتابية، ولا كونه لطيفًا، ولا لأنه يصلي ثلاث مرات في اليوم هو ما جذب الآخرين، لكن ما جذبهم هو تميُّز دانيال في مجال عمله.

في ضوء هذا، لنستمع إلى كلمات الرب يسوع: **"فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٥: ١٦).** يتحدث الرب يسوع بالتحديد عن أعمالنا التي تظهر أمام غير المؤمنين.

نماذج معاصرة

لديَّ صديق اسمه "بن"، يعمل نائب مدير لواحدةٍ من أكبر الشركات في العالم في مجال السيارات. في إحدى الأمسيات، أثناء تناولنا طعام العشاء معًا، حكى لي عن تاريخه في مجال العمل قبل أن يترقى لهذا المنصب. كان يعمل في فريق المهندسين ذوي الخبرة الطويلة في شركةٍ منافسةٍ. قال لي: "جون، كنت أقرأ في سفر دانيال عن تميُّز دانيال وأصدقائه الثلاثة، عشرة أضعاف أكثر من باقي زملائهم. صليت: «يارب، إذا كان دانيال وأصدقاؤه قد تفوقوا على زملائهم عشرة أضعافٍ، وهم كانوا في العهد القديم، لذا يجب أن أتفوق على أقراني عشرة أضعافٍ على الأقل لأني في العهد الجديد، عهد النعمة»".

أكمل صديقي حديثَه قائلًا: "في نهاية العام، عملت الشركةُ دراسةً عن مقدار الإنتاج والمال الذي استطاع كلٌّ من المهندسين تحقيقه للشركة". هذه الدراسة أظهرت كفاءة كل واحدٍ من أفراد الفريق ومقدار إنتاجيته. ثم قال: "ثاني أفضل موظف كان قد حقَّق خمسةً وثلاثين مليون دولار إنتاجيةً في هذا العام. هل يمكنك أن تخمِّن ما حققتُه؟"
ابتسمت، محاولًا توقُّع ما سيقول، وقلت: "ماذا حققت؟"

قال: "لقد حققتُ ثلاثمائة وخمسين مليون دولار؛ أي عشرة أضعاف أفضل موظف". هذا يفسر كيف استطاع بن أن يصل لهذا المنصب في واحدةٍ من أكبر الشركات في أمريكا.

أتذكَّر زوجين يعملان معنا في فريق الخدمة، أحضرا ابنيهما في أحد الاجتماعات التي كنت أقدم فيها هذه المبادئ. بعد انتهاء الخدمة، سأل الابن الأصغر تايلر والده، وكان وقتئذٍ يبلغ من العمر أحد عشر عامًا، وقال: "لأني أتمتع بنعمة الله، يجب أن أكون أفضلَ من أي لاعبٍ آخر في دوري كرة القدم في مدينتنا".
بدلًا من أن أحكي قصة تايلر في دوري كرة القدم في الموسم التالي، دعوني أشارككم برسالةٍ من والديه:

"عزيزنا جون،

نريد أن نخبرك بوضع تايلر في الموسم الماضي (تسع مباريات ما بين محلية ودولية). هذه هي بطوله كلورادو لسن من ١١-١٢ سنة.

يبلغ طول ابننا البالغ من العمر أحد عشر عامًا، ١٦٢ سم، ووزنه ٤٧ كجم. أود أن أقول لك إن وزنه مثاليٌّ.

في بداية الموسم، كان قائد الفريق يراقبه وهو يتدرب في المعسكر السنوي لكرة القدم. قال: "يبدو أن سرعة تايلر أكثر عشر مرات عن سرعته في العام الماضي".

بدأ تايلر في النبوغ وظهر هذا في المباريات، لدرجة أنه في منتصف الموسم بدأ مدرِّبو الفرق المنافسة الأخرى يبنون خطوط دفاعاتهم واضعين تايلر في الاعتبار. كان المدرِّبون أثناء المباراة ينادون على لاعبيهم: "لاحظ ٦٨!" هل يستطيع أحدٌ أن يُوقِف ٦٨؟ ماذا تفعلون؟ إنه سوف يسحقكم! كان تايلر هو رقم ٦٨.

كانت الجماهير التي لا يعرفها تنزل من المدرجات بعد المباراة لتُحيِّيه وتجري حوارات معه. كان يستغرب هذا الأمر، لكننا قلنا له إن نعمة الله هي التي أعطت له هذا التأثيرَ، وإن عليه أن يستمر متَّكلًا عليه ويثق فيه. لقد نصحناه أن يتعلم استخدام تميُّزه بالطريقة الصحيحة.

الخُلِصان چيم ، وكيلي"

من المدهش لي أن أرى كثيرين من الشباب يؤمنون بكلمة الله ويتصرفون بموجبها. لقد وضع تايلر نموذجًا عظيمًا نحتذي به جميعًا!

النعمة التي داخلنا

لماذا لا نصدق ببساطة ما أعلنه اللهُ في كلمته؟ فالعهد الذي قطعه معنا يقول: **"وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا" (أف٣: ٢٠)**. إنه ليس بحسب القوة التي تأتي من السماء بطريقةٍ دوريةٍ، ولا بحسب القوة التي تأتي من اكتشاف رجلٍ أو امرأةٍ يتمتَّعان بموهبةٍ خاصةٍ في الخدمة. لا، إنه بحسب القوة التي تعمل فينا.

انتبه للجزء الأول من هذه الآية: "اللّه قادرٌ". تخيَّل أن مجاعةً شديدةً حدثت في منطقةٍ معيَّنةٍ من العالم، لكن هيئةً خيريةً سخيةً في منطقة أخرى في العالم

أرسلت طائرات وسفنًا محملةً بالخضروات، الفواكه، الحبوب، اللحوم، والمياه العذبة لهذه المنطقة المنكوبة. يعلن القائدُ العسكريُّ للمواطنين: "نستطيع أن نقدم لكم أطعمةً على قدر ما تستطيعون أن تحملوا". يأتي الشخصُ الأولُ بسلة رحلاتٍ، ويأخذ ما يكفي لشخصين لمدة يومين. الشخص الثاني يأتي بشنطةٍ كبيرةٍ، ويأخذ ما يكفي لأسرته لمدة خمسة أيام. أما الشخص الثالث فيأتي بسيارة نصف نقل، ويأخذ ما يكفي لأسرته وبعض الجيران لمدة شهر.

الشخص الذي ملأ سلةَ الرحلات، رأى السيارةَ المحملة بأكثر من طن من الأطعمة. لم يمتلئ هذا الشخص بالقلق فحسب، لكنه استشاط غضبًا! بدأ يشتكي للجيران، ولكل شخصٍ يقابله، وفي النهاية، وصلت شكواه للقائد العسكري الذي استدعاه وسأله: "لقد أُعلنتُ أنك تستطيع أن تأخذ ما شئت من الطعام. لماذا أتيت بوعاءٍ صغير؟ لماذا لم تأتِ بوعاءٍ كبيرٍ؟ لماذا لم تأتِ بسيارتك إلى الموقع لتحمِّلها بالطعام؟"

ما هو وعاء المؤمن عندما يتعلق الأمر بنعمة الله؟ بحسب ما جاء في (أف ٣: ٢٠)، هو كل ما نطلب أو نفتكر. الله يقول: "نعمتي (قوتي) فيك أكبر من أي وعاءٍ تُحضِره!" بكلماتٍ أخرى، الوعاء الذي لنا هو الذي سيحدِّد مقدارَ ما نأخذ من المصدر غير المحدود.

أوعيتنا هي الشيء الوحيد الذي يحد اللّه.

فأوعيتنا هي الشيء الوحيد الذي يحد الله. الله يسألك ويسألني: "لماذا أنت محدود في توقُّعاتك؟ لماذا تفكر فقط في نفسك وفي أسرتك؟ لماذا لا تستخدم كلَّ الطاقات الكامنة التي وضعتُها فيك وتكون مؤثرًا مثل دانيال؟"

لهذا يصلي بولسُ الرسول لنستطيع أن نفهم وندرك: **"وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ" (أف ١: ١٩).**

تأمل اختيار بولس للكلمات: غير قابلة للقياس، غير محدودة، عظمة فائقة. عندما يتعلق الأمرُ بقوة الله في حياتك، ماذا تعني هذه الكلمات لك؟ لاحظ أن بولس يتكلم عن "قوته فينا"، وليس عن قوةٍ نحصل عليها بطريقةٍ دوريةٍ من خلال أحد الخدام الذي أراد الله أن يباركه في ذلك اليوم. إنها قوةٌ لنا لنستطيع أن نشعر بتميُّزنا، وهكذا يستطيع الآخرون أن يروا قوة قيامة المسيح فينا. إنها القوة التي لنا لنستطيع أن نضيء في وسط هذا العالم المظلم.

الآن، يجب أن نسأل: "هل تعيش في مستوى أقل من الثمن الذي دفعه الربُّ يسوعُ فيك؟" إذا كنت أمينًا مع نفسك، فإجابتك ستكون: "نعم". إن تقديرنا المتدنِّي لأنفسنا جعلنا لا ندرك مقدارَ الطاقات الكامنة بداخلنا التي نستطيع بها أن نكون مؤثرين في هذا العالم لامتداد ملكوت الله.

لماذا نستسلم كثيرًا لأسلوب العالم في عدم الإيمان؟ فمثلًا عندما يحدث ركودٌ اقتصادي، لماذا نخاف نحن المؤمنون ونضطرب مثل الآخرين؟ أحيانًا، أظن أننا يجب أن نعيد صياغة (في ٤: ١٩) فنقول: "فيملأ إلهي كلَّ احتياجكم بحسب ما يعلنه وول ستريت، النظام المصرفي العالمي، والاقتصاد". أليس هذا ما تصرفنا بموجبه أثناء الركود الذي حدث مؤخرًا؟ لكن بحسب الحق المُعلَن في كلمة الله، يجب أن تزيدنا الأوقاتُ الصعبةُ لمعانًا لننير أكثر من أي وقتٍ آخر! الموارد لا تترك كوكبَنا أثناء فترة الركود، الأفكار لا تصبح محظورةً، الإبداع لا ينضب، الابتكار والعمل الجاد لا ينقرضان. هذه الساعات المظلمة، هي التي يظهر فيها أولاد الله، عندما ينعش اللهُ بقوته داخل المؤمنين الأفكارَ الكثيرةَ التي تجلب الأموالَ وتساعد الناسَ. الكساد يعني أن القنوات الطبيعية لجلب الأموال مُعطَّلةٌ، لذلك نحتاج لقنواتٍ جديدةٍ ومُبتَكَرةٍ. أنا وأنت يجب أن نكون الأشخاص الذين يأتون بهذه القنوات؛ لأن قدراتنا الإبداعية لن تنضب أبدًا!

في عام ١٩٢٠م، كان يجب إخبار "إيمي سامبل مكفرسون" أنه مستحيل على امرأةٍ في هذا العهد أن تبني قاعة محاضرات تتسع لخمسة آلاف شخصٍ في وسط لوس أنجلوس. كان يجب أيضًا أن تُخبَر بأن تدعيم ذلك المكان مستحيل في أثناء فترة الركود العظيم في الولايات المتحدة. لكنها قامت بهذا المشروع وأتمَّته. لقد ألقيتُ عظةً في هذه القاعة، وهناك كنيسةٌ كبيرةٌ تجتمع في هذا المكان. قيل إن مُنتِجي هوليوود كانوا يتسللون لخدمة يوم الأحد التي تقدِّمها إيمي ليأخذوا بعضَ الأفكار من وسائل الإيضاح التي كانت تستخدمها أثناء الخدمة. كانوا يقلِّدون هذه الأفكار فيما يقدمونه في هوليوود. كان لإيمي تأثير على العالم، كانت تضيء كنورٍ في وسط العالم.

أقارن خدمة إيمي ببرنامجٍ تليفزيوني شاهدتُه مؤخَّرًا. كان رجلٌ يرنِّم ترنيمة "Amazing grace" أمام عددٍ كبيرٍ من المستمعين. كان يجلس في مقدمة المستمعين ثلاثة أشخاص على مائدةٍ للتحكيم. بعد أن انتهى الرجلُ من الترنيم، بدأ الأشخاص

الثلاثة في تقييم أدائه. شعرت بالصدمة لما سمعته من المحكمين: "أداء جيد، تعبيراتك ضعيفة، طبقة صوتك كانت عالية..."

شعرت بالإحباط وصرخت: "يارب، أنت خلقت الكونَ بكل ما فيه من إبداعٍ في البحار وما بها من مخلوقاتٍ والجبال الصخرية الخرافية. أنت تعيش فينا، ونحن نلجأ لغيرك لنستمد منه الإلهامَ!" فكر معي: إيمي أثَّرت في هوليوود بابتكاراتها، لكننا نفتقد ذلك الإبداعَ؛ لأن النعمة غير مُفعَّلة داخلنا، فاتَّجهنا لهوليوود لنستمد منها الإلهامَ.

لقد شعرت بحزنٍ عميقٍ، وفكرت في هذا الأمر طويلًا حتى وصلت إلى خلاصةٍ، إذا كان كل ما نعلِّمه أن النعمة تغفر خطايانا وتمنحنا مكانًا في السماء فقط، فلن نستطيع أن نكون أنوارًا في وسط هذا العالم. إن رغبتنا أن نخلق رسالةً بسيطةً وسهلةً لا تحتاج لثباتٍ في الإيمان، أو للحرب في حياة الإيمان، جعل اللّهَ يحزن علينا وهو يقول: "سأسمح لكم أن تتحمَّلوا الشعور بالخجل نتيجةً لاختياركم حكمتكم الشخصية".

لماذا لم نصدق وعودَه وشروطَه؟ لماذا حاولنا أن نجعل حكمتَه تلائم ظروفَ حياتنا بدلًا من أن نسعى لتغييرٍ جذريٍّ لحياتنا بموجب ما أعلنه من حقٍّ؟

خبرتي مع النعمة

من أسوأ المواد التي كنت أعاني منها في المدرسة، اللغة الإنجليزية، وخاصةً التعبير المبدع. كنت أرتعش عندما أُعطَى أي واجب يشتمل على كتابة. كنت أستهلك من ثلاث إلى أربع ساعات في كتابة موضوعٍ مكوَّن من صفحةٍ أو اثنتين. كنت أجلس شاردًا أمام ورقةٍ فارغةٍ لوقتٍ طويلٍ محاولًا أن أجد من أين أبدأ (بالطبع كان هذا قبل اختراع الكمبيوتر الشخصي). كنت أكتب جملةً، أطيل النظرَ فيها، أتخيل بشاعتها، ثم ألقي الورقة. في المحاولة التالية، قد أكتب جملتين، ثم أصل لنفس القناعة إنها فظيعة، وألقي بالورقة. كان الأمر يستمر حتى أفقد عدة أوراق والكثير من الوقت. بعد حوالي ساعةٍ، أجد نفسي قد كتبت فقرةً أو اثنتين لهما معنى. لكن، برغم أنني كنت أقيِّم الواجب على أنه جيد، إلا إني كنت أحصل على تقدير منخفض.

كنت أتساءل: "هل مدرِّسو اللغة الإنجليزية أجازوني للمرحلة التالية حتى لا يضطروا أن يدرِّسوا لي سنةً أخرى؟" ربما تعتقد أني أبالغ. الحقيقة، أني حصلت على ٣٧٠ درجة من ٨٠٠ درجة في امتحان اللغة الإنجليزية، أي حوالي ٤٦ ٪. من حسن الحظ، أنني كنت مميَّزًا في مادتي العلوم والرياضيات، لذلك، استطعت أن ألتحق بكلية الهندسة في جامعة بوردو.

لذلك، عندما تحدث لي اللّهُ في الصلاة في سنة ١٩٩١م، وأخبرني: "يابنيَّ، أنا أريدك أن تكتب"، شعرت بأن الله قد أخطأ خطأً كبيرًا. فكرت في نفسي، الله لديه أبناء كثيرون في كل الأرض، هل يمكن أن يكون قد خلط بيني وبين شخصٍ آخر؟

أشعر بالخجل وأنا أعترف هذا الاعتراف. لقد بدا طلبه لي سخيفًا. لذلك لم أفعل شيئًا. في ذلك الوقت، لم أكن أدرك ما شاركتُه معكم عن قوة نعمة الله المذهلة.

بعد عشرة أشهر من ذلك الوقت، تقدمت إليَّ سيدتان من ولايتين مختلفتين، إحداهما من تكساس، والأخرى من فلوريدا. تحدثت كلٌّ منهما معي نفس الكلمات، وكان يفصل بين حديثهما أسبوعين، قالت: "جون بيفير، إذا لم تكتب الرسائل التي أعطاها لك اللّهُ، سيعطيها لشخصٍ آخر، وأنت ستُعاقب على عدم طاعتك".

عندما سمعت السيدة الثانية تقدم نفسَ التحذير بعد أسبوعين، شعرت بخوف الله يمتلكني. الأفضل أن أصغي، الأفضل أن أكتب! لكني مازلت مقتنعًا أن الله أخطأ في اختياره. لم تكن لديَّ القدرة على كتابة عشر صفحات، فكيف يمكن أن أكتب كتابًا؟!

في يأسٍ، كتبت على ورقةٍ عقدًا مع الله، فيه: "أحتاج لنعمتك، لا أستطيع أن أقوم بهذا العمل بدونك". ثم وقَّعت على هذه الورقة وكتبت تاريخَ ذلك اليوم.

بعد ذلك، جلست لأكتب. لم تكن لديَّ خطة للكتابة؛ لأني لم أكن أعرف أسلوبَ الكتابة. لقد كانت بداخلي فكرة عامة أريد أن أكتب فيها. فجأة، بدأت الأفكار ترد إلى ذهني، أفكار لم أفكر فيها من قبل، ولم أسمع أحدًا يتحدث فيها من قبل. بدأتُ أكتب وأكتب. وهكذا كتبتُ ما يملأ كتابًا. بعد ذلك، كتبت كتابًا ثانيًا ثم كتابًا ثالثًا. اليوم، ألَّفت خمسة عشر كتابًا، بيع منها ملايين من النسخ. كذلك نُشِرت في أكثر من ستين لغةٍ

حول العالم. أحد هذه الكتب، Drawing Near، وقد حصل على جائزة أعلى مبيعات على مستوى العالم سنة ٢٠٠٤م، وكثير من الكتب حصل على أعلى مبيعات على مستوى الولايات المتحدة.

ألا ترى؟! على أساس إمكانياتي "الشخصية" لا يمكن أن يرجع الفضل لي؛ إنها نعمة الله!

لقد وقفتُ في ملعبٍ كبير للهوكي في أوروبا بين أكثر من ثمانية آلاف شخصٍ، معظمهم قادة، وسألتهم: "من منكم قرأ واحدًا من كتبي؟" لدهشتي، تقريبًا كل الحاضرين رفعوا أيديهم. في مؤتمرٍ دولي في أوروبا الشرقية؛ حيث سأل المضيف ستة آلاف قائد من أكثر من ستين دولة إذا كانوا قد قرأوا على الأقل كتابًا واحدًا من كتبه بلغتهم. لقد شعرتُ بالانبهار عندما رأيت حوالي ٩٠ ٪ من الحاضرين يرفعون أيديهم. لقد قيل لي من ناشرين إيرانيين (في وقت كتابة هذا الكتاب، سبعة كتب كانت قد تُرجِمت إلى اللغة الفارسية): "أنت واحد من أكثر الكتَّاب المسيحيين الذين يقرأ الإيرانيون كتاباتهم". مثل هذه التقارير تصلني باستمرار. يا لها من نعمةٍ!

دعوني أشارككم بحلمٍ لديَّ: أريد أن أقابل مدرِّسي اللغة الإنجليزية الذين كانوا يدرِّسون لي، وأريهم الخمسة عشر كتابًا التي كتبتها بنعمة الله، أراقبهم وهم يشعرون بالإغماء، ثم أفيقهم وأقودهم للمسيح. بالتأكيد سيمكنهم أن يروا بوضوحٍ نعمةَ الله العجيبةَ في حياتي!

لهذا السبب، يعلن الرسول بولس: **"وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا" (١ كو ١٥: ١٠).** استمع لي أيها القارئ العزيز: أنت لست ما أنت عليه، ليس بسبب العائلة التي وُلِدت فيها، ولا المكان الذي نشأت فيه، ولا بسبب أصدقائك، ولا بسبب مستوى تعليمك، ولا لأنك ذكر أو أنثى. لكن ما أنت عليه هو بسبب نعمة الله!

في بداية حياتي، كنت متحدثًا مملًّا. بعد أن تزوجنا أنا وليزا، عندما ذهبت معي في إحدى عظاتي، شعرت بالنوم يغالبها بعد عشر دقائق فقط من بداية العظة. صديقتها إيمي التي كانت تجلس بجوارها، نامت هي الأخرى، وكنت أستطيع أن أراها تنام نومًا عميقًا، استمرت الاثنتان نائمتين طوال العظة.

منذ عدة سنوات، وجدت ليزا شريط فيديو مسجَّل عليه إحدى عظاتي في سنة ١٩٨٤م. أدارت الشريط، لكني صرخت بعد ثوانٍ: "ليزا، ارمي هذا الشريط!" أخذت ليزا الشريط واحتضنته بين يديها وبدأت تضحك من كل قلبها ثم قالت: "لا يمكن! هذه مادة لابتزازك!"

اليوم، من خلال قوة نعمة الله، تحدثت أمام خمسة آلاف، عشرة آلاف، وحتى عشرين ألف شخصٍ في أنحاءٍ مختلفةٍ من العالم. سألني الناس: "هل تشعر بالتوتر قبل أن تعظ؟"

أجبت: "لا، مطلقًا".

هم يتحيَّرون من ردي. "كيف يمكنك أن تواجه هذا العددَ من الناس ولا تشعر بالتوتر؟"

لهذا يقول الرسول بولس: **"فَانْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ" (١كو ١: ٢٦)**. لماذا؟ لأن الحكيم، القوي أو الشريف سيعتمد على إمكانياته الشخصية لا على النعمة.

كان بولس في بداية حياته واحدًا من الحكماء والشرفاء. لقد أعلن في **(في٣: ٤): "مَعَ أَنَّ لِي أَنْ أَتَّكِلَ عَلَى الْجَسَدِ أَيْضًا"**. لكن بولس اختار أن يتَّكل على النعمة: **"لكِنْ مَا كَانَ لِي (حكمة، قوة، نبل) رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً" (في ٣: ٧)**. لماذا هذه الصفات البشرية لا قيمة لها؟ لأن بولس أراد أن يسلك في النعمة المتفاضلة، عن أن يتَّكل على إمكانياته الشخصية **"لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ" (في ٣: ١٠)**. هذا لا يعني أن بولس لم يكن مقدِّرًا لذاته، لكنه درس باجتهادٍ ليعمِّق قدراته، صلَّى بحرارةٍ ليمتلئ من معرفة إرادةِ الله في كلِّ حكمةٍ وفهمٍ روحي. لقد أدرك بولس قدراته، لكنه وثق في نعمة الله التي تستخدم إمكانياته وتنقلها إلى مجال قوة الله.

إذا كنت تلميذًا، يجب أن تجتهد في دراستك، لكنك يجب أن تثق في نعمة الله التي تستطيع أن تدفعك لمزيدٍ من الإنجاز الذي لا تستطيع تحقيقه بإمكانياتك الشخصية. إذا كنت طبيبًا، يجب أن تستمر متابعًا لأحدث الاكتشافات الطبية، لكن ثقتك لا يجب أن تكون مؤسَّسةً على إمكانياتك ودراستك، بل في الحكمة التي يهبها اللهُ لك من خلال نعمته. إذا كنت رياضيًّا محترفًا، يجب أن تجتهد في التدريب، لكن ثقتك تنبع من النعمة التي تجعلك تتفوَّق على غير المؤمنين في مجالك.

تذكر ما قيل في الفصل الأول: إن الله الخالق المحب كتب السيرةَ الذاتيةَ لكلٍّ منا قبل أن نولد. لقد رأينا كلمات التسبيح التي كتبها داود: **"رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا"** (مز ١٣٩: ١٦).

دعني أخبرك عن سيرتك الذاتية. من المستحيل أن تحقق السيرةَ الذاتيةَ التي كتبها لك اللهُ بإمكانياتك الشخصية. إذا كان الله قد صمَّم سيرتَك الذاتيةَ بحيث تستطيع تحقيقها بمفردك، إذًا فهو سيشارك مجدَه معك. الله لا يفعل ذلك! فهو يعلن بوضوح **"أَنَا الرَّبُّ هذَا اسْمِي، وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ"** (إش ٤٢: ٨). لهذا، قَصَد اللهُ أن يكتب السيرةَ الذاتيةَ لكلٍّ منا، وبها أكثر من إمكانياتنا الشخصية حتى نحتاج أن نتَّكل على نعمته لتحقيقها. وهكذا يأخذ هو كلَّ المجد!

هذا ما أقوله للناس عن الكتب التي كتبتُها. لا أحد يدرك أكثرَ مني من الذي ألَّف هذه الكتب. إنها أكبر من إمكانياتي. اسمي مكتوب عليها لأني أول شخص قرأها. أنا أعرف ما أنا عليه بفضل قدرته ونعمته، ليس لي أي فضل في شيءٍ. نعم، إنها عطية الله المجانية.

إلا أن الواقع المنذر بالخطر هو أن ٢ ٪ فقط من المؤمنين في أمريكا يدركون قوة نعمة الله التي تمكِّنهم من تحقيق سيرتهم الذاتية المكتوبة مسبقًا. كيف يستطيع الـ ٩٨ ٪ أن يحققوا دعوتهم بإمكانياتهم الشخصية؟ الحقيقة أنهم لا يستطيعون ذلك. هل لهذا السبب لا نرى تأثيرًا ضخمًا في مجتمعاتنا؟

طريقة الوصول

عطيةٌ مجانيةٌ!

هذه القوة التي أتحدث عنها، نعمة الله، لا تستطيع أن تكتسبها، تمتلكها أو تستحقها بمجهودك الشخصي. يؤكد الرسول بولس أن النعمة نقبلها فقط بالإيمان: **"لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ"** (أف ٢: ٨ -٩). كتب للمؤمنين في رومية: **"الَّذِي بِهِ أَيْضًا قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ، إِلَى هذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ، وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ**

اللهِ" (رو ٥: ٢). ما الذي يوصِّلنا إلى نعمة الله؟ إنه ليس العمل باجتهاد، ولا أن تكون سيرتك حسنةً، ولا أن تصلي ساعتين يوميًّا، ولا أن تصوم مرتين في الشهر – ليس أي شيء من مجهوداتنا الشخصية. نستطيع أن نحصل على هذه النعمة بالإيمان فقط!

إذًا، لماذا لا نؤمن؟ دعني أشرحها لك بهذا المثل: إذا نضب البئرُ الذي تستقي منه ماءً عذبًا، ستواجهك مشكلةٌ. بلا ماء عذب ستموت أنت وأسرتك خلال أيامٍ قليلةٍ. لكن هناك في آخر الشارع، يوجد صهريج كبير ممتلئ بالماء العذب، إحدى مواسيره الرئيسية تمر من أمام منزلك. ماذا ستفعل؟ ستذهب للبلدية وتأخذ إذنًا. ثم تشتري ماسورةً وترجع إلى البيت، وتحاول تثبيت الماسورة التي اشتريتها بالماسورة الرئيسية التي تمر من أمام بيتك. عندئذٍ ستصلك ملايين من جالونات المياه العذبة – أكثر من احتياجك أنت وأسرتك. ببساطة، الإيمان هو الماسورة التي نستقبل بها النعمة. إذًا، نستطيع أن نقرأ (رو ٥: ٢) في ضوء هذا التوضيح: "من خلال ماسورة الإيمان، نستطيع أن نصل إلى مياه النعمة التي نحتاجها". إنه أمرٌ في غاية البساطة: الطريق الوحيد الذي به تستطيع أن تتمتَّع بقوة النعمة هو عن طريق الإيمان. لهذا يعلن كاتب الرسالة للعبرانيين: **"لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا قَدْ بُشِّرْنَا كَمَا أُولئِكَ. لكِنْ لَمْ تَنْفَعْ كَلِمَةُ الْخَبَرِ أُولئِكَ. إِذْ لَمْ تَكُنْ مُمْتَزِجَةً بِالإِيمَانِ فِي الَّذِينَ سَمِعُوا"** (عب ٤: ٢).

الأشخاص الذين يشير إليهم، هم أولاد إبراهيم – ورثة وعود الله. رمزيًّا، كل قوة ومؤن السماء مرت من أمام بيوتهم وخيامهم. لكنهم لم يستفيدوا ممَّا قدمه اللهُ مجانًا؛ لأنهم لم يتصلوا "بماسورة الإيمان" ليقبلوا وعودَ الله من خلال كلمته.

نحن لا نستطيع أن نؤمن بما لا نعرفه.

بنفس المنطق، إذا كان ٢ ٪ فقط من المؤمنين في أمريكا يدركون أن النعمة هي قوة الله المجانية – القوة التي تجعلنا نجازف ونتخطَّى إمكانياتنا الطبيعية، وتمكِّننا من أن ننير في وسط العالم المظلم من خلال أعمالٍ عظيمةٍ – إذًا كيف نؤمن ككنيسة؟ كيف يمكننا أن نشارك في هذا الأمر؟ لقد أعلنها الرسولُ بولس هكذا:

"فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلاَ كَارِزٍ؟" (رو ١٠: ١٤).

إذا ظللنا نحن المؤمنون نجهل ما تعلنه كلمةُ الله عن نعمة الله القوية، فكيف نستطيع أن نؤمن؟ إذا لم تكن لدينا "الماسورة" التي توصِّلنا بالنعمة، لن نستفيد من الوعود التي أعلنها اللهُ في كلمته.

بالتأكيد هذا الأمر يكسر قلبَ الله. لقد دفع الربُّ يسوعُ ثمنًا باهظًا، لنتخطَّى ما استطاع دانيال ويوحنا المعمدان أن يفعلاه ونعمل أعظم منه – فنكون أمثلةً حيةً لحياته المزدهرة الوافرة. لكننا حدَّدنا معنى النعمة في مجرد غفران الخطايا والذهاب للسماء. برغم أهمية وروعة هذه العطايا، إلا أننا فشلنا في التمتُّع بقوة نعمة الله في حياتنا اليومية. وهكذا، أصبحنا غير قادرين أن نعمل عمل الله في وسط هذا العالم المظلم، وغير قادرين أن نعيش ثابتين لمجد الله.

لقد صرخ أتباعُ يسوع قائلين: **"مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللهِ؟" (يو ٦: ٢٨).** لقد شعروا بالإحباط. كانوا يريدون أن يساعدوا البشريةَ المتألمةَ من خلال إمكانية الله. لقد حثَّهم الربُّ يسوع أن يتمثلوا به. لكنهم صرخوا غاضبين: "كيف نستطيع أن نفعل ذلك؟" أجابهم يسوعُ: "بالإيمان" (يوحنا ٦: ٢٩).

الإجابة ببساطة: "الإيمان!" كل ما نحتاجه لتحقيق هذا هو الإيمان بكلمة نعمة الله. لهذا، شجَّع الرسولُ بولسُ المؤمنين في أفسس وقال لهم:
"وَالآنَ أَسْتَوْدِعُكُمْ يَا إِخْوَتِي للهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ، الْقَادِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثًا مَعَ جَمِيعِ الْمُقَدَّسِينَ" (أع ٢٠ : ٣٢).
كان بولسُ يعرف أنه سيترك أحبَّاءَه، وأن هذا هو حديثه الأخير معهم قبل أن ينطلق للسماء. عندما تعرف أنك تتكلم كلماتك الأخيرة، تختار الكلمات التي ستتركها لمن تحب. استودعهم الرسول بولس لا فقط لله، لكن أيضًا لكلمة نعمته.

أستمع اليوم لكثيرٍ من العبارات الجيدة التي يقولها بعضُ المؤمنين مثل: " يجب أن تثق في الله" أو "كل ما تحتاج إليه هو وجود الله في حياتك" أو"اقترب من الله". بالرغم من أن هذه النصائح توجِّه الآخرين في الاتجاه الصحيح، إلا أنها نصائح ناقصة. نعمة الله تبنينا وتعطينا ميراثنا. ما هو ميراثنا؟ إنه السيرة الذاتية التي كتبها اللهُ لكل واحدٍ فينا قبل أن يولد!

بسبب التعليم الناقص عن النعمة، يظن مؤمنون كثيرون (٩٨٪) أن قوة الله العجيبة متاحةٌ فقط عندما نصلّي ونصوم، أو عندما نخدم باجتهاد، أو عندما نعيش حياةً مقدسةً. المشكلة في هذه النظرة الناقصة أننا لا نعرف ما المقدار الكافي لأي من هذه الأمور. لهذا واجه الرسولُ بولس الغلاطيين:

أجيبوا عن هذا السؤال: "هل الذي يهبكم الروح القدس ويعمل المعجزات بينكم يفعل هذا لأنكم تعملون بأحكام الشريعة، أم لأنكم تؤمنون بالبشارة؟" (غل ٣: ٥ ترجمة الأخبار السارة).

"الجهاد" لا ينفع مع الله؛ لأنه مرتبطٌ بقدرتك ومجهودك. الطريق الوحيد للتمتع بقوة نعمة الله المجانية هو الإيمان.

إنه لا يختلف عن خلاصك. انظر ما قدمه الرسول بولس: "أريد أن أسألكم هذا السؤال: كيف بدأتم حياتكم الجديدة؟ هل بالأعمال لتنالوا رضا الله؟ أم أنها بتجاوبكم مع رسالة الله لكم؟" (غل ٣: ٢).

كما خلُصنا بالنعمة من خلال الإيمان، كذلك أيضًا نكمل بالنعمة، لنعمل أعمالًا عظيمةً في محيط تأثيرنا.

شيواوا أم الدب الأبيض؟

هذا يأتي بنا للسؤال الذي سألته في الفصل الثالث. هل لدينا القوة أن نظل ثابتين في إيماننا وفي سعينا؟ هل نشبه الشيواوا أم الدب الأبيض؟

بعد التأمل في كلمة الله، في الأجزاء التي درسناها، أرجو أن تشاركني هذا التأكيد – بفرح وثقة – أننا نشبه الدب الأبيض. بهذه الثقة في قلوبنا وأذهاننا، دعونا نستكمل اكتشافنا لمعنى الحياة الثابتة الصامدة!

٦

يرى أو يدخل

"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ!"
(رومية ٥: ١٧).

أتمنى أنني إذا وضعت (رو ٥: ١٧) باستمرار أمام عينيك، أن تصبح هذه الآية جزءًا من كيانك، كما أن (يو ٣: ١٦) جزء من كيانك. ربما تكرر هذه الآية أثناء نومك، مدركًا أن إرادة الله أن تكون لك السيادة في هذه الحياة. هذا الإيمان الراسخ مطلب أساسي لنهايةٍ قويةٍ، لتكون منتصرًا ومؤمنًا ثابتًا.

قبل أن نكمل حديثَنا، اسمح لي أن أكرر الحقيقة الأساسية التي تناولناها: كل من قبل نعمة الله يُمكَّن من أن يكون متفوقًا في هذه الحياة.

نحن مدعوون لنكون الرأس وليس الذيل، متخطِّين كل ظروف الحياة. نحن مدعوون لنكون النموذج المؤثِّر في ملكوت الله، فنستطيع أن نعلِّم الآخرين أسلوبَ الله للحياة على هذه الأرض.

لماذا لا يسود معظم المؤمنين في هذه الحياة؟
لماذا لا يعيش معظم المؤمنين هذه الحقيقة؟ لماذا يقع معظم المؤمنين تحت سلطان العالم ولا يسودون عليه؟

لقد تحدثنا عن الإجابة الأولى والأكثر وضوحًا من خلال نتائج البحث الذي أُجري في عام ٢٠٠٩م، وأوضح أن ٩٨ ٪ من المؤمنين في أمريكا لا يدركون أن نعمة الله هي مصدر قوتهم. أعتقد أن هذه الإحصائية تعبِّر عن الكنيسة العامة في الغرب. بسبب جهل المؤمنين لقوة الله التي يمنحها لنا من خلال نعمته، فالسواد الأعظم من المؤمنين لا يعيشون بحسب خطة الله لهم. إنهم لا يختلفون عن تلك القبيلة الأفريقية التي تمتلك سيارةً قويةً، لكنهم لا يعرفون إمكانيات تلك السيارة. مازالوا يسافرون سيرًا على الأقدام، ويحملون الأحمالَ الثقيلة على ظهورهم.

السبب الثاني الذي يجعل معظم المؤمنين لا يتميَّزون في هذا العالم سنركز عليه في الجزء الباقي من هذا الكتاب. سنبدأ بالتركيز على كلمات الرب يسوع لنيقوديموس، ذلك القائد اليهودي الذي جاء يسأل السيد. قال له يسوع في أول حديثه: «**الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ**» (**يو ٣: ٣**).

تحدث الرب يسوع عن رؤية الملكوت. لكن في العبارة التالية أعلن لنيقوديموس شيئًا مختلفًا: "الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥). لماذا حوَّل الربُّ يسوعُ حديثَه من رؤية الملكوت (آية ٣) إلى دخول الملكوت (آية ٥)؟ عندما نستخدم اللغة الإنجليزية فقط في فهم النص، نفقد المعنى الحقيقي المقصود من هذا النص. الرجوع للغة الأصلية يساعدنا على فهمٍ أفضل لما يريد اللهُ أن يوضِّحه لنا.

عندما يتحدث الربُّ يسوعُ عن ملكوت الله، فهو يشير إلى "سلطان الله". الكلمة اليونانية المستخدمة في الأناجيل عن ملكوت الله هي basileia tou Theos. تشير Theos إلى الله، أما كلمة basileia فهي تعني "مُلك، حكم، سلطان". كلمة basileia تأتي من كلمة يونانية معناها "أساس". يعتقد بعض المفسِّرين أن أفضل ترجمة لعبارة basileia tou Theos هي "إمبراطورية الله الحاكمة" أو "مُلك الله". أنا أحب كلمة "إمبراطورية". لكن هناك معنى آخر أود أن أذكره وهو "القوي الأسمى".

في الصلاة الربانية، علَّمنا الربُّ يسوعُ أن نصلي: "**أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ**" (**لو ١١: ٢**). فهو يقول حرفيًّا: "أبانا الذي في السماوات. أنت الله كلي القدرة. ليأتِ

ملكوتك القوي العظيم. لتكن مشيئتك على الأرض كما هي في السماء". لكن تظهر هنا مشكلة؛ لأن كل من يسمع هذه الكلمات يتساءل: "متى أتى ملكوت الله؟!" إن ملكوت الله لم يأتِ بعد فعليًّا، كما تنبأ إشعياء، هذا سيحدث عندما يحكم يسوعُ إلى الأبد وينتهي نفوذُ إبليس تمامًا. لكن ملكوت الله أتى روحيًّا. فهو داخلنا، داخل هؤلاء الذين دخلوا في عهد مع الله، لذلك يقول الرب يسوع: «**لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ. وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا ههُنَا. أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لأَنَّ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ**» (**لو ١٧: ٢٠ -٢١**). نتيجةً لعمل المسيح في الجلجثة، أصبح ملكوته بداخل كل من يتبعونه. ونحن علينا أن ننشر سيادةَ وسلطانَ هذا الملكوت في كل مكانٍ نتواجد فيه. نحن لنا السيادة في هذه الحياة من خلال قوة نعمة الله، تلك العطية المجانية التي أُعطيت لنا في شخص الرب يسوع.

تعالوا بنا نتأمل في بعض الشواهد التي ذكر فيها الرب يسوع عبارة: "ملكوت الله" ونضع بدلًا منها: "مُلك الله القوي العظيم". المدهش أن التغيير في هذه العبارة يعطي معنًى أعمق لمؤمني اليوم.

مثلًا، نستطيع أن نقرأ تعليم الرب يسوع الذي قدمه في (**مت ١٢: ٢٨**): "**وَلَكن إِنْ كُنتُ أَنَا بروحِ اللهِ أُخرِجُ الشَّياطينَ، فقد أقبَلَ علَيكُمْ (مُلكُ الله القوي والعظيم)**". روح الله الذي يشير إليه الرب يسوع هو الروح القدس، الذي يُفعِّل النعمة (القوة) التي نمتلكها. إن اسمه في العهد الجديد "روح النعمة" (عب ١٠ : ٢٩).

من كلمات الرب يسوع أيضًا: "**إِنَّ مُرورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقبِ إبرَةٍ أيسَرُ مِنْ أنْ يَدخُلَ غنيٌّ إلَى (مُلكِ اللهِ القوي والعظيم)**" (**مت ١٩: ٢٤**).

الرجل الغني هو ذلك الشخص الذي يقول: "إنني أمتلك الكفاءةَ والقدرةَ على النجاح". بسبب ذكائه، إمكانياته المادية، قوته البدنية، موارده، حصافته وعلاقاته، يشعر بالاكتفاء بذاته. لكن الرب يسوع يعلن:

"**طوباكُمْ أيُّها المَساكينُ، لأنَّ لكُمْ (مُلكَ اللهِ القوي والعظيم)**" (**لو ٦: ٢٠**).

الرب يسوع لا يميِّز الفقراءَ، لكنه يبارك الذين يتَّكلون على نعمة الله. لقد أعلن الربُّ يسوعُ أن روح الرب كان عليه ليبشِّر المساكين، لكنه في كثيرٍ من الأحيان تقابل مع بعض الأغنياء في المجتمع وخدمهم وزارهم. عندما تحدَّث عن مرور جمل من ثقب إبرة، كان بعد مقابلته للشاب الغني، الذي فضَّل أن يثق في غناه أكثر من الله.

تأمل معي في عبارةٍ أخرى ذكرها الربُّ يسوعُ عن ملكوت الله: **"قد أُعْطِيَ لكُمْ أنْ تعرِفُوا سِرَّ (مُلكِ اللهِ القوي والعظيم). وأمَّا الذينَ هُم مِنْ خارِجٍ فبالأمثالِ يكونُ لهُمْ كُلُّ شَيءٍ"** (مر ٤: ١١). فالقوة والسلطان اللذان لنا من خلال نعمة الله هم بحق سرٌّ ـ حق مُخفَى لا يعلنه إلا الروح القدس. **"بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ». فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ"**(١ كو ٢: ٩ - ١٠). إن حقيقة أننا نستطيع أن نملك في هذه الحياة من خلال نعمة الله كانت مخفيةً، إلى أن أعلنها لنا الروحُ القدس من خلال الرسل الذين كتبوا العهدَ الجديدَ. كل ما علينا أن نفعله الآن هو أن نصدق هذه الحقيقة.

هنا تأكيد آخر لأقوال الرب يسوع عن ملكوت الله: **«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هُهُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا (مَلَكُ الله القوي والعظيم) قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ»** (مر ٩: ١).

إن هذا الحديث الذي أعلنه المسيا بذاته يعمِّق إيمانَنا بأن مجيء ملكوت الله هو هنا والآن، كما أنه في المستقبل. لقد سكن روحُ الله القوي والعظيم داخل كل أتباع الرب يسوع منذ أن جاء روحُ النعمة في يوم الخمسين. في ضوء هذه الحقيقة، قال الربُّ يسوعُ لواحدٍ من الكتبة: **"لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ (مُلك الله القوي والعظيم)"** (مر ١٢: ٣٤).

تستطيع أن ترى من خلال هذه الأمثلة من أقوال الرب يسوع، أن ملكوت الله يحمل معاني أقوى وذات معنى أعمق عندما نرجع للغة اليونانية. تستطيع أن تستبدل عبارة "ملكوت الله"، بعبارة "مُلك الله القوي والعظيم" في العهد الجديد، لتختبر غنى الكلمة وبالتالي تصبح مصدر تشجيع لك.

لكن، علينا أن نتذكر جانبًا مهمًّا لملك الله القوي العظيم. لقد أعطانا هذا المُلك! **"السَّمَاوَاتُ سَمَاوَاتٌ للرَّبِّ، أَمَّا الأَرْضُ فأَعْطَاهَا لبَنِي آدَمَ"** (مز ١١٥: ١٦). فالرب يسوع كابن الإنسان، استرد ما فقده آدم، وهكذا أعلن: **"دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ"** (مت ٢٨: ١٨). لكن يسوع ربنا وملكنا لم يَعُد موجودًا على الأرض، لذلك، فأنا وأنت ـ جسد المسيح ـ علينا أن نحمل مُلكَه القويَّ والعظيمَ. إذا لم نمارس المُلكَ، سيبقى هذا المُلكُ بين يدي قوى هذا العالم. هذه ليست خطة الله! لقد أعطانا قوته من خلال النعمة لنملك في هذه الحياة من خلال شخص الرب يسوع!

يرى أم يدخل؟

دعونا نتأمل في كلمات الرب يسوع لنيقوديموس، لقد قال له السيد:
"الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ"
(يو ٣: ٣). ثم بعد لحظاتٍ يقول له:
"الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ" (يو ٣: ٥).

من خلال فهمنا لمعنى "ملكوت الله" في اليونانية، نستطيع أن نميِّز الفرقَ بين استخدام الرب يسوع لعبارة "يرى ملكوت الله" و"يدخل ملكوت الله". إذا كنا نرى ملكوتَ الله كمكانٍ مادي مثل السماء، فالعدد الثالث من هذا الأصحاح يشير إلى أن الولادة الثانية لا تكفي لدخول السماء ـ لكنها كافية فقط لرؤيتها. بالطبع هذا ليس صحيحًا. عندما نفهم أن الرب يسوع كان يتحدَّث عن مُلك الله القوي والعظيم، فهذا يعطي معنًى آخر لهذه الآيات، وبالتالي يجعلنا نفهمها بسهولةٍ.

الكلمة اليونانية لكلمة يرى في العدد الثالث هيeido . التعريف لهذه الكلمة هو "يرى، يعي، يدرك، يتعرف على". يخبرنا الربُّ يسوعُ أن كلَّ من وُلِد ولادةً ثانيةً يستطيع أن يرى، يعي، يدرك ويتعرف على مُلك الله القوي والعظيم – أي ملكوت الله.

في العبارة التالية، لم يستخدم الرب يسوع كلمة يرى (eido)، لكنه استخدم كلمة يدخل فيما يتعلق بمُلك الله. الكلمة اليونانية لكلمة يدخل هي eiserchomai. التعريف لهذه الكلمة "ينهض ويدخل". ففي هاتين الآيتين ينتقل الربُّ يسوع من "يدرك" إلى "ينهض ويدخل" إلى مُلك الله القوي العظيم. هل تستطيع أن ترى الفرق؟

أقدم هذا المثلَ للتوضيح. عندما أركب طائرةً للسفر إلى مكانٍ ما، فأنا أدرك تمام الإدراك قدرة الطائرة في التغلب على الجاذبية الأرضية، وقدرتها على أن ترفعني فوق مستوى الأرض وتأتي بي إلى مكانٍ محدَّد. كراكبٍ، أستطيع أن أرى، وكذلك أستطيع أن أختبر فوائدَ ركوب الطائرة.

في أحد الأيام، أحضر لي صديقٌ دروسًا عن الطيران. بعد فترةٍ من التدريب، ركبت طائرةً مروحيةً، وقدَّم لي المدرِّبُ بعضَ التعليمات. بعد قليل، استطعت أن أقود الطائرة

وأحلِّق بها. كانت هذه خبرةً خاصةً جدًّا. إحدى الأفكار التي تسلَّطت عليَّ في رحلتي الأولى للطيران أنني أستطيع أن أطير بالطائرة في أي مكانٍ أريده وبالطريقة التي أريدها. فلا توجد طرق أو مسارات. أستطيع أن أخلق المسارات والطرق. لقد انتقلت من كوني أدرك إمكانيات الطائرة واختبار فوائد ركوب الطائرة كراكبٍ إلى طيَّارٍ يقود الطائرةَ حيثما يشاء. لقد اختبرت حرية الطيران.

كلمات الرب يسوع توضِّح أن هناك نوعين من المؤمنين: النوع الأول يشبه الراكب في الطائرة الذي يستطيع أن يرى، يشعر ويختبر فوائدَ الطيران. ثم يأتي الفريق الثاني الذي يدخل كابينة القيادة، ليقود الطائرةَ ويوجِّه مسارَها، ويحدِّد سرعتها والارتفاع الذي تحلِّق فيه. الركاب، بالرغم من أنهم ينتفعون من الطائرة، إلا أنهم يخضعون لرغبات الذين يقودون الطائرة.

لتوضيح الفرق المهم بين رؤية ملكوت الله ودخوله، تخيَّل معي مجموعةً صغيرةً من البشر منتشرين في جزيرة. تلك الجزيرة خطيرةٌ لأنها ممتلئةٌ بحيواناتٍ مفترسةٍ، ثعابين سامة، عناكب وعقارب. كما توجد في هذه الجزيرة قبيلة من آكلي لحوم البشر. هذه المجموعة في خطرٍ شديدٍ. إلا أن هناك أخبارًا سارة: توجد طائرة مُحمَّلة بالوقود تقف على مهبطٍ للطائرات. من السهل أن تحمل هؤلاء الأشخاص لمكانٍ آمن. لكن توجد مشكلة كبيرة: لا يوجد أي فرد من هذه الجماعة يستطيع أن يقود طائرةً! الجميع ركابٌ لديهم خبرات سابقة في ركوب الطائرات. لكن لم يختبر أحدُهم خبرةَ الطيار الذي يستطيع أن يقود الطائرةَ. برغم أن الطائرة يمكن أن تنقلنا إلى مكانٍ آمن، إلا أننا لا نستطيع أن نقود الطائرةَ.

هذا السيناريو يوضح الفرقَ بين المؤمن الذي رأى فقط سلطان الله العظيم والمؤمن الذي اختبر ذلك السلطان.

الفرق كبير أليس كذلك؟ من أي نوعٍ أنت؟

اختبار السلطان

السؤال هنا: "كيف يمكن لابنٍ من أبناء الله أن ينتقل من رؤية السلطان لممارسته؟" بكلماتٍ أخرى: "كيف يمكن أن نتحوَّل من ركابٍ روحيين إلى طيارين روحيين؟" يوجِّه

الرسولُ بولس هذا السؤالَ لنا. من خلال إرشاد الروح القدس، ترك بولس وبرنابا الكنيسةَ في المدينة التي يعيشون فيها، ليبدآ الرحلة التبشيرية الأولى (أع ١٣: ١- ٤). بعد أن سافرا لمسافاتٍ طويلة إلى مدن عديدة في آسيا، بدآ رحلة العودة إلى بيوتهم؛ حيث مرَّا ببعض المدن التي كانا قد أسَّسا فيها كنائس. بالتأكيد، كان السفر في هذه الأيام يمثل تحدِّيًا حقيقيًّا. فاليوم، أستطيع أن أركب طائرةً وأذهب إلى أي مكانٍ في العالم في خلال أربع وعشرين ساعة. عادةً، لا يخطر ببالي أني لن أستطيع أن أرى هؤلاء الأشخاص الذين كنت في زيارتهم مرةً أخرى، مهما كانت صعوبة السفر والمسافة التي أقطعها. إلا أن هذا الفكر كان متكررًا في أيام بولس الرسول. عندما كان يودِّع إحدى الكنائس، كان يضع في الاعتبار أنه قد لا تتاح له الفرصة ليرى أحباءَه الذين وُلِدوا في الملكوت مرةً أخرى، وأنهم سيجتمعون معًا في السماء. لذلك، نستطيع أن نتخيَّل أن بولس كان يختار كلماته لهؤلاء المؤمنين بعنايةٍ. ما قاله لهم يوضِّح لنا كيفية الانتقال من رؤية السلطان إلى اختباره عمليًّا.

" فَبَشَّرَا فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَتَلْمَذَا كَثِيرِينَ ثُمَّ رَجَعَا إِلَى لِسْتِرَةَ وَإِيقُونِيَةَ وَأَنْطَاكِيَةَ. يُشَدِّدَانِ أَنْفُسَ التَّلاَمِيذِ وَيَعِظَانِهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ وَأَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ" (أع ١٤: ٢١ -٢٢).

لم يقدم الرسول بولس في هذه المدن الثلاث محاضرات في النواحي المالية، ولا مؤتمرًا عن نمو الكنيسة، ولا دورةً لتدريب القادة، ولا حتى رسالة تشجيع ورجاء ـ مع أنهم كانوا يحتاجون لكل هذه الموضوعات. لقد ترك لهم رسالةً تمكِّن حديثي الإيمان أن يعيشوا بثباتٍ ويكملوا السعيَ بنجاحٍ. كان هدفه أن يُعدَّهم ليختبروا السلطانَ الذي لهم كأولادٍ لله.

مازالت كلمات الرسول بولس حقيقةً بالنسبة لنا اليوم. يجب أن تترسخ في قلوبنا ونفوسنا: **"بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ"**. هذه الرسالة، رسالة تشجيع ورجاء، وليست رسالة إحباطٍ وكدر. فكِّر في الأمر هكذا: الضيقات تحدث! فهي حتميةٌ. أعلن الربُّ يسوعُ هذه الحقيقةَ لأتباعه بوضوحٍ عندما قال: **"فِي العَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ"**. **لكنه يؤكِّد أيضًا: "ولكنْ ثِقوا: أَنَا قد غَلَبتُ العالَمَ"**. **(يو ١٦: ٣٣)**. الربُّ يسوعُ غلب العالَمَ. هذا يعني أننا أُعطِينا السلطان والقوة التي بها نغلب العالَمَ. نحن جسد المسيح؛ أي أننا المسيحُ على الأرض، ونستطيع أن **نغلب العالَمَ في المسيح!**

معنى كلمة ضيق هي "شدائد واضطراب وكدر". الكلمة اليونانية المستخدمة thlipsis. يشرح قاموس الكتاب المقدس هذه الكلمة أنها: "الضغوط النفسية والروحية الشديدة التي تنتج عن ضغوطٍ داخليةٍ أو خارجيةٍ". ذُكِرت هذه الكلمة خمس وخمسين مرة في العهد الجديد، ثلاث وخمسون منها مَجَازِيَّة. قد تأتي الضغوطُ من أعداءٍ، ظروفٍ معاكسةٍ، قرارات خطأ، أو مشاعر منحرفة.

يعرِّف "جيمس ستروخ" "thlipsis" بأنها "ضغوط (فعلية أو مجازية)؛ كُربة، ضيق، أحمال، اضطهاد، محنة، انزعاج". أما "و. ڤاين" يعرِّفها بأنها "أي شيء يتسبب في عبء على النفس أو الروح". أما تفسيري البسيط لكلمة ضيق أو thlipsis هو "الترك أو الهجر".

يأتي (أع ١٤: ٢٢) في ترجمة Today's English Version هكذا: "يجب أن نمر بكدرٍ وهمٍّ كثير لندخل ملكوت الله". للتوضيح، أقدم هذا التشبيه. تخيَّل أنك تخدم ملكًا عظيمًا انتصر على دولةٍ بأكملها، حيث دخل إلى عاصمة تلك الدولة، وقبض على الحاكم القاسي الذي كان يحكم هذه الدولة بقبضةٍ حديديةٍ. كان هذا الحاكم المخلوع قاسيًا على شعبه، سمَّم أفكارَهم، شجَّعهم على كلِّ ما هو خطأ، حرَّض على ازدراء ورفض الطرق السليمة لذلك الملك العادل.

أنت في طريقك لقهر حصنٍ من حصون العدو!

عيَّن هذا الملكُ الصالح خدامه ليذهبوا في هذه الدولة وينفِّذوا أوامره في هذه البلدة ويستولوا على الحصون التي يمتلكها بعض السادة الذين يتبعون أسلوب ذلك الحاكم القاسي. بالرغم من أن الحرب قد انتهت، وانتصر ذلك الملك، إلا أنه مازال أمامهم الكثير ليؤكِّدوا الانتصارَ.

أنت في طريقك لقهر حصن من حصون العدو. ستقابلك مخاطرٌ في الطريق؛ لأنك يجب أن تواجه وتهدم حصونَ العدو، وهكذا، تمتلك أراضي من ممتلكات العدو. العدو يضع أمامك أشراكًا ليمنعك من امتلاك تلك الأراضي، لكنك ستخوض حربًا وستواجه ضيقًا. عندما تصل إلى الحصن، ستواجه أصعب

امتحانٍ من كل الضيقات السابقة: هدم ممتلكات العدو. الخبر السار هو أنه كلما استطعت أن تهزم الشراك الذي يضعه لك العدو، أو مواجهاته لك في الطريق، كلما اكتسبت خبراتٍ في مجال الحرب مع العدو. إذا استطعت أن تستولي على هذه القلعة، فإنك تستطيع أن تحكم هذه المقاطعة. ليس هذا فقط، لكنك ستصبح جنديًّا متميزًا ومؤتمَنًا، فتستطيع أن تملك على هذه المقاطعة التي أعطاها لك الملكُ.

الملك الصالح في قصتنا هو شخص الرب يسوع. لقد أوكل لنا المسؤوليةَ، كجنوده المخلصين لنحقِّق انتصارَه على قوى الظلمة في العالم. إذا تقدَّمنا سنواجه شدائد، لكننا سنستطيع أن نطلق هؤلاء الأسرى الذين تحت قبضة العدو.

أنا وأنت يجب أن نمر بصعوباتٍ حتى نستطيع أن نملك. لكن، الرب يسوع أوصانا أن نفرح؛ لأنه هو قد غلب العالمَ. من خلال نعمته، نستمد القوةَ والسلطانَ اللذين بهما نستطيع أن نواجه كلَّ التحدِّيات التي يحاول العالمُ أن يدفع بها في طريقنا.

نحن الذين قبلنا الربَّ يسوع كمخلِّصٍ شخصيٍّ في حياتنا، لم نتمتع بقوة نعمة الله فحسب، لكننا نتمتع بمكانةٍ خاصةٍ من خلال نعمته. اقرأ بفرح ما كتبه الرسول بولس للمؤمنين في رومية:
"اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا. وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ. فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا" (رو ٨: ١٦ -١٨).

كمؤمنين، نحن ورثة الله! ورثة الله ووارثون مع المسيح. تأتي كلمة ورثة في اللغة اليونانية kleronomos، معناها "شخص يأخذ ممتلكات آخر أو يرث". التركيز على حق الوريث في الامتلاك. في القاموس، تأتي كلمة ورثة بمعنى "شخص يرث ويستمر في وصية السَّلَف". هناك أيضًا تعريفٌ آخر: "شخص تُخوَّل له مكانة شخصٍ آخر". هل تدرك هذا؟ جعلنا اللهُ ورثةً لكلِّ ما تمَّمه وما يمتلكه! إننا نملك ما يملكه هو.

كل شيء ملكٌ لله، وبالتالي، يصبح ملكًا لنا. يكتب الرسولُ بولس للمؤمنين في كورنثوس: **"فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ" (١ كو ٣: ٢١)**. كل شيء! نحن ورثة الله! في ترجمة

"The Contemporary English Version" تأتي هكذا: "كلُّ شيء لكم، بما في ذلك العالم، الحياة، الموت، الحاضر والمستقبل. كل شيء ملكٌ لكم". قف وتأمل في هذه الحقيقة. في المسيح، أنا وأنت أغنى من أغنى إنسان في هذا العالم!

لكن هناك تحذيرًا مهمًّا جدًّا، في (رو ٨) يضع شرطًا لنكون ورثةً. بلغةٍ أخرى، فإن هذا الأمر ليس شيئًا تلقائيًّا لأي مؤمن. ما هو الشرط؟ أن نتألم معه. اقرأ النصَّ مرةً أخرى. لتستطيع أن تملك مع المسيح، يجب أن تواجه نفسَ الآلام التي تألم بها المسيح. لاحظ كلمة نتألم معه. التغلُّب على المقاومات لا تعني السيرَ في حديقةٍ وسط الزهور؛ إنها حربٌ تستلزم معاناةً.

لكن معاناة هذه الحرب، ليست معاناةً للهزيمة. يؤكد الرسولُ بولس أن مواجهة الصعاب يمكن أن تكون إيجابيةً وتملأنا بالرجاء: **"فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا"**. هذا هو المبدأ الأساسي الذي أريد أن تفهموه وتتمسكوا به:

مهما كانت الضغوط التي تواجهها بسبب thlipsis (ضيقات)، فالصعوبة لا تُقارَن بالمُلك الذي ستختبره بعد أن ينتهي الضيق.

إذا كنا نعيش الحياةَ المسيحيةَ الصحيحةَ، سنقابل آلامًا. لكن بعد كلِّ انتصارٍ، ستظهر فينا قوةٌ وحكمةٌ أعظم. الرسول بولس لا يشير فقط للمجد الذي يمنحه لنا اللهُ في السماء، لكنه يتحدث عن البركات التي ننالها هنا على الأرض. عندما ننتصر في الضيق، نخطو خطوةً أعمق في إعلان مُلك الله الذي لنا.

الألم مع المسيح

عندما نتأمل في هذه العبارة: "نتألم معه" يتبادر إلينا هذا السؤال: "كيف تألم المسيح؟" هنا يحدث تشويش لكثيرين؛ لأن هناك نوعين من الألم: نوع من الألم من أجل البر، والنوع الآخر من أجل العالم. دعوني أوضح هذا الأمر:

نوع من الألم يحدث لأن العالم كله وُضِع في الشرير (انظر ١ يو ٥: ١٩). نتيجةً لذلك، يتعرض البشرُ لأمورٍ شريرةٍ وقاسيةٍ: فالأطفال يتعرضون للإجهاض أو للإيذاء،

البنات يُدفَعن لممارسة الجنس في الطفولة، الأمراض تنهي حياة الكثيرين، الفقر والجوع يعم العالمَ، النزاعات تمزق العائلات، الإدمان يسيطر ويحطم حياة الكثيرين – والقائمة لا تنتهي. لا يوجد شيء جيد أو ذو فائدة من هذه الآلام. إنه أمر محزن، لكنه نتيجة لخطية آدم الذي سلَّم السلطانَ الذي أعطاه إياه اللهُ لسيدٍ قاسٍ.

أما النوع الثاني من الألم، هو الألم من أجل البر، هو ما سوف نركز عليه؛ لأن هذا الألم هو ما أشار إليه الربُّ يسوعُ والرسول بولس.

كلُّ ألمٍ من أجل البر نتحمَّله بقوة الله، له فوائد. إن نتائجه دائمًا عظيمة. إنها تؤيِّدنا بالقوة لنحقِّق دعوةَ الله لنا أن نملك.

لقد أوضح الربُّ يسوعُ هذا الأمرَ في خدمته. تذكَّروا أننا مدعوون لنتألم معه، إن كنا سنملك معه. كيف تألم؟ لقد عاش الربُّ يسوعُ ثلاثين عامًا في إعدادٍ لفترة خدمته، ثم اعتمد في نهر الأردن عن طريق نبي مشهور اسمه يوحنا.

بعد أن اعتمد الرب يسوع، انفتحت السماء ونزل الروح القدس عليه على هيئة حمامةٍ. تحدث الله الآب من السماء بصوتٍ مسموعٍ للجميع وقال: **"أنتَ ابني الحَبيبُ، بكَ سُرِرتُ" (لو ٣: ٢٢)**. تخيَّل أنك كنت وسط الجموع التي شاهدت هذا الإعلانَ السماويَّ العجيبَ. لقد شاهد هذا الموقفَ كثيرون من القادة السياسيين والدينيين.

إذا كنت مكان الرب يسوع، قد تفكر في نفسك قائلًا: "هذا هو الوقت الأمثل لأبدأ خدمتي! يجب أن أقدِّم عظتي الأولى الآن، أمام كل هذه الجموع. لقد قضيت ثلاثين عامًا أُعَدُّ لهذه اللحظة. ربما أحتاج أن أعيِّن بعضَ الأشخاص ليعملوا في مجال الدعاية والإعلان لأستغل هذه المناسبة. الكل هنا يعرف أني رجل الله".

في الواقع، هي فرصة جيدة ليعلن فيها يسوعُ عن نفسه. أليس كذلك؟ لكن تأمَّلوا معي في رد فعل يسوع: **"أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ" (لو ٤: ١ -٢)**.

لقد اكتشفتُ أن مؤمنين كثيرين يعتقدون أن يسوع جُرِّب في نهاية الأربعين يوم التي قضاها في البرية. لكني لا أعتقد ذلك. تخبرنا الأناجيل عن ثلاث تجارب محدَّدة تحمَّلها الربُّ يسوع، لكن يتَّضح أنه تعرض للتجارب طوال الأربعين يوم.

لاحظ، من الذي قاده في البرية. لم يكن إبليس الذي يقوده، لكن الآب كان يقوده من خلال الروح القدس. قد يتساءل البعضُ: "لماذا يقود الآبُ ابنَه إلى البرية، مع أنه كان يعلم أنه سيواجه صعابًا ومقاومةً؟" حقيقة مهمة يجب أن نتأكد منها: أن الله لن يسمح لنا بالدخول في وسط الزوابع إلا بعد أن يمدَّنا بالقوة التي بها نستطيع أن نتغلب على تلك الزوابع (سأركِّز على هذه الفكرة في الفصل التالي). إن ما يتبادر إلى أذهاننا أن الله ليس هو مصدر ال thlipsis أو الضيق. هو يعلم أننا نعيش في عالمٍ مُحطَّم، وأننا إذا كنا سننتصر ونملك في هذا العالم، فسنواجه مقاومةً من قوى الشر. لذلك، يدرِّبنا اللهُ في المجالات التي يعرف أننا نستطيع أن نتعامل معها ليقوِّينا، وهكذا، نستطيع أن نمتلك أراضي أكثر.

يدرِّبنا اللهُ في المجالات التي يعرف أننا نستطيع أن نتعامل معها ليقوِّينا

لقد ذهب يسوعُ بعد المعمودية مباشرة إلى البرية ممتلئًا من الروح القدس، هناك واجه thlipsis (التجربة أو الضيق) في الأربعين يوم التالية. تذكَّر أن الرب يسوع أخلى نفسه من امتيازاته الإلهية ليعيش بيننا كإنسانٍ ممتلئ نعمة (انظر في ٢: ٧، لو ٢: ٤٠).لقد واجه كلَّ الصعاب واستطاع أن يتغلَّب عليها، ولم يستسلم لإبليس في تجربته له. ثم بعد الأربعين يوم **"رَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ، وَخَرَجَ خَبَرٌ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ" (لو ٤: ١٤).**

لقد ذهب الرب يسوع إلى البرية منقادًا بروح الرب، لكن، بعد أن تغلَّب على التجارب الشديدة، رجع ممتلئًا بقوة روح النعمة. تذكَّر كلمات الرسول بولس في (رو ٨: ١٨): **"فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا".** يمكن أن نقرأ هذه الآية هكذا: "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقارن بالقوة والسلطان الذي يُستَعلَن فينا". لقد دخل الربُّ يسوعُ لمستوى أعلى من السلطان بعد أن أنهى بنجاح thlipsis.

يعلن الرسول يعقوب:

"طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (يع ١: ١٢).

لاحظ أنك عندما تتغلَّب على تجربةٍ كما فعل الربُّ يسوع في الأربعين يوم التي قضاها في البرية، فإنك تنال إكليلَ الحياة. أعلم أنك قد تقول إن هذا الإكليل سننالـه في السماء. هذا صحيح. لكني أعتقد أن يعقوب لم يقصد فقط الإكليلَ الفعليَّ الذي سننالـه في السماء، لكنه يقصد أيضًا اختبارَ مستوى أعلى للمُلك في هذه الحياة. الإكليل يتحدث عن السلطان. ماذا يصاحب السلطان؟ القوة. ذهب الربُّ يسوع إلى البرية ممتلئًا، لكنه رجع بقوةٍ. تذكر، أننا نملك إذا تألمنا معه. لذلك عندما نتألم وننجح في الامتحان ولا نستسلم ـ ثابتين في طاعة كلمة الله ـ هناك مكافأة فورية: السلطان في محيط حياتنا التي وقفنا فيها بثباتٍ.

اختبار حماتي

والدة ليزا مثال حي لهذا الوعد. في سنة ١٩٧٩م، شخَّص الطبيبُ الخاص بشيرلي حالتها بسرطان في الثدي. لم يُكتَشَف المرضُ مبكرًا؛ إذ كان السرطان قد وصل إلى الغدد الليمفاوية. تم استئصال الثدي مع ٣٠ ٪ من الغدد الليمفاوية، وأخبرها الطبيب أن حالتها متقدمة.

أرادت شيرلي أن تأخذ رأيًا ثانيًا في حالتها، فذهبت إلى مستشفى متخصِّص في علاج السرطان في هوستون، تكساس. كان تقرير الطبيب لا يدعو للتفاؤل. بعد أن قدم لها تقريرًا مشابهًا لتقرير الطبيب الأول، قال لها: "لديكِ إرادة قوية. أليس كذلك؟" لقد ظن الطبيبُ أنها لو التزمت بكل تعليماته، قد تعيش لمدة سنتين أو ربما ثلاث سنوات على الأكثر؛ فالطب ليس لديه شفاء لمثل هذه الحالة.

كان نظام العلاج يشمل جلسات إشعاع مكثَّفة، ثم تعود إلى بيتها لفترة راحةٍ لمدة ثلاثة أسابيع، ثم تعود للمستشفى لتبدأ علاجًا كيميائيًّا.

أثناء وجودها في المستشفى، اتصلت شيرلي بأحد البرامج التليفزيونية المسيحية الشهيرة، وطلبت منه الصلاة من أجلها. بالمصادفة، كان الرجل الذي استقبل مكالمتها يعرف زوجين يعملان في قسم العيادات الخارجية بالمستشفى. اتصل بهذين الشخصين

وحثهما أن يذهبا إلى شيرلي ويشجعانها ويقدمان لها الدعم. تواصل الزوجان مع شيرلي وأخذاها للكنيسة، واصطحباها لبعض المباريات، وخرجوا معًا لتناول بعض الوجبات. في كل هذه اللقاءات، كانا يقدمان لها الكثيرَ من الوعود من كلمة الله التي تشدِّد إيمانَها.

كانت شيرلي حديثةً في حياة الإيمان. قبل أن تكتشف مرضَ السرطان، تعلمت بعض المبادئ في حياة الإيمان عن طريق زوجة أحد الخدام في إنديانا. عندما عادت إلى إنديانا، تقابلت مع قائدتها التي أكدت لها أن الله لا يشفي كلَّ المرضى، وقدمت لها العديدَ من الأمثلة لأشخاصٍ مؤمنين لن يُشفَوا من أمراضٍ خطيرةٍ. عندما شاركت شيرلي تلك السيدة بالوعود التي أعلنها لها هذان الزوجان في هوستون، انزعجت السيدة واعتبرت أن شيرلي ترفض مشورتها.

شعرت شيرلي بالارتباك. عندما عادت لهوستون لتكمل علاجها الكيميائي، استمرت في مقابلة هذين الزوجين، واستمرا في تشجيعها من خلال كلمة الله. ازداد إيمانُ شيرلي عمقًا، كانت متأكدةً أن ما تعلنه كلمةُ الله بشأن موضوع الشفاء حقيقيٌّ. لذا ملأ قلبَها اليقينُ بأنها ستُشفَى!

قررت شيرلي أن تتوقف عن إكمال العلاج الكيميائي، مما جعل الطبيب يعتقد أنها قد فقدت عقلها، ومشى خلفها في طريق خروجها من المستشفى يلاحقها ليثنيها عن قرارها، محذِّرًا أن هذا قد يهدِّد حياتَها. لكن شيرلي كانت مصمِّمةً على قرارها. لقد تركت المستشفى، ولم تَعُد لها مرةً أخرى. عادت إلى بيتها، وأخذت تجْتر على كلمة الله يومًا تلو الآخر.

اليوم، بعد مرور واحدٍ وثلاثين عامًا، تتمتع شيرلي بصحةٍ جيدةٍ وهي تعيش في نفس الشارع الذي نعيش فيه. في الواقع، بالرغم من أنها تبلغ من العمر خمسة وسبعين عامًا، إلا إنها تخدم في الكنيسة في قسم العلاقات، وهي واحدة من فريقٍ مكوَّن من سبعة أشخاص يمدون أكثر من عشرين ألف كنيسةٍ في الولايات المتحدة بكتبٍ ومناهج. من خلال خدمتها، ساعدت الكثيرين من الرعاة وخدام الكنائس في إيجاد الموارد التي يحتاجون إليها.

في خلال سنوات خدمتي، تقابلتُ مع عددٍ قليلٍ من الناس مثل شيرلي، يؤمنون بقوة الصلاة في الشفاء. منذ فترةٍ طويلةٍ، في بدايةِ زواجنا أنا وليزا، عدتُ من عملي ووجدت شيرلي في زيارةٍ لنا. كانت تعاني من أنفلونزا حادة، وكانت في طريقها لغرفة النوم. لم تكن لديها القوة على السير. عندما رأتني قالت: "يا جون، أرجوك أن تصلي من أجلي لأُشفَى من الأنفلونزا".

بينما كنت أصلي من أجلها، كانت قوة الله شديدةً وملموسةً، حتى إن حماتي وقعت على الأرض. ثم بعد ذلك، قفزت واقفةً، وبدأت تتحرك بانطلاق في الشقة، ثم قالت: "أريد أن أُعِدَّ لكم وجبةَ العشاء!" بدأت تطبخ لنا وجبةً رائعةً. ضحكتُ وفكرتُ في نفسي: "واو، نفس الذي حدث مع بطرس". كانت حماته مريضةً، وأبرأها الربُّ يسوعُ، وفي الحال، قامت وأعدت لهم طعامًا (انظر مت ٨: ١٤ -١٥).

لم تكن شيرلي تطلب الصلاةَ من أجل نفسها فقط، لكنها كانت تصلي من أجل الآخرين لينالوا الشفاءَ. إذا رأت شخصًا يعاني من أي مرض، تقدِّم له كلمات تشجيعٍ من كلمة الله، ثم تصلي من أجله لينال الشفاءَ!

منذ واحد وثلاثين عامًا وحتى الآن تتمتع شيرلي بصحةٍ جيدةٍ! من خلال محاربة الضغوط (thlipsis) بثباتٍ من خلال كلمة الله، استطاعت أن تنال إكليلَ الحياة في مجال شفاء الجسد. لقد احتملت وتغلَّبت على هذه الصعوبات، والآن أصبح لها السيادة في المجال الذي ثابرت فيه.

الغالبون

كثيرون لديهم اختبارات مشابهة. تأمل حياة "أورال روبرت"، الذي انتقل للسماء، لكن سيرته وتأثيره مازالا مستمرَّين. عندما كان في السابعة عشرة من عمره، أصيب بمرض السل. لقد استطاع أن يقاوم المرضَ بثباتٍ ومثابرةٍ من خلال الصلاة والثقة في كلمة الله، إلى أن نال الشفاءَ. لقد نال أورال، مثل شيرلي، إكليلَ الحياة في مجال الشفاء الجسدي، ونتيجةً لذلك كان سببًا في تشديد وشفاء الملايين من خلال خدمته.

لديَّ صديقٌ يُدعَى "جيمي"، عمل راعيًا لسنوات، وتأثر الكثيرون من خلال خدمته. في مرحلة الشباب، مرض مرضًا شديدًا يؤدي للموت، أُخذ لأحد اجتماعات أورال الذي صلى له، ونال جيمي الشفاءَ بطريقةٍ معجزيةٍ.

ماذا لو أن أورال لم يثابر في شبابه؟ ماذا كان مصير صديقي الراعي ـ وكثيرين آخرين ممَّن نالوا الشفاء من خلال خدمة أورال روبرت؟ ماذا عن كل الأشخاص الذين أثر القس جيمي في حياتهم – ماذا يكون حالهم اليوم؟ لقد اختبر أورال المُلكَ. النتيجة الكاملة لإيمانه الثابت سنعرفها هناك في الأبدية.

فكر في كينيث هيجن، الذي وُلد في عام ١٩١٧م، بعيبٍ خُلُقي في القلب. بعد سنواتٍ قليلةٍ، تم تشخيص حالته على أنها مرض نادر بالدم. عندما أصبح لديه ستة عشر عامًا، كان طريح الفراش. توقع الأطباءُ أنه لن يعيش سوى سنوات قليلة. في أبريل عام ١٩٣٣م، قارَبَ الموتَ حتى أنه رأى الهاويةَ، لكنه عاد للحياةِ بطريقةٍ معجزيةٍ. سلَّم كينيث حياتَه للرب يسوع. لقد تمسَّك بكلمة الله واستطاع أن يحارب المرضَ. جاء إليه أحدُ الرعاة ليزوره ويشجِّعه وقال له: "لا تيأس يا بنيَّ، سينتهي الأمرُ خلال أيامٍ قليلةٍ". بعد حوالي سنة، شُفِي كينيث تمامًا، وبعد فترةٍ قليلةٍ، بدأ يعظ.

أصبحت خدمة كينيث هيجن معروفةً على مستوى العالم، من خلال خدمةٍ أمينةٍ، بيع أكثر من خمسة وستين مليون كتاب، وأنشِئ مركز لتدريس الكتاب المقدس تخرَّج منه أكثر من ثلاثين ألف شخص، تفرَّغ كثيرون منهم للخدمة. بعد خمسةٍ وستين سنة من الخدمة، ذهب كينيث إلى بيته مع الرب، لكن ما تركه من تراثٍ مازال موجودًا. لقد نال إكليلَ الحياة في مجال الشفاء، ومن خلال خدمته الأمينة، تغيَّرت حياةُ الكثيرين ونالوا الشفاء.

ماذا لو أن كينيث هيجن لم يثابر؟ ماذا عن حال الملايين الذين تأثروا بخدمته؟

هناك شيء مُشتَرَك بين هؤلاء الأشخاص الثلاثة الذين تحدثتُ عنهم – حماتي، أورال روبرتس، كينيث هيجن؛ لقد تعرَّضوا للهجوم، والاتهام بالكذب، وتحدث الآخرون عنهم بالشر. لقد توقف بعض الأصدقاء عن التحدث مع شيرلي منذ أن قررت أنها تثق في قدرة الله على الشفاء. أما أورال روبرتس وكينيث هيجن فقد اتُّهِما بالتطرُّف والهرطقة، وبأنهم يتحركون بقوة الشيطان. لكن، في هذا الصدد، يقول الربُّ يسوع: **"وَيْلٌ لَكُمْ إِذَا قَالَ فِيكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ حَسَنًا. لأَنَّهُ هكَذَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ بِالأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ" (لو ٦: ٢٦).**

من المُحزِن أن نرى بعضَ الخُدَّام قد سهَّلوا وخفَّفوا من رسالة الملكوت ليجعلوا الآخرين يشعرون بالراحة. ولخوفهم من أن يضايقوا أحدًا أو يُتَّهَموا بأنهم متطرفون، انسحبوا من حرب الإيمان. بالنسبة لهؤلاء، أي شيء يحدث يعتبرونه مشيئة الله ويجب عليهم أن يقبلوه. لقد استبعدوا الأجزاءَ التي قد تضايق البعضَ من الكتاب المقدس. لقد أعلن الكتابُ المقدس أن الرب يسوع حجر عثرة. لكنهم اختزلوه لمجرد حصاة لا يمكن أن يتعثر فيها أي شخص.

هؤلاء الرعاة والخُدَّام والمؤمنون يحبون أن يتحدث عنهم الآخرون حسنًا، فلن يُتَّهموا بالتطرُّف أو الهرطقة. لكن الرب يسوع اتُّهِم بكل هذه الاتهامات؛ لقد كان ثابتًا في الحق، وأظهر خداعَ هؤلاء الذين كانوا يحبون أن يتكلم الآخرون عنهم بالحسن. لقد أعلن الرب يسوع عن هذا وقال: **"طُوبَاكُمْ إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ، وَإِذَا أَفْرَزُوكُمْ وَعَيَّرُوكُمْ، وَأَخْرَجُوا اسْمَكُمْ كَشِرِّيرٍ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الإِنْسَانِ" (لو ٦: ٢٢).**

الحقيقة هي أنك إذا اخترت أن تكون مؤمنًا ثابتًا، شخصًا له سيادة في هذه الحياة، ففي الأغلب سيُفترَى عليك، ويُسَاء فهمك، وربما تُهمَّش عن طريق الذين يعلنون تبعيتهم للرب يسوع. لكنهم يفضِّلون أن يعيشوا حياةً سهلةً ومريحةً. سيحاولون أن يشوِّهوا سمعتك لتبرير أسلوبهم الفاتر. لقد فعلوا ذلك مع الأنبياء في العهد القديم، مع يوحنا المعمدان، ومع الرب يسوع، ومع كل القادة في العهد الجديد. كذلك، هم يفعلون نفسَ هذا الأمر اليوم. إن أشد مقاومة ستواجهها هي من هؤلاء الذين يدَّعون أنهم يعرفون الله. قد يتراوح ما بين كذب، وشاية وتهميش. قد يصل الأمرُ إلى ما تنبَّأ به الرب يسوع: **"سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً للهِ" (يو ١٦: ٢).**

هل تريد أن تملك في هذه الحياة لمجد الله؟ هل تريد أن تؤثر في حياة أشخاصٍ لينضموا للملكوت؟ هل تريد أن تسمع السيد يقول في اليوم العظيم: "نعمَّا أيها العبد الصالح والأمين"؟ إذا كان الأمر هكذا، فستقابل ضيقات، أحيانًا شديدة، ستحتاج أن تحتملها، بل وتتغلب عليها.

إذا كنت تريد أن تملك، ولديك الاستعداد أن تحتمل، استمر في قراءة هذا الكتاب. فالأروع ستجده في الفصول التالية.

٧

من يقف وراء الصعوبات؟

"لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجلِ المَسِيحِ لا أَنْ تؤمِنُوا بهِ فَقَط، بلْ أيضًا أَنْ تَتَألَّمُوا لأَجلِهِ" (فيلبي ١: ٢٩).

عندما نقرأ (في ١: ٢٩) يبدو من بداية الآية أنها مشجِّعة "لأنه قد وهب لكم..." إن كنا نسمع هذه العبارة فقط دون أن نعرف بقية هذه الآية، لعلَّنا كنا نسأل: "ما الذي وُهب لي؟ ما هي المواعيد التي تنتظرني؟"
الإجابة : "أن تتألم من أجله".

ماذا؟ أن "يُنعَم" عليك بامتياز أن تتألم، هذا أمر لا يتماشى مع الذهن البشري. إلا أن الله لا يستطيع أن يخدع، ومن المستحيل أن يخدع؛ لأنه لا يستطيع أن يكذب. قد تبدو هذه الآية للشخص البسيط السطحي وكأنها تحمل نوعًا من الخداع، لكن لذلك الشخص العميق في فهم الكلمة، فهذه الآية تحمل وعدًا رائعًا. هؤلاء الذين يسلكون بل وينمون في المسيح يعرفون هذه الحقيقةَ المتأصلةَ بعمقٍ في قلوبهم وهي: عندما تشتد المعركةُ، يعظم الانتصارُ.

تعالوا بنا نتأمل جنديًّا مخلصًا تدرَّب تدريبًا قاسيًا على القتال، يدرك أهمية المعركة، وينتظر الفرصة التي فيها يحارب لينتصر. عندما يُعلَن عن بداية الحرب، يبتهج هو ورفقاء السلاح بهذه الفرصة؛ لأنهم من خلال الانتصار سيجلبون الكرامة والمجدَ للملك، وبلا شك، سوف تعمُّ الفائدةُ على الشعب. بالنسبة له، لأجل مصلحة الملك والمملكة، وُهِب له أن يعاني من ويلات الحرب لكي ينتصر. هل نستطيع أن نفهم من خلال هذه الفكرة ما ورد في (في ١: ٢٩)؟

لكنك قد تقول: "إن هذا المثل ينطبق على الجنود، وأنا لست جنديًّا. ليس لديَّ مظهر أو فكر المقاتل". إن كنت في المسيح فأنت بحق جندي مقاتل؛ لأن بذار المسيح قد زُرعت في داخلك. إن الرب يسوع هو أعظم مقاتل عاش على أرضنا. لقد أعلن الكتابُ هذه الكلمات: **"بالعَدلِ يَحكُمُ ويُحارِبُ. وعَيناهُ كلهيبِ نارٍ... ومِنْ فمِهِ يَخرُجُ سيفٌ ماضٍ" (رؤ ١٩: ١١-١٢، ١٥).** لقد خُلِقتَ خليقةً جديدةً على صورته، وصرت مشابهًا له. أخذت طبيعته. حيث إن الرب يسوع مقاتل، فأنت أيضًا مقاتل. لذلك يذكِّرنا الكتابُ مرات كثيرة في العهد الجديد بالحرب. فيكتب الرسول بولس:

"إن هذه ليست مصارعةً رياضيةً في مساء أحد الأيام، سوف نتركها وننسى ما حدث فيها بعد عدة ساعات، لكنها صراع الموت أو الحياة مع إبليس وملائكته، الذي سيستمر حتى النهاية" (أف ٦: ١٢ ترجمة MSG).

أُحبُّ الطريقة التي عبَّرت بها هذه الترجمة عن كلمات الرسول بولس. نحن في معركة موت وحياة، في حرب لا نستطيع أن نتجنَّبها. لقد كتب الرسولُ بولسُ رسالةً مماثلةً إلى كنيسة كورنثوس: **"لأَنَّنا وإنْ كُنّا نَسلُكُ في الجَسَدِ، لسنا حَسَبَ الجَسَدِ نُحارِبُ. إذ أسلِحَةُ مُحارَبَتِنا ليستْ جَسَديَّةً، بل قادِرَةٌ باللهِ علَى هَدمِ حُصونٍ" (٢ كو ١٠: ٣-٤).** من الواضح أننا جنود روحيون في معركةٍ! وقد خُلِقنا لهذه المعركة. يحثُّنا الرسول بولس ويقول: "شارك في احتمال الآلام كجندي صالح للمسيح يسوع. فالجندي لا يشغل نفسه بأمور الدنيا إذا أراد أن يرضي قائده" (٢تي ٢: ٣-٤ ترجمة الأخبار السارة). دع هذه الحقيقة، تتعمَّق في ذهنك وفي قلبك.

كجندي، من الممكن أن تسلك سلوكَ الجبان فتتجنَّب الحربَ أو تهرب منها. أو قد تأخذ مسارَ البطل وبمثابرةٍ تخوض المعركةَ وتنتصر. إذا اخترت الطريق الأول، للأسف لن يذكرك أحدٌ. لكن عندما تختار طريق الشجعان ستنال مكافأة الأبطال من الملك.

صديقي، أعرف أن داخل قلبك رغبةً لترضي الملك، وأن تمجِّده وتحيا لأجله. إذا سمحت لجسدك أن يسود، عندئذٍ ستحرم نفسَك من امتياز أن تشارك في آلام المسيح.

يخبرنا الكتاب في رسالة رومية أنه لكي نملك مع الرب يسوع علينا أن نشترك معه في آلامه. من الواضح أننا سوف نحتاج أن نواجه ونغلب الضيقات والمقاومات.

لكن علينا أن نواجه هذه الأمور بفرح؛ لأننا سننظر إلى الألم باعتباره موهبة لا أمر مفزع. كلما كبرت المعركة، كلما عظم الانتصار ـ وبالتالي يتعظم مجد الله. أقدِّم لك هنا الخبرَ العظيم: احتمال الخسارة في المعركة ليس واردًا! نحن نمتلك هذا الوعدَ **"ولكن شُكرًا للّهِ الذي يَقودُنا في مَوْكِبِ نُصرَتِهِ في المَسيحِ كُلَّ حينٍ" (٢ كو ٢: ١٤).**

اللهُ لا يستغلُّ الأطفالَ

أشرت في الفصل السابق إلى ما حدث بعد معمودية الرب يسوع. لقد قاده الروحُ القدسُ إلى البرية؛ حيث كان يسوعُ يُجرَّب لمدة أربعين يومًا وأربعين ليلة. إن الله، هو الذي قاد الربَّ يسوع إلى البرية، وليس إبليس. كان اللّهُ يدرك أن ابنه سوف يُمتَحَن امتحانًا صعبًا، لكنه قاده إلى هناك لغرضٍ. إن المبدأ هنا هو أن الله لا يُدخِلنا إلى العواصف إلا بعد أن يعطينا القوة لكي نتغلَّب عليها. احفظ هذا المبدأ دائمًا داخل قلبك، لأنه سيعطيك القوة وأنت تواجه المقاومات.

لقد أوضح الربُّ يسوع بكلِّ جلاءٍ أنه لم يعمل أو يَقُل أمرًا إلا إذا كان مصدره الآب. لقد كان يُقاد بروح الله. قال: **"ولستُ أفعَلُ شَيئًا مِنْ نَفسي، بل أتكلَّمُ بهذا كما عَلَّمَني أبي" (يو ٨: ٢٨).**

في أثناء خدمته، بعد يومٍ طويلٍ قضاه يعلم الجموع، شعر الرب يسوع بالإرهاق. راودتني بعضُ الأفكار عمَّا كان يشعر به. في بعض المناسبات، أعط أربع أو خمس مرات في اليوم، وأصاب بالإعياء، لدرجة أنني قد أنام في السيارة التي ستنقلني إلى الفندق ولا أتحدث مع مضيفي.

قد يكون هذا ما حدث مع الرب يسوع. أتى المساء وكان على استعداد أن يقضي ليلةً هادئةً في النوم، إلا أن الروح القدس أرشده ليطلب من تلاميذه أن يأخذوا السفينة ويعبروا إلى الشاطئ المقابل. على الجانب الآخر من البحر، كان هناك شخص به روح شرير يحتاج إلى مساعدة. دخلوا جميعهم إلى السفينة، ثم نام الرب يسوع.

فجأة هبَّت عاصفةٌ شديدة. كان أربعة رجال من الذين على السفينة ماهرين في البحر، وكانوا يقضون أغلبَ حياتهم في الماء. يعرفون أنواع العواصف ويستطيعون أن يتعاملوا معها، إلا أن هذه العاصفة لم تكن عاصفةً عاديةً. كانت العواصف تضرب السفينة بشدة، ولم يستطيعوا أن يتعاملوا معها، لذلك أيقظوا الربَّ يسوع وصرخوا: "أما يهمك أننا نهلك؟" لم يروا بعيونهم أية فرصةٍ للنجاة من هذه الضيقة الشديدة.

في وسط هذه العاصفة، هل تعتقد أن اللّه الآب والروح القدس كانا منزعجين؟ هل تعتقد أنهما كانا، بكل حبٍّ، يقدمان مشورةً لبعضهما البعض قائلين: "نحن لا نستطيع أن نصدق هذا! لم تكن لدينا أية فكرة أن هذا سوف يحدث! ما الذي ينبغي أن نعمله؟ لماذا أرشدنا الربَّ يسوع للذهاب إلى الشاطئ المقابل؟ لقد ارتكبنا خطأً كبيرًا!"؟

الروحُ القدسُ يعرف نهايةَ الأمر قبل أن نبدأه.

أليس مضحكًا أن تفكر بهذه الطريقة؟ بالطبع ليس هذا الذي حدث. كان الروح القدس يعلم أن هناك عاصفةً سوف تهب؛ لأنه يعرف نهايةَ الأمر قبل أن يبدأ **"مُخبِرٌ منذُ البَدءِ بالأخيرِ، ومنذُ القَديمِ بما لم يُفعَلْ" (إش ٤٦: ١٠).** لقد قاد الربَّ يسوع ليدخل السفينة وهو يعلم تمامًا أن عاصفةً شديدةً تنتظرهم. إلا أن اللّه لا يقودنا إلى عاصفة دون أن يعطينا القوةَ لنتغلب عليها. بمجرد أن استيقظ الربُّ يسوع، ذهب إلى مقدمة السفينة وأمر الريحَ أن تسكت، ثم تحوَّل إلى تلاميذه وسأل: **"مَا بالُكُمْ خائفينَ هكذا؟ كيفَ لا إيمانَ لكُمْ؟" (مر٤: ٤٠).**

لماذا تكلم الربُّ يسوع بهذه الكلمات القوية بعد أن حاول هؤلاء الخبراء في البحر أن يصارعوا من أجل الحياة؟ لماذا وبَّخهم بشدة على عدم إيمانهم؟ قبل أن يترك الربُّ يسوع الشاطئَ قال لهم: **"لِنَعْبُرْ إِلَى الضِّفَّةِ المُقَابِلَةِ" (مر ٤: ٣٥ ترجمة كتاب الحياة).** لم يَقُل: "دعونا نعبر منتصفَ البحر ثم نغرق" كان عليهم أن يدركوا أن هناك نعمةً (قوة) كافية في كلمة الرب يسوع لتوصلهم إلى الشاطئ المقابل. كان عليهم أن يقفوا في السفينة ويصرخوا: "أيتها العواصف لن تقتلينا، ولن توقفي مسيرتنا في اتجاه الشاطئ! سنذهب إلى الشاطئ المقابل لأن سيدنا قال: "لنعبر إلى الضفة المقابلة". لذلك ابعدي أيتها العواصف عن طريقنا!"

كان الله يعلم أن العواصفَ سوف تهب، لقد قادهم إلى حيث العواصف، لكنه أعطاهم السلطانَ والقوةَ ليتغلبوا عليها. وهنا نجد المفتاح: إن الذي يميِّز بين هؤلاء الذين ينهزمون في الحياة وهؤلاء الذين يغلبون في الحياة هو إدراكهم أن المعركة والصراع أمر حتمي، وأننا نملك القوةَ على كل ما يقف ضدنا، على عكس ما يعتقده الإنسان الطبيعي. لهذا، فإننا نستطيع ـ بل وينبغي ـ أن نحارب بصمود إلى أن ننتصر. يا ليت الحق الوارد في (**٢ كو ٢: ١٤**). يتغلغل في كل جزء من كيانك "**وَلَكِن شُكرًا للهِ الَّذِي يَقودُنا في مَوْكِبِ نُصرَتِهِ في المَسيحِ كُلَّ حينٍ**".

إن كان الأمر قد تُرك للتلاميذ، في إدراكهم المحدود، لكانوا جميعهم قد ماتوا غرقى. إلا أن تصميم الرب يسوع أن يحارب العواصف نتج عنه لا إنقاذ حياتهم من الغرق فحسب، لكن تحرير شخصٍ من الأرواح النجسة كان موجودًا على الشاطئ المقابل.

لكن الفائدة لم تقف عند هذا الحد؛ لأن هذا الرجل بعد أن نال الشفاءَ مضى وابتدأ ينادي في العشر المدن كم صنع به يسوع. بلا شك، تأثرت نفوسٌ كثيرةٌ وانضمت للملكوت. لقد قاد الروحُ القدسُ الربَّ يسوعَ وتلاميذَه إلى العاصفة، لقد عانوا من صعوبة المشكلة، لكن لم تكن إطلاقًا إرادة الله لهم أن ينهزموا، لكن كان تركيز الله هو إعلان مجده ليظهر على الوجه الآخر من العاصفة.

إذا سألنا التلاميذ اليوم: "هل تحرير ذلك الشخص من قبضة إبليس يستحق ما قاسيتموه في العاصفة الشديدة؟" بلا شك كانوا سيقولون: "بالتأكيد!"

دعونا نرى قصةً أخرى. قاد الروحُ القدسُ بولسَ في إرساليةٍ إلى أورشليم، لكن انظروا ما كان ينتظره هناك:

"وأنا اليوم ذاهب إلى أورشليم، مدفوعا بالروح، ولا أعلم ماذا ينتظرني هناك. إلا أن الروح القدس كان يعلن لي في كل مدينة أذهب إليها أن السجن والمصاعب تنتظرني" (أع ٢٠: ٢٢-٢٣ ترجمة كتاب الحياة).

إن الكلمة اليونانية التي تُرجمت "مصاعب" هي thlipsis (رأينا هذه الكلمة من قبل). فالروح القدس كان يقود بولسَ إلى مكانٍ سوف يواجه فيه ضيقاتٍ شديدةً. لكن الله يعطي نعمةً للانتصار دائمًا، على أية معوِّقات تواجهنا في الطريق الذي يقودنا فيه.

ما هي نتيجة موقف الرسول بولس الصامد وسط هذه الضغوط؟ لم يسمع رسالة الإنجيل اليهودُ والأممُ الذين في أورشليم فقط، بل سمعها الكثيرون من المواطنين

الرومان – حتى الجنود، القضاة، الحكام، الولاة بل قيصر نفسه! كل هؤلاء سمعوا الرسالة من الرجل الذي قاده الروحُ إلى حيث الضيقات والضغوط. إن الله ليس مصدرًا للزوابع أو الألم، لكنه كان يدرك أن بولس سوف يواجهها؛ لأنه يعيش في عالمٍ ساقطٍ يعادي طرقَ الله. إلا أن محبة المسيح كانت تلزم بولسَ ليذهب حيث يقتاده الروحُ، وأعطاه اللهُ النعمةَ ليتغلَّب على الضغوط. لخص الرسولُ بولسُ رحلتَه بهذه الكلمات: **"أيَّةَ اضطِهاداتٍ احتَمَلتُ! ومِنَ الجميعِ أنقَذَني الرَّبُّ"** (**٢ تي ٣: ١١**). إن هذه الكلمات تتَّفق مع كلمات المرنم: **"لأَنَّهُ مِنْ كُلِّ ضيقٍ خَلَّصَني، وبأعدائي رأَتْ عَيني"** (**مز ٥٤: ٧**). إنه خلصني، ليس من ضيقٍ أو من بعض ما يضايقني، بل من كل ضيق، أي من ١٠٠٪ من الضيقات. إن هذا المبدأ ينطبق عليك وعليَّ!

نصيحة أبوية

عندما كان ابننا الأكبر أديسون في المرحلة الأولى من التعليم، اصطدم ببعض الطلبة المشاغبين (البلطجية). في أحيانٍ كثيرة، كان يعود إلى المنزل باكيًا بسبب الطريقة التي يعامله بها هؤلاء الأولاد في ملعب المدرسة. أعتقد أنك تستطيع أن تخمِّن ما الذي كنت أريد أن أفعله كأب. كنت أود أن أذهب إلى الملعب، أضرب هؤلاء الأولاد وأحذِّرهم قائلًا: "إياكم أن تلمسوا أو تتحرشوا بابني مرةً أخرى!" إلا أنه كانت ستواجهني ثلاث مشاكل: أولًا، إن هذا التصرف لا يليق بي كشخصٍ مؤمن. ثانيًا، هذا العمل قد يؤثِّر سلبًا على نمو شخصية أديسون. ثالثًا، ليست لي أية سلطةٍ على الملعب. إن الملعب ليس مكاني بل المكان الذي يستطيع ابني أن يفرض فيه سلطته.

بمجرد أن هدأت، قررت أنا وليزا أن أفضل شيء نفعله لأديسون أن نعلمه كيف يتعامل مع الضغوط التي يواجهها. كنت أنا وأمه في كلِّ ليلةٍ نقدم له بعضَ الإرشادات والنصائح لكي نساعده حتى يستطيع أن يتعامل مع الصعوبات التي يواجهها من المشاغبين بنجاح. كنا نرسله إلى المدرسة وهو مسلح باستراتيجيات يستطيع من خلالها أن يتعامل مع الصعوبات التي يواجهها (بالطبع لو كنا قد شعرنا بأن هناك خطورةً على أديسون، لكنا اتصلنا بمدرِّسه أو ناظر المدرسة).

بعد أن تعاملنا مع كل الظروف والمصاعب التي واجهت أديسون وهو في مراحل الطفولة، أصبح أديسون بارعًا في كيفية التواصل مع الناس. التحق بالخدمة مع

فريق العمل الذي يعمل معنا في عام ٢٠٠٤م، كموظفٍ مبتدئ، كان لدينا حوالي ٤٠ موظفًا تتراوح أعمارهم مِن دون العشرين إلى فوق الستين. قُلتُ لأعضاء الفريق، ألا يعاملوا أديسون بنوعٍ من الأفضلية لأنه ابني. بعد ستة أشهر قال لي قائد الفريق: "نريد أن نرقّيه ليصبح رئيس قسم العلاقات الكنسية" إن هذا القسم هو من أهم الأقسام المحورية في خدمتنا، لذلك سألت القائد: "لماذا تريد أن تجعل أديسون رئيسًا لهذا القسم؟" أجاب "لأن ابنك قائدٌ".

استلم أديسون هذا القسمَ وازدهر القسم جدًّا. نال ثقة العاملين معه في القسم، بل وكل العاملين في الهيئة. كان الكل يشهد بحكمته ومهارته في حل المشكلات والصراعات. اليوم ـ وهو يبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا ـ استطاع من خلال عمله كمديرٍ عام لهيئتنا (Messenger International) أن يقوم بعملٍ رائعٍ. لقد كسب محبة الموظفين، بمختلف أعمارهم. هم يثقون في قيادته ويعاملونه بحبٍّ.

دعني الآن أسأل: "لكي أحمي أديسون وهو في المرحلة الأولى من تعليمه، هل كان عليَّ أن أخرجه من المدرسة التي يُساء إليه فيها وأحضر له مدرِّسين خصوصيين في البيت ويحصل على شهاداته من البيت؟ هل تعتقد أنني رجلٌ قاسٍ أو مؤذٍ عندما أرسلته مرةً أخرى إلى المدرسة مع علمي أنه يواجه هؤلاء البلطجية كل يوم؟" لا، أنا لست بهذه القسوة. على ذات المنوال، الله ليس قاسيًا أو مؤذيًا عندما يقودنا إلى مواقف صعبة – مواقف علينا أن نقهرها وننتصر عليها لامتداد الملكوت. إنه يعرف أن هذا لصالحنا وأن هذه الأمور سوف تجلب المجدَ لاسمه، وسوف تعود بالفائدة على شعبه، إذا واجهنا التحدِّي بقوة نعمته.

مصادر الضيقات

قبل أن نتعمَّق في دراستنا، ينبغي أن تتَّضح أمامنا الأمورُ بالنسبة إلى مصادر thlipsis (الضيقات) وما هي إرادة الله لنا في وسطها. إن هذا الأمر حسَّاسٌ ومن الممكن أن يسبِّب عثرةً للكثيرين خاصةً في مجالات الحياة الثلاثة الأساسية. لأجل أهمية الموضوع، سأخصِّص له بقيةَ هذا الفصل قبل أن أستمر في دراسة موضوع الدخول للغلبة أو السلطة.

من الأمثلة التي درسناها، نستطيع أن ندرك أن الله ليس هو مصدر الضغوط، لكن الضغوط والمقاومة والصعوبات والاضطهادات تنبع من قوى العالم الساقط. هل هذا

صحيح دائمًا؟ علينا أن نتوقف أمام هذا السؤال: لأنه لو تولَّد لديك أيُّ شكٍّ ولو بسيط في أن الله قد يكون هو مصدرًا أو مخطِّطًا لبعض الضغوط الخاصة التي تواجهها، عندئذٍ قد تشعر أنك لست في حاجةٍ أن تحاربها لتنتصر عليها.

إن الجندي الذي يذهب إلى الحرب يعرف العدوَّ الذي يواجهه. وإن كان حكيمًا، فعليه أن يعرف حِيَله. فالمقاتل لا يذهب إلى المعركة وهو لا يعرف على وجه اليقين من يحاربه. إلا أنني بعد أكثر من ثلاثين عامًا في الخدمة، تقابلتُ مع مؤمنين كثيرين ليسوا متأكِّدين مِنْ "مَنْ المتسبِّب في الصعاب التي يواجهونها؟" من المُحزِن أنهم لا يعرفون استراتيجيات العدو وأنشطته، لذلك، يوصينا الكتابُ بأن نكون حكماء **"لِئَلَّا يَطمَعَ فينا الشَّيطانُ، لأنَّنا لا نَجهَلُ أفكارَه"** (٢كو ٢: ١١).

كيف نعرف حِيَل الشيطان؟ لقد أخبرنا بها يسوعُ فقال: **"السَّارِقُ لا يَأتِي إلَّا لِيَسرِقَ ويَذبَحَ ويُهلِكَ، وأمَّا أنَا فَقَدْ أتَيتُ لتَكُونَ لهُمْ حَيَاةٌ ولِيَكُونَ لهُمْ أفضَلُ"** (يو ١٠: ١٠).

في بداية (يو ١٠) قال الرب يسوع إن "السارق" هو الشيطان وجنوده. بعد ذلك، قال عنه الربُّ إنه هو **"رَئِيسُ هَذَا العَالَمِ"** (يو ١٦: ١١). قال عنه الرسولُ بولس إنه **"إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ"** (٢ كو ٤: ٤)، **"رَئِيسُ سُلطانِ الهَواءِ"** (أف ٢: ٢). إنه الشخص الذي يضع نظامَ هذا العالم. إن الشيطان هو مصدر صراعاتنا. يقول الرسولُ بولس: **"فإنَّ مُصارَعَتَنا ليستْ مع دَمٍ ولَحمٍ، بل مع الرُّؤَساءِ، مع السَّلاطينِ، مع وُلاةِ العالَمِ علَى ظُلمَةِ هذا الدَّهرِ، مع أَجْنَادِ الشَّرِّ الرّوحيَّةِ في السماويَّاتِ"** (أف ٦: ١٢).

إن كلمات السيد في (يو ١٠: ١٠) وكلمات الرسول بولس في رسالة أفسس التي ذكرتها من قبل، توضِّح دون شكٍّ أن الصعوبات التي نضعها تحت عنوان سرقة- ذبح- هلاك (تدمير)، هي من تأثير قوى الظلام المذكورة في (أف ٦: ١٢). على الجانب الآخر، فإن غرض الرب يسوع هو أن تظهر إرادة الله في حياتك بصورةٍ كاملةٍ. عندما تواجهك ضغوطٌ أو صعوبات أو ألم من أي نوع، ضعها في ضوء (يو ١٠: ١٠). لترى هل هي من الله أم من العدو. لترى كيف تستطيع أن تفعل هذا هيا بنا نرى أمثلةً شائعة.

الخجل ـ الذنب ـ الدينونة

إذا فحصت مشاعرَ الخجل، الذنب، الدينونة في ضوء ما يعلنه الكتاب في (يو ١٠: ١٠)، فبالتأكيد أن مصدر هذه الأمور هو السارق وليس الله.

لكن لكي نكون متأكّدين تمامًا، دعونا نتعمَّق أكثر. كتب المرنم وقال: **"بارِكي يا نَفسي الرَّبَّ، ولا تنسَيْ كُلَّ حَسَناتِهِ. الَّذي يَغفِرُ جَميعَ ذُنوبِكِ. الَّذي يَشفِي كُلَّ أمراضِكِ"** (مز ١٠٣: ٢-٣).

فكر في شخصٍ تثق فيه ثقةً عمياء. هل هو شريك حياتك، أحد والديك أو جدك، أو طبيبك؟ هذا الشخص لم يكذب عليك مرةً واحدةً ولم يخدعك على الإطلاق. أرجو أن يكون لديك شخصٌ بمثل هذه المواصفات في حياتك في الماضي أو في الحاضر. تخيَّل أن هذا الشخص وعدك بهذه الوعود التي قرأتها، لكن ليس هذا فقط، لكن لديه القدرة أن ينفِّذها.

الآن، أريد أن أقول لك إن الله أكثر مصداقيةً من أيِّ شخصٍ تفكِّر فيه. لقد أوصانا ألَّا ننسى واحدةً من المزايا التي يعطيها لنا. الفائدة الأولى هي أنه غفر كل خطايانا. يا للعجب! يا لها من شفقةٍ، رحمةٍ، محبةٍ! إن لم تكن قد نلت هذا من قبل، يا ليتك تحدِّد هذا الآن. لقد غُفِرَت لك خطاياك في المسيح. ليست هناك خطية ارتكبتها لم تُمحَ بدم المسيح. إن كانت تسيطر عليك مشاعر الخجل، الذنب والإدانة من جهة خطيةٍ ارتكبتها في الماضي ـ سواء بالقول أو بالفعل ـ وقد سبق وطلبت من الله الغفرانَ، فثق أن الله ليس هو السبب في هذه المشاعر المُتعِبة. في هذا الإطار، يقول الرسول بولس:

"مَنْ سيَشتَكي علَى مُختاري اللهِ؟ اللهُ هو الذي يُبَرِّرُ. مَنْ هو الذي يَدينُ؟ المَسيحُ هو الذي ماتَ، بل بالحَريِّ قامَ أيضًا، الذي هو أيضًا عن يَمينِ اللهِ، الذي أيضًا يَشفَعُ فينا" (رو ٨: ٣٣-٣٤).

بكل وضوحٍ يقول: "من يتجرأ ويشتكي ضد الذين اختارهم الله؟ لا أحد!... من يقدر أن يدينا؟ هل المسيح يسوع؟ "لا"" فكِّر في هذا: أرسل اللهُ الربَّ يسوعَ المسيحَ ليموت عنا ونحن بعد أعداء. ارتضى الربُّ يسوعُ طواعيةً أن يموت، والروح القدس عمل فينا. لماذا يديننا الآبُ، الابن والروح القدس الآن ويجعلنا نشعر بالذنب ونحن الآن لسنا أعداء بل أولاد الله؟ لماذا يدينك وقد سبق ووضع الدينونة على الحمل المذبوح؟ هل لم تكن ذبيحة المسيح كافيةً؟! هل لم تكن أبديةً؟!

يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين:

"فكَمْ بالحَريِّ يكونُ دَمُ المَسيحِ، الذي بروحٍ أزَليٍّ قدَّمَ نَفسَهُ للهِ بلا عَيبٍ، يُطَهِّرُ ضَمائرَكُمْ مِنْ أعمالٍ مَيِّتَةٍ لتخدِموا اللهَ الحَيَّ!" (عب ٩ :١٤).

إن ذبيحة المسيح لم تمحُ خطايانا أمام الله فحسب، لكنها أيضًا طهَّرت ضمائرنا من دينونة وذنب وعار الخطية. لذلك، إن كنت تحيا له وتطيع إرادته، وما زالت هذه الأفكار والمشاعر تنتابك، تأكَّد أنها نابعةٌ من العدو الذي يحاول أن يشدَّك للخلف. تحتاج أن تواجه مصدر هذه المشاعر بحسم. كيف؟ بذات الطريقة التي واجه بها الربُّ يسوع نفسَ هذا العدو في البرية: بكلمة الله! (سأتحدث عن هذا الأمر بالتفصيل في الفصول الأخيرة).

لكن، إذا ـ وأنا أقصد "إذا" ـ لم تكن تحيا في طاعة الله، عندئذٍ، سيدينك قلبُك. يقول الرسول يوحنا: **"ولو لامتنا قلوبنا، فإن الله أعظم من قلوبنا، وهو العليم بكل شيء. أيها الأحباء، إذا كانت ضمائرنا لا تلومنا، فهذا دليل على أن لنا ثقةً عظيمةً من نحو الله"** (١ يو ٣: ٢٠-٢١ ترجمة كتاب الحياة). إن كلمة "لامتنا" في هذه الأعداد لا تعني "أننا نواجه حكمًا معيَّنًا" لكنها في الأصل اليوناني kataginosko تعني "أن أكتشف خطأً".

إن ضمائرنا تحمينا وتحفظنا من أن نبتعد عن الشركة مع الله. إن كانت شركتنا مع الله ضعيفةً، ولا تنمو، فالروح القدس سوف يصحِّحها كأب مُحِب: **"يابني، لا تستخف بتأديب الرب. ولا تفقد العزيمة حين يوبخك على الخطأ"** (عب ١٢: ٥ ترجمة كتاب الحياة). إن الله يصحِّح من مسارنا ليردَّنا للشركة معه، ويجعلنا مشابهين له - لا بهدف أن يقتلنا أو يسرقنا أو يدمِّرنا.

تذكر دائمًا أن الإدانة والتأديب يصاحبهما إحساسٌ بعدم الراحة، فهما عمليتان مؤلمتان! **"ولكن كُلَّ تأديبٍ في الحاضِرِ لا يُرَى أنَّهُ للفَرَحِ بل للحَزَنِ"** (عب ١٢: ١١). إلا أن هناك فرقًا شاسعًا بينهما. الإدانة لا تعطيك طريقًا للراحة بل تتركك مثقلًا بمشاعر الذنب والخجل في داخلك. إلا أن التأديب يقدِّم لك طريقًا للتوبة.

إن كان ضميرُك يعرف أنك لا تطيع الله، فالله أيضًا يعلم هذا؛ لأنه هو أعظم من ضميرك. لذلك، حاول أن تكون دائمًا في صلةٍ مع الله، وفور أن تعصاه، تعالَ معترفًا، وسوف يغفر لك. إن الأمر في منتهى البساطة.

يكتب الرسول يوحنا: **"يا أولادي، أكتُبُ إلَيكُمْ هذا لكَيْ لا تُخطِئوا. وإنْ أخطأَ أحَدٌ فلنا شَفيعٌ عِندَ الآبِ، يَسوعُ المَسيحُ البارُّ"** (١ يو ٢ :١).

لاحظوا أن الرسول يوحنا لم يَقُل: "عندما تخطئوا". لا، فالهدف هنا هو ألا نخطئ. إن الضمير الخاطئ سوف يقودك في اتجاه الخطية، لكن الضمير الحي أمام الله سوف يحفظك قويًّا وثابتًا ضد الخطية. إن هذا الإدراك سيساعدك على أن تتذكر أن قوة الخطية قد تلاشت في حياتك، وأن النعمة التي أخذتها سوف تجعلك حيا بلا خطية في الداخل والخارج.
"فإنَّ الخَطيَّةَ لن تسودَكُمْ، لأنَّكُمْ لستُمْ تحتَ النّاموسِ بل تحتَ النِّعمَةِ" (رو ٦: ١٤).

إذًا، فالهدف هو ألا نخطئ. إن نعمة الله ستُمكِّننا من تحقيق هذا الهدف. لكن إذا- وأنا أركز هنا على "إذا" ـ أخطأنا، نستطيع في التوِّ واللحظة أن نعترف بخطيتنا ونؤمن بما وعدتنا به كلمة الله: **"إنِ اعتَرَفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادِلٌ، حتَّى يَغفِرَ لنا خطايانا ويُطَهِّرَنا مِنْ كُلِّ إثمٍ"** (**١يو ١: ٩**). كلمة "أمين" تعني أنه سيغفر في كل مرة، بغضِّ النظر عن عدد المرات التي أخطأت فيها. كلمة "عادل" معناها أنه سيفعل هذا بغضِّ النظر عن من أنت أو ماذا فعلت. لذلك، هو يطهِّرك من كل إثمٍ؛ أي من أي خطأ. وتصبح طاهرًا أمامه، وكأنك لم ترتكب أيَّ خطأ. إن دم الرب يسوع يزيل هذه الخطية ويبعدها كبُعدِ المشرق عن المغرب!

أحد أكبر المعطِّلات في حياة المؤمن الذي يملك في الحياة هو ضمير الخطية. عندما نستمر في الشعور بالخجل والذنب والإدانة عن خطايا سبق وقد اعترفنا بها وتُبنا عنها أمام الله، فإن هذا سيصيبنا بالضعف. رأيت مؤمنين كثيرين يبعدون عن حياة الإيمان نتيجةً لشعورهم بالخجل والذنب الذي كان مصدره العدو. كانوا يشعرون أنهم أخطأوا كثيرًا، أو أن خطاياهم من النوع الذي لا يُغفَر. بالرغم من أن الله لم يلُمهم، إلا أن الشيطان كان يستخدم ذهنهم غير المُجدَّد ليجعلهم يشعرون بالذنب والخجل واليأس. فتكون النتيجة هي: إما أن يبتعدوا عن الله، أو يكون إيمانُهم غيرَ مثمر. بدلًا من أن يختبروا المُلكَ في الحياة، تمتلكهم وتسيطر عليهم الحياةُ.

أرجو أن يكون هذا الأمر محسومًا داخلك الآن: إن كنت قد أخطأت واعترفت وتُبت أمام الله، فإن موقفك أمام الله كما لو لم تكن قد ارتكبت أية خطيةٍ. إن الله بنعمته جعل هذا الأمر واضحًا وبسيطًا. أليس هذا مدهشًا؟!

من المهم أن أضيف هذه الملاحظة: إن كنت ابنًا لله بحق، فسوف تشتاق إلى كل الأمور التي ترضيه؛ لأن طبيعته فيك. لكن الشخص الذي يعيش في حالة العصيان الدائم، فهذا الشخص لم يُولَد من الله. إن كنت تبحث من خلال النعمة عن رخصةٍ لتعيش في الخطية، فإنك تخدع نفسَك، وأود أن أكون واضحًا. أنت لم تَنَل الخلاصَ بعد. يقول الكتاب بكل وضوح: **"كُلُّ مَنْ يَثبُتُ فيهِ لا يُخطِئُ. كُلُّ مَنْ يُخطِئُ لم يُبصِرهُ ولا عَرَفَهُ. أيُّها الأولادُ، لا يُضِلَّكُمْ أحَدٌ: مَنْ يَفعَلُ البِرَّ فهو بارٌّ، كما أنَّ ذاكَ بارٌّ. مَنْ يَفعَلُ الخَطيَّةَ فهو مِنْ إبليسَ"** (١ يو ٣ : ٦-٨).

المرض ـ الاعتلال ـ العجز الجسدي

ما هي نوعية القوة التي تعطيها لنا النعمةُ لنتغلَّب على أمراضنا، عِلَلِنا أو عجزِنا الجسدي؟ اسمحوا لي بأن نستعرض معًا بعضَ الأجزاء من كلمة الله.

"بارِكي يا نَفسي الرَّبَّ، ولا تنسَيْ كُلَّ حَسَناتِهِ.
الذي يَغفِرُ جميعَ ذُنوبِكِ، الذي يَشفي كُلَّ أمراضِكِ" (مز ١٠٣: ٢- ٣).

فكِّر في شخصٍ تثق فيه جدًّا، وتذكَّر أن الله هو جدير بالثقة أكثر من أي شخص آخر. إنه لم يَعِد بوعدٍ إلا وأوفى به. إن الأمر الأول الذي نجده في هذا المزمور هو أن الله يغفر لكل واحد فينا خطاياه بكل أمانةٍ. لكن ليس هذا فقط، إلا أنه في ذات الوقت يطلب منا ألا ننسى بركةً أخرى. الله الذي لن يكذب يقول: "أنا أشفي كل أمراضك؟" لم يَقُل إنه يشفي ٩٨٪ من أمراضك، لا بل ١٠٠٪ من كل أمراضنا. إن شفاءه هو جزء من عمل المسيح الفدائي، وهو يعادل غفران خطايانا. لقد تنبَّأ إشعياءُ عمَّا سيتحمله الربُّ يسوع لأجل تحررينا الروحي والجسدي فقال:

"لكن أحزانَنا حَمَلها، وأوجاعَنا تَحَمَّلها. ونَحنُ حَسِبناهُ مُصابًا
مَضروبًا مِنَ اللّهِ ومَذلولاً. وهو مَجروحٌ لأجلِ مَعاصينا،
مَسحوقٌ لأجلِ آثامِنا. تأديبُ سلامِنا عليهِ، وبحُبُرِهِ شُفينا" (إش ٥٣ : ٤- ٥).

إن الكلمة العبرية التي تُرجمت "أحزاننا" في هذا الجزء هي"choli". في تفسير ستروخ، جاءت هذه الكلمة بمعنى "مرض – حزن – اعتلال". أما المفسِّر "هنري ثاير" فيقول

إنها تعني "ألم ـ مرض ـ حزن ـ علل ـ تعب". وردت هذه الكلمة ٢٤ مرة في العهد القديم، وفي ٢١ مرة منهم، كانت تشير ـ على وجه الخصوص ـ إلى المرض أو العجز. أعتقد أنه في هذه الآية التي نقف أمامها من السهل أن نترجم كلمة "choli" على إنها "علة" أو "مرض".

إن الله دائمًا يفي بوعوده

تدعم هذا الرأي ترجمات كثيرة للكتاب. ففي ترجمة (The Amplified Bible) يقول الكتاب: "بالتأكيد، لقد حمل أحزاننا (أمراضنا – عاهاتنا – ضغوطنا)... وبجلدته (التي أحدثت له الجروح) شُفينا" (إش ٥٣: ٤-٥). أما ترجمة (The World English Bible) فتقول: "بالتأكيد هو حمل أمراضنا... وبجراحه شُفِينا". وفي ترجمة(The New English Translation) تقول هذه الآية: "لقد تحمَّل أمراضَنا... وبسبب جروحه نلنا الشفاء".

ليس بطريق الصدفة أن كلًّا من كاتب المزمور وإشعياء يضعان غفرانَ كل الخطايا والشفاء من كل الأمراض في جملةٍ واحدةٍ. إن كليهما جزءٌ من عملية الفداء التي قدمها الربُّ يسوعُ لنا في الجلجثة.

نجد في الأناجيل أن كلَّ شخصٍ مريضٍ أتى للرب يسوع طالبًا الشفاء، ناله. لم يَقُل الربُّ يسوعُ لأي شخصٍ: "عليك أن تستمر فى مرضك؛ لأن أبي السماوي يريد أن يعلِّمك درسًا من خلاله". إلا أني رأيت مؤمنين بل وخُدَّامًا يقولون هذه الكلمات. أيها الإخوة، دعونا نكون منطقيين. لماذا يتغيَّر الربُّ الآن؟ لقد قيل عنه إنه **"هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عب ١٣: ٨).** إنه لا يتحول عنا في هذه الأيام، كما لم يتحول عن أي شخص عندما كان هنا على الأرض. ثم إن كنت تؤمن أن الله يعلمك أمورًا من خلال المرض، فلماذا إذًا تذهب إلى الطبيب طالبًا العلاج؟ لماذا تحاول أن تعيق ما يحاول اللهُ أن يعلِّمه لك؟ هل استطعت أن ترى مقدارَ اللامنطق في هذا النوع من التفكير؟

يوضِّح لنا سفرُ أعمال الرسل ـ كما وضحت لنا الأناجيلُ ـ أنه لا يوجد شخصٌ بحث عن الشفاء ولم يَنَله. لم نسمع مرةً واحدةً أحدَ الرسل يقول: "لا نعلم يقينًا إن كان الله سيشفيك أم لا. لكننا نرجو أن يشفيك!" لكننا نرى أن الشفاءَ أمرٌ أكيدٌ. لم يُحرَم منه أيُّ طالبٍ؛ لأنه طبقًا لما هو مكتوب في (إش ٥٣)، (مز ١٠٣)، فإن الشفاء هو

جزءٌ من عمل الفداء مثله مثل غفران الخطايا. إن كنت لا تؤمن بأحدهم، فأنت لا تؤمن بالآخر!

إن الأمر لا يختلف هذه الأيام؛ فالمرضُ والعجزُ بأنواعه المختلفة يقع تحت عنوان القتل – التدمير – السرقة. إنها صعوبات نستطيع أن نقف في وجهها بثقةٍ عالمين أننا نستطيع أن نتحرَّر منها من خلال ذبيحة المسيح في الجلجثة. إنها بلا شك ليست إرادة الله لحياتنا. إن عمل فداء المسيح مازال يقف صامدًا وكاملًا! لهذا السبب، يكتب الرسولُ بولسُ: **"وإلَهُ السَّلامِ نَفسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بالتَّمامِ. ولتُحفَظْ رُوحُكُمْ ونَفسُكُمْ وجَسَدُكُمْ كامِلَةً بلا لومٍ عِندَ مَجيءِ رَبِّنا يَسوعَ المَسيحِ" (١ تس ٥: ٢٣).**

لاحظوا هنا أن الرسول يضع الجسدَ في القائمة مع الروح والنفس موضِّحًا أنه كما أن الله يريد أن تكون أرواحنا، ونفوسنا كاملةً، هكذا يريد أيضًا أن تكون أجسادنا سليمةً، تعمل بالطريقة التي خلقها بها الله.

أستطيع أن أسمع أحدكم يقول: "لكني أعرف شخصًا كان له إيمان عظيم بالله أن يشفيه من مرضه، لكنه لم يَنَل الشفاءَ ومات". دعني أسألك هذا السؤال: "هل إيماننا بالله مبني على اختبارات الآخرين أم على ما أعلنته كلمته؟" ينبغي أن يكون هذا الأمر راسخًا في عقلك وقلبك. يكتب الرسول بولس: **"فماذا إنْ كانَ قَوْمٌ لم يكونوا أُمَناءَ؟ أفَلَعَلَّ عَدَمَ أمانَتِهِمْ يُبطِلُ أمانَةَ اللهِ؟ حَاشَا! بل ليَكُنِ اللهُ صادِقًا وكُلُّ إنسانٍ كاذِبًا" (رو ٣: ٣-٤).**

لكي أكون أكثر وضوحًا أود أن أقول إنك لا تعرف بالتحديد إن كان الشخص الذي مات كان له الإيمان القلبي الصادق أم لا. لعله كان يتحدث علانيةً باستمرار عن إيمانه بشفاء الله، لكن قد يخفي تخوُّفه من احتمال عدم شفائه. إن الإيمان الحقيقي لا يشك في وعود الله. قد يقول الشخصُ أمرًا ما وهو يدرك بذهنه أنه صحيح، لكن إيمانه القلبي مختلف تمامًا.

إذًا، كيف يمكننا أن نتناول اختبارات الآخرين المخالفة لما أعلنته كلمة الله دون أن ندينهم؟ على سبيل المثال، إن كان هناك أحد أفراد العائلة أو صديق قد مات صغيرًا متأثرًا بمرضٍ ما؟ في مثل هذه الحالات أقول: لقد علَّمنا الكتابُ المقدس أننا نجري في

سباق. وفي هذه المباريات، يكون لكل متسابق طريق خاص يجري فيه. إن كان اختبار أحد المتسابقين لا يتَّفق مع ما هو مدوَّن في الحق الكتابي، اتركه في طريقه لكن لا تحضره إلى طريقك. إن الله سيتعامل معه بطريقته الخاصة من خلال رحمته وعدله. بهذه الطريقة لن يضعف إيمانك. لكن إن كان اختبار أحدهم يتَّفق مع جوهر التعليم الكتابي، احضره معك في طريقك ليسندك في السباق.

عليك أن تتمسَّك بما تقوله كلمةُ الله قبل أن تنال الوعدَ. بمجرد أن تفعل هذا، ستكون ثابتًا في إيمانك مثل إيمان "بارتيماوس".

كان الرب يسوع خارجًا من أريحا مع تلاميذه ويحيط به جمعٌ غفيرٌ كان رجل أعمى اسمه بارتيماوس جالسًا على الطريق يستعطي. عندما علم أن يسوع يمر في هذا المكان، صرخ بصوتٍ عالٍ مناديًا على السيد. انتهره كثيرون ليسكت حتى لا يُزعِج المعلمَ. إلا أنه صرخ أكثر كثيرًا! هنا نرى شخصًا لم يكن إيمانه عقليًّا فحسب، لكنه كان إيمانًا قلبيًّا. إن لم يكن بارتيماوس يؤمن من كلِّ قلبه أن الرب يسوع يريد أن يشفيه، لما وجدنا لديه هذا الإصرار، خصوصًا بعد ما انتهره من حوله. قد ينسحب ويقول لنفسه: "حيث إن الرب يسوع لم يأتِ إلى حيث أنا ليشفيني، فهذا معناه أن الله يريدني أم أستمر أعمى". إلا أن بارتيماوس لم يتقبل هذه الفكرة، وظل مُصِرًّا. لاحظ ما حدث: **"فوَقَفَ يَسوعُ" (مر ١٠: ٤٩).**

يا له من أمرٍ مدهشٍ! كان الرب يسوع مثبتًا وجهه نحو أورشليم ليكمل العملَ الذي قد جاء لأجله. كان يركِّز على إرساليته. كان يحيط به الجمع الغفير من كل جانب، وكان الكثيرون لديهم احتياجات جسدية، إلا أن حاجتهم لم تجعله يتوقف ويوقف مسيرته مؤقتًا، لكن هذا الرجل الأعمى صرخ للرب يسوع ولم يصمت. لم تستطع أية مقاومات أو تحذيرات أن تمنعه من الصراخ. كان صوت صراخه هو الذي جعل الرب يسوع يقف. قال الرب يسوع: "نادوه". هنا ذهب التلاميذُ للرجل الأعمى وقالوا له: "أَبشِر"... "تعال... إنه يناديك". **(انظر مر ١٠: ٤٩).**

من الواضح أن هؤلاء الناس الذين كانوا يحيطون بالأعمى، لم يتعاطفوا معه. في واقع الأمر، كانوا يقفون ضد مطالبه، إلا أن هذا لم يُقلِقه. لم يتوقف باريتماوس عن إيمانه. طرح رداءَه وقفز على قدميه وطلب من التلاميذ أن يقودوه إلى يسوع.
سأله الرب يسوع: "ماذا تُريدُ أنْ أفعَلَ بكَ؟"

هل أنت جاد في كلامك؟ ما هذا السؤال؟ الرب يسوع يسأل الرجل الأعمى، الذي كان يحتاج إلى من يقوده في الطريق، عمَّا يريد. لقد كان واضحًا ما يحتاجه هذا الرجلُ، إذًا لماذا سأله الرب يسوع هذا السؤال؟ هل كان يجهل احتياجات هذا الرجل؟ هل كان الرب يسوع يريد أن يوبِّخه؟ بالطبع لا! كان الرب يريد أن يرى دليلًا على إيمان هذا الرجل.

إن كان بارتيماوس قد قال: "أنا أدرك أنه كثيرٌ عليَّ أن أطلب منك أن تعيد بصري، لكن هل تتفضل وتشفيني من الصداع الذي يلازمني منذ عدة أيام؟" عندئذ كان الرب سيعطيه بالتمام ما طلبه. لكن بعد أن طلب هذا الرجلُ من الرب يسوع أن يُبصِر، وانفتحت عيناه، قال له يسوع: **"اذهَبْ. إيمانُكَ قد شَفاكَ".**

لم يكتب مرقس عن هؤلاء الذين لم ينالوا الشفاء، لكنه ركَّز على الرجل الذي شُفِي. لا تسمح لقصة شخصٍ آخر لم يَنَل الشفاءَ أن يزعزع إيمانَك الواثق. استمع لي مرةً أخرى: لا تنتقد هؤلاء الذين لم ينالوا شفاءً من الله، لكن في نفس الوقت، لا تسمح لقصصهم أن تتغلغل داخل قلبك كدليلٍ. أوضح الرسولُ بولسُ هذا عندما قال: **"فماذا إنْ كانَ قَوْمٌ لم يكونوا أُمَناءَ؟ أفَلَعَلَّ عَدَمَ أمانَتِهِمْ يُبطِلُ أمانَةَ اللهِ؟ حَاشَا! بل ليَكُنِ اللهُ صادِقًا وكُلُّ إنسانٍ كاذِبًا"** (رو ٣: ٣-٤). إن الدليل الوحيد الذي نقبله بقلوبنا هو الاختبارات التي تتفق مع كلمة الله.

العوز والفقر

هل النعمة تعطينا القوة لنتغلب على العوز والفقر؟

لأسبابٍ عديدةٍ يعتقد الكثيرون أن ما يميِّز الشخصَ التقيَّ هو أن يكون معوزًا. وقد يأخذ الأمرُ بعضَ التطرُّف فيتعهد شخصٌ ما أن يعيش فقيرًا طالما أنه يخدم الله. هذا الاعتقاد يتضاءَل أمام ما جاء في (**في ٤: ١٩**) حيث يؤكد الرسولُ بولس للمؤمنين ويقول لهم: **"فيَملأُ إلَهي كُلَّ احتياجِكُمْ بحَسَبِ غِناهُ في المَجْدِ في المَسيحِ يَسوعَ"**

إن كنت تقرأ هذه الآية في سياقها، ستكتشف أن الرسول بولس كان يتحدث إلى هؤلاء المؤمنين عن الأمور المالية. إن الله سيسدِّد احتياجاتنا ـ لا بحسب الحالة الاقتصادية أو حالة البورصة، لكن بحسب غناه في المجد. إن هذا الأمر مدهشٌ؛ لأن الرب

عنده غنى كثير – إمداد غير محدود! بناءً على هذا الوعد، تستطيع أن تثق أن إرادة الله هي ألا يعوزنا أي شيء. يقول المرنم: **"الأشبالُ احتاجَتْ وجاعَتْ، وأمَّا طالِبو الرَّبِّ فلا يُعوِزُهُمْ شَيءٌ مِنَ الخَيرِ" (مز ٣٤ : ١٠)**. إن العوز والفقر ليسا من سمات الحياة التي تتفق مع غنى المسيح، وبالتالي، لا يمكن أن تكون هذه الأمور من ضمن إرادة الله لحياتنا.

يوضح الكتابُ أن السمعة الطيبة أحسن من الغنى العظيم، وخير من الدهن الطيب (أم ٢٢: ١)، (جا ٧: ١). إن لم نستطع أن نوفي ما علينا من ديون، فبلا شك سوف تكون سمعتنا غير طيبة. هل تتخيَّل أنك تستطيع أن تتحدث مع مالك المسكن الذي تسكن فيه عن الرب يسوع وأنت لا تدفع إيجارَ مسكنك في الوقت المحدَّد؟ لماذا يستمع أو تستمع لك وحياتك تبرهن على إنك لا تلتزم بكلمتك؟ لكن إن كان مالك المسكن يرى إمدادات الله لك ويدرك أنك تستطيع أن تترك المنزلَ لأن الله قد باركك ماديًّا وتستطيع أن تشترى بيتًا بدلًا من أن تسكن بالإيجار ـ ألا يكون هذا نوعًا من الشهادة لغير المؤمنين. إن كلمة الله توضِّح لنا **"يَفتَحُ لكَ الرَّبُّ كنزَهُ الصّالِحَ... وليُبارِكَ كُلَّ عَمَلِ يَدِكَ، فتُقرِضُ أُمَمًا كثيرَةً وأنتَ لا تقتَرِضُ" (تث ٢٨ :١٢)**. يا لها من شهادة لله أن تكون غير مَدِينٍ! بل **"وتُقرِضُ أُمَمًا كثيرَةً"** عندما تشارك الآخرين بما لديك من وفرةٍ، وتقدِّم لخدمة الإنجيل.

من خلال كلمة الله، نستطيع أن ندرك أن غرض الله هو أن يعطينا أكثرَ من مجرد احتياجاتنا، فهو يريد لنا النجاح. تعالوا بنا نستمع إلى إرادته من خلال صلاة يوحنا "أيها الحبيب، أود (فوق كل شيء) أن تكون موفَّقًا في كلِّ أمرٍ، وأن تكون صحتك البدنيةُ قويةً ومعافاة كصحتك الروحية" (٣يو ١: ٢ ترجمة King James Version).

هل لاحظت عبارة "فوق كل شيء"؟ إن الله يتمنَّى فوق كل شيء أن يكون أولاده ناجحين ومتعافين. دعني أقولها ثانية: "فوق كل شيء، أكبر من أي شيء آخر!" إن لم تكن صلاة الرسول وفقًا لإرادة الله، لما كانت قد ذُكِرت في كلمة الله. إن الله لا يبالغ في كلامه، ولا يستطيع أن يفعل هذا لأن هذا كذب وهو لا يستطيع أن يكذب. صديقي، تستطيع أن تعتمد على هذا: إن إرادة الله التي فوق كل شيء هي أن تكون ناجحًا ومتمتعًا بصحةٍ جيدةٍ. يا له من أمرٍ مدهش!

ما هو النجاح؟ أن يكون لديك ما يلبِّي لا احتياجاتك فقط، بل ما يلبي احتياجات المسؤولين منك. بلغةٍ أخرى، لا ينبغي أن يكون المال هو العامل الذي يحدِّد ذهابك إلى هؤلاء الأشخاص الذين دعاك الرب لتصل إليهم برسالته. لعل لهذا السبب تعلن كلمة الله هذه الحقيقة **"ولكن اذكروا أن الرب إلهكم هو الذي يمنحكم القوة لإحراز الثروة، وفاءً بوعده الذي أقسم عليه لآبائكم كما في هذا اليوم" (تث ٨ :١٨ ترجمة كتاب الحياة).**

إن الله لا يقاوم امتلاكنا للمال، لكنه يرفض أن يمتلكنا المال. إن المال في حد ذاته ليس أصلًا لكل الشرور، بل محبته. إن إرادة الله لأجلك هي أن تكون ناجحًا في مختلف مجالات الحياة بما فيها المجال المادي.

يصارع كثيرون من المؤمنين غير الناضجين في مجالاتٍ رئيسيةٍ في الحياة، منها هذه المجالات التي درسناها. لكن بمجرد أن ندرك حقيقة أن الله ليس هو مصدر الشعور بالخجل، الذنب، الإدانة، المرض، العاهات، العوز والفقر، يصبح من السهل علينا أن نميز الدوائر الأخرى التي قد يهاجمنا فيها العدو. نحن الآن نستعد للحرب الحقيقية في الحياة – المعركة التى تهدف لامتداد الملكوت.

أرجو أن تدرك هذا جيدًا في قلبك. إن كانت المقاومات التي تواجهها تقع تحت إطار الموت، السرقة، الدمار ـ فلا علاقة لها بالله. إنها من قوى الشيطان الذي يريد أن يحبطك، يهزمك بل ويفترسك. أنا وأنت ينبغي علينا أن نحارب بصمودٍ حتى نرى ملكوت الله ظاهرًا على الأرض كما هو في السماء.

٨

سلّح نفسك!

"فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهَذِهِ النِّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ" (١ بطرس ٤: ١).

تخيَّل معي دولةً ترسل جيشَها للحرب بلا ذخيرةٍ، مدافع، بنادق، قنابل، وقود، طائرات أو حتى مجرد بعض السكاكين. ما هو مصير هذه الأمة في هذه الحرب؟ هل سينتصرون؟ هل سيصمدون؟ هل حتى سيعيشون؟ في مخيلتي أن الكثيرين منهم سوف يُقتَلون والباقي منهم سوف يُؤسَرون.

إنه مجرد تخيُّل؛ لأن مثل هذا السياق الهزلي لم يحدث من قبل. لكن بالرغم من أن هذا السياق يبدو مضحكًا إلا أنه لا يختلف كثيرًا عمَّا يفعله هذا المؤمن الذي "لا يتسلح بنية أنه سيتألم". من المحزن أن أغلبنا غير مُسلَّح. عندما تهاجمنا الضغوط، التي لا نتوقعها، تصيبنا حالةٌ من الصدمة والارتباك والاستغراب. تكون النتيجة هي أننا لا نتصرف بحكمة لكن برد فعلٍ تلقائي.

يحثُّنا الرسول بطرس في رسالته الأولى، بوحي روح الله، أن نتسلح فنكون مستعدِّين لمواجهة الألم مثل الرب يسوع. كيف تألم المسيحُ؟ هل كان ملطَّخًا بالخطية؟ كلا، لكنه كان يقاومها. هل كان مصابًا بأمراض؟ بالطبع لا، فهو الذي كان يقاوم المرضَ. هل كان يعوزه المال لكي يوفي ما عليه من التزامات ليتمِّم إرساليته؟ لا، فأنا متأكد أنه كان يثق في الله ليوفي احتياجاته. إن الرب يسوع وَاجَه امتحانات في كل

أمور الحياة، إلا أنه لم يستسلم أمام أي هجومٍ للعدو. إننا مُطالَبون أن نسلك كما سلك الرب يسوع، لهذا فعلينا ألا نخضع لحِيَل الشيطان.

عندما نقرأ بعمق ما كتبه الرسول بطرس في رسالته، ندرك أن الألم الذي تحمَّله الرب يسوع هو ألم الإحساس بالظلم الذي قاساه من الناس، خصوصًا من القادة السياسيين والدينيين الفاسدين الذين كانوا في تلك الأيام. أنا شخصيًّا أعتقد أن هذه هي أعلى درجات الألم التي من الممكن أن يتحمَّلها الإنسانُ.

إن أعظم ما كان يعاني منه الرسول بولس هو الظلم. لقد رُجِم، وجُلِد خمس مرات، ضُرِب بالعُصي ثلاث مرات، واجه أخطارًا من بني جنسه، ومن الأمم، ومن الإخوة الكذبة. لقد تعرض الرسول بولس للافتراء، الإهانة، الاستهزاء وتلفيق التُّهَم. لذلك ينبهنا ويقول: **"وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ" (٢ تي ٣: ١٢).**

إن كنت تعيش كما يعيش العالم، لن يقلقك الاضطهاد؛ فإنك في واقع الأمر مثل أسرى الحرب، أنت ـ عمليًّا ـ تخضع لمعسكر الأعداء، أنت لا تمتلك أراضي للملكوت، ولا تستطيع أن تمجِّد الله. إن الجندي الذي يواجه النيران هو ذلك الشخص الحر الذي يحارب ليكسب المعركة.

إن كنت تحيا كما يعيش أهل العالم ... فإنك في واقع الأمر مثل أسرى الحرب!

إننا نعيش في عالمٍ يقاوم اللهَ، بل وفي عداوةٍ مع ملكوت الله. إن اتجاهات النظام العالمي هي تضاد تمامًا اتجاهات روح الله. لذلك إن كنت تحيا بصدق لله، سوف تواجه الضيقات والصعوبات والاضطهادات. إن هذا هو جزء من التوصيف الوظيفي للمؤمن.

عزيزي، لأنك في المسيح سوف تواجه ضغوطًا، سواء مثل تلك التي في القائمة التي ذكرتها في الفصل السابق، أو ظروف معاكسة أو عداوة من الناس أو الهيئات أو بعض منظمات النظام العالمي. لذلك، يقول الرسول بطرس إن عليك أن تستعد، عليك كما فعل الرسول بطرس أن "تتسلَّح".

متسلِّح أم غير متسلِّح؟

قد يكون من المفيد أن نرى مثلين من هجومٍ غير متوقَّع يواجه شخصًا متسلِّحًا وآخر غير متسلِّح. ترسل شركات الطيران طياريها كل ستة أشهر للتدريب. جزء كبير من هذا التدريب يتم على نظم محاكاة غاية في التطور. أجهزة تدريب بنظم إلكترونية معقَّدة، كابينة طائرة بها كل أجهزة التحكم، نظم للرؤية تضع الطيار في ذات الجو الخارجي. كل هذه الأمور محمولة على منصَّةٍ متحركةٍ تتحرك طبقًا لردود فعل الطيار نتيجةً للمؤثرات الخارجية. ببساطة، عندما يكون الطيار في داخل جهاز المحاكاة لا يستطيع أن يقول هل هو في طائرة حقيقية أم في طائرة تقليد.

يضع الشخص الذي يدير نظام المحاكاة كلَّ أنواع المشاكل أمام الطيار؛ لأن هذا النظام يستطيع أن يخلق كلَّ أجواء الطيران المختلفة وكل الأعطال التي تواجه الطائرة. قد يواجه الطيارُ دوامات شديدة، رياح عاصفة، تقلبات مُرعِبة في الجو، توقُّف في عمل المحركات، تعطُّل في جهاز الهبوط، وكثيرًا من المفاجآت المختلفة. الفكرة هي: إن كان الطيار يستطيع أن يتغلَب بنجاحٍ على التحدِّيات غير المتوقَّعة أثناء التدريب، فهو يكون قادرًا على التعامل مع هذه الأزمات على أرض الواقع. كثير من الكوارث تم تجنُّبها نتيجة مثل هذه التدريبات المستمرة التي من خلالها يتعلم الطيار كيف يتعرف على الظروف الطارئة ويتعامل معها.

أتذكَّر كارثةً من كوارث الطيران التي حدثت قبل ٢٠٠١/٩/١١. كانت طائرة ركاب صغيرة ولم يكن بها باب يفصل بين كابينة الطائرة والركاب. بعد أن تحطَّمت الطائرة تم فحص الصندوق الأسود؛ حيث إنه لم يكن هناك باب يفصل بين الكابينة والركاب، استطاع محللو الصندوق الأسود أن يسمعوا ردود فعل الطيارين والركاب. كان الركاب يصيحون بجنون بينما كانت الطائرة تسقط من السماء على الأرض، في حين أن الطيارين كانوا ثابتين وأدركوا العطل وكانوا يحاولون إصلاحه. لم يتعاملوا مع الموقف بخوفٍ بل طبَّقوا كلَّ التدريبات التي حصلوا عليها. أعطى قائدُ الطائرة التعليمات واستجاب المساعد لكلِّ التعليمات. استمر هذا الأمر حتى النهاية. كان قائد الطائرة مسلَّحًا لمواجهة هذه الأزمات غير المتوقَّعة، في حين أن الركاب لم يكونوا مسلَّحين.

لذلك كان رد فعلهم مغايرًا تمامًا لرد فعل الطيار. كان الطيار يعمل بهدفٍ، في حين أن الركاب كان رد فعلهم هو الخوف.

ذات يوم، كنت مسافرًا في طائرةٍ خاصة، وعندما كنا على ارتفاع ٣٩٠٠٠ قدم، انكسرت سدادة الباب. كان صوت اندفاع الهواء المضغوط من الكابينة عاليًا يشبه دوامات من الهواء. في لحظة، أصبح ضغط الهواء في الكابينة أقلَّ من المفترض. هالتني المفاجأة ولم أكن أدري ماذا أفعل. حاولت بكل قوتي أن أنزع الخوف الذي كان يقبض على صدري. صليت بحرارةٍ. كان الطيار يعمل من قبل طيارًا في سلاح الطيران وقد قضى آلاف الساعات في الطيران، ولديه خبرة في التعامل مع الأزمات. في اللحظة التي انكسرت فيها سدادة الباب، بدأ الطيار ومساعده في اتخاذ خطوات فورية. على الفور، وضعا أيديهما على المشكلة، ووضعا كمامات الأوكسجين، وأنزلا كمامات الأوكسجين ليستخدمها الركاب. بدون هذا العمل، لم يكن بوسعهم أن يكملوا مهمتهم.

بدأ الطيار بعد ذلك في عملية الهبوط الاضطراري إلى ارتفاعات أقل، وكان يعطي تعليمات سريعةً لمساعده. أثناء الأزمة، كان يتصرف بهدوءٍ وثقةٍ. لقد أملت عليه خبرات التدريب الخطوات التي اتَّخذها خلال الأزمة. كنت أدرك أننا نجتاز في أزمةٍ شديدةٍ، لكن لا يمكن أن ترى هذه الأزمة؛ لأنه لم تكن هناك أية علاماتٍ للخوف على وجه الطيار. كانت ردود فعله مدروسةً وسريعةً؛ كان متحكمًا في الأمور.

هبط الطيارُ بالطائرة لتصبح على ارتفاع ١٢٠٠٠ قدم في أقل من خمس دقائق. كنا نهبط بمعدل ٦٠٠٠ قدم في الدقيقة. بعد فترةٍ قليلةٍ، هبطنا بسلام. بعد أن مرت هذه الأزمة بسلام، أدركت أن هذا الطيار "متسلِّح"، أما أنا "غير متسلِّح"! لقد زوَّدته خبرته وتدريباته بما ينبغي أن يعمله، الأمر الذي جعله يستطيع أن يتغلب على الأزمة الكبيرة.

هذه هي الرسالة التي ذكرها الرسول بطرس في (١ بط ٤: ١). علينا أن نتسلَّح لمواجهة الحرب الروحية كما كان الطيار متسلِّحًا لمواجهة ما هو ليس متوقَّعًا. أمنية قلبي أن يكون هذا الكتاب هو الوسيلة التي من خلالها تُعِدُّ نفسك لإكمال السعي لتنال نصيبك في المسيح وتكون مسيطرًا في حياتك.

الضيق سوف يحدث

إن أول أمر ينبغي أن تعرفه حتى تكون مسلَّحًا هو أن تدرك أنه"**في العالَمِ سيكونُ لكُمْ ضيقٌ". لقد أعلن الربُّ يسوع هذا بصراحةٍ في (يو ١٦: ٣٣).** لم يَقُل الرب يسوع: "ربما يكون لكم ضيق" لكنه قال: "**سيكون لكم ضيق**" لقد أعلنها الرسول بولس للمؤمنين، فقال: "**أَنَّهُ بضيقاتٍ كثيرَةٍ يَنبَغي أنْ نَدخُلَ ملكوتَ اللهِ**" **(أع ١٤: ٢٢).** ويكتب مرةً أخرى ويقول: "**حتى لا يتزعزع أحد منكم من جراء هذه الضيقات. فإنكم تعلمون أننا مُعيَّنون لذلك**" **(١ تس ٣ :٣ ترجمة كتاب الحياة).**

نحن "مُعيَّنون للضيقات" حتى لو كنا جنودًا نذهب للحرب. لا يوجد مقاتل يذهب للمعركة لكي ينهزم. إن الجندي الصالح يركِّز اهتمامَه على الانتصار ويصر على أن يقاتل حتى في الظروف الصعبة (الشدائد) لكي يكسب المعركة. أنا وأنت في حربٍ. هل كنت تتوقع أن حياتك سوف تصبح أكثر هدوءًا عندما خلصت؟

أُصَاب بالإحباط عندما أسمع أن الخُدَّام يدعون الناس للخلاص ويَعِدونهم بحياةٍ خاليةٍ من المشاكل أو التعب – المدينة الفاضلة. أتخيَّل أن الخُدَّام الذين يدعون المؤمنين الجُدد إلى مثل هذه الحياة ـ إما إنهم لم ينالوا الخلاصَ أو يريدوا أن يقوموا بدورهم في توصيل رسالة الخلاص دون أن يهتموا بنمو النفوس. أتساءل: "هل تأمَّل هؤلاء المعلِّمون بعمق في كلمات الرب يسوع في مثل الزارع الذي قال إنه بمجرد أن تقع بذار الكلمة في نفوس البشر، يحدث "**ضيقٌ أو اضطِهادٌ مِنْ أجلِ الكلِمَةِ**". في ترجمة (The New Living Translation) تأتي هذه الآية: "حدث لهم اضطهاد لأنهم آمنوا بالكلمة" لكي نكون أكثر وضوحًا ـ كما كان الرب يسوع يفعل دائمًا ـ عندما تؤمن بكلمة الله، فإنك توقِّع على عقد بأنك تقبل المشاكل، الصعوبات والاضطهادات.

إن كنت مؤمنًا حديثًا ولا تعرف هذا من خلال خبرتك الشخصية، اسمح لي أن أكون أول من يقول لك هذا: أنت في معركةٍ لم تواجهها من قبل. إلا أن الخبر العظيم أنه لا يجب أن تخسر أيًّا من هذه المعارك. لقد خسرت معاركَ كثيرةً قبل الإيمان، لكن من خلال سُكنَى الروح القدس، ونعمة الله الغنية، فإنك تمتلك القوةَ والسلطانَ على كل الصعوبات التي تعترض طريقك.

أنت لا تواجه أمرًا جديدًا

إن كلَّ معركةٍ تواجهها سبق وأن واجهها الآخرون، وتغلب عليها البعضُ

الأمر الثاني الذي ينبغي أن نعرفه بشأن موضوع "التسلُّح" لأجل المعركة، هو أنه لا يوجد شيء جديد تحت الشمس. أنت لن تواجه صعوبات لم يواجهها أحدٌ من قبلك، خصوصًا الرب يسوع؛ لأنه جُرِّب في كل شيء. يكتب الرسول بولس ويقول: **"لم تُصِبكُمْ تجرِبَةٌ إلا بَشَريَّةٌ. ولكن اللهَ أمينٌ، الذي لا يَدَعُكُمْ تُجَرَّبونَ فوقَ ما تستَطيعونَ، بل سيَجعَلُ مع التَّجرِبَةِ أيضًا المَنفَذَ، لتستَطيعوا أنْ تحتَمِلوا" (١ كو ١٠: ١٣).**

إن كل مقاومةٍ تواجهها، قد واجهها من قبلك الآخرون، وتغلب عليها البعضُ. ينبغي أن تتأكد من هذه الحقيقة! إن هذه الآية تؤكد لنا أيضًا أننا لن نواجه تجربةً أكثر من قدراتنا على احتمالها. لن يسمح اللهُ بهذا. تستطيع أن تنزع كلَّ المخاوف بأنك قد تواجه صعوبات أو مقاومات لا تستطيع أن تصمد أمامها أو تهزمها. إن أباك السماوي لن يسمح بأن تُصَاب بمثل هذه التجربة، سوف يمنعها عنك.

تأتي هذه الآية في ترجمة (Today's English Version): "الله يحفظ وعوده، ولن يسمح بأن تُجَرَّب أكثر من قدرتك على الثبات". إن هذا التأكيد العجيب بأن الشيطان لن يكون له طريق مفتوح إليك، لكن عليه أولًا أن يأخذ الإذنَ من الله القدير. عليك أن تعرف أن الله ليس هو مصدر التجارب ولا يحرِّض عليها، لكنه أحيانًا يسمح بها، حتى تستطيع أن تهزم العدوَّ وتمجِّد الله عندما تعمل على امتداد الملكوت. علَّق ذلك القائد المتميز ترتليانوس، الذي عاش ما بين ١٦٠- ٢٣٠م، على هذا الأمر بطريقةٍ رائعةٍ فقال:

"عندما يسمح اللهُ للشيطان أن ينفِّذ خططه، فإن الله يستغل هذا الأمر ليُظهِر صلاحَه. لقد أجَّل اللهُ تدميرَ العدو لنفس الغرض الذي لأجله أجَّل تعويضَ أو مكافأةَ الإنسان. فهو يسمح بالصراع، حيث يستطيع الإنسانُ أن يسحق عدوَّه بنفس الإرادة التي سبق وخضع بها للشيطان. إن ذات الإرادة تُمكِّن الإنسانَ من أن يسترد قوةَ خلاصه من خلال الانتصار، بهذه الطريقة، ينال العدوُّ هزيمةً قاسيةً من نفس الشخص الذي سبق وتعرَّض لجرحٍ من العدو. بهذه الوسائل، سنكتشف مدى عظمة وصلاح الله[1].

(1) (David W. Bercot, editor, A Dictionary of Early Christian Beliefs Peabody, MA: Hendrickson, 1998)

يعطينا اللّهُ الامتيازَ أن نهزم العدوَّ، وفي نفس الوقت، "ننتقم" من هزائم الخطية التي اختبرناها قبل الإيمان. ويعود كلُّ المجد للرب يسوع. لا يستطيع العدو أن يسخر بالإنسان، الذي هو من صنع اللّه. لقد فعل هذا بعد سقوط آدم في الجنة، لكن جاء الرب يسوع وسحقه. الآن أعطانا اللّهُ امتيازَ أن نكمل سحقَ الشيطان.

يكتب الرسول بولس: "**والآن أنا أفرح في الآلام التي أقاسيها لأجلكم، وأتمم في جسدي ما نقص من ضيقات المسيح لأجل جسده الذي هو الكنيسة**" **(كو ١: ٢٤ ترجمة كتاب الحياة)**. إن كنا نقرأ هذه الكلمات دون أن نفهمها، فقد يعتقد البعضُ- عن طريق الخطأ - أن الرسول بولس يقول إن آلام المسيح ليست كافيةً للفداء. لأجل هذا السبب، يتجاهل مؤمنون كثيرون هذه الكلمات ولا يتأملون فيها (لعلك تستغرب لو علمت أن كثيرين من الخدام والمؤمنين لا يعرفون أن هناك آيةً بهذه الكلمات).

إلا أن الرسول بولس لم يقصد هذا المعنى. لقد كان يشير إلى امتيازنا لنتمِّم العملَ الذي من خلاله يمتد ملكوتُ اللّه إلى أقصى الأرض. لقد أعطانا اللّهُ امتيازَ إتمام هذه المهمة بأن نبشِّر بعمله الكامل لأقصى الأرض. إن العدو يقاوم هذا بكلِّ قوةٍ، الأمر الذي يسبِّب لنا المعاناة، لكنها معاناة الانتصار. لقد قال الرب يسوع: "**وأبوابُ الجَحيمِ لن تقوَى علَيها**" **(مت ١٦: ١٨)**. كان يتكلم عن الكنيسة. هناك حرب، نحن الآن في اتجاهنا للحرب، وينبغي أن ننتصر من خلال قوة نعمة اللّه، ولا تستطيع قوة الجحيم أن توقفنا عن التقدم. لدينا كلمة اللّه!

تذكَّر أن أية معوقات قد تواجهك في مسيرتك مع المسيح، هي أمر واجهه كثيرون من المؤمنين من قبلك، بل واجهه الرب يسوع ذاته، وانتصروا عليها. يشجعنا الرسول بطرس ويقول: "**قاوِموهُ، راسِخينَ في الإيمانِ، عالِمينَ أنَّ نَفسَ هذِهِ الآلامِ تُجرَى علَى إخوَتِكُمُ الذينَ في العالَمِ**" **(١ بط ٥ :٩)**. إن هذه الآلام التي يتحدث عنها الرسول بطرس تتعلق بالحياة التي يريدنا اللّه أن نحياها. لكن، عندما نقاوم إبليسَ ثابتين بقوة نعمة اللّه، سوف ننتصر.

تستطيع ألا تخسر أبدًا

نأتي الآن إلى السبب الثالث الذي من أجله ينبغي أن تكون "متسلِّحًا": عليك أن تدرك أنك تستطيع ألا تخسر أبدًا. لا تقرأ فقط كلمات الرب يسوع هذه، لكن اجتر عليها، تأمَّلها بعمق:

"هَا أَنَا أُعطيكُمْ سُلطانًا لتَدُوسُوا الحَيّاتِ والعَقارِبَ وكُلَّ قوَّةِ العَدوِّ، ولا يَضُرُّكُمْ شَيءٌ" (لو ١٠: ١٩).

هناك معانٍ كثيرة في هذه العبارة! أولًا: في ترجمة (Today's English Version) تأتي هذه الآية: "استمعوا! ها أنا أعطيتكم سلطانًا" لاحظوا انفعاله العميق وهو يقول لنا: "استمعوا!" ولاحظوا علامة التعجُّب بعد هذه الكلمة. إن كانت هذه الترجمة قد وضعت علامة تعجُّب على عبارة الرب يسوع، فهذا معناه أننا ينبغي أن نصغي جيدًا، إنها عبارة لها وزنها.

ثم يقول لقد أعطيتكم سلطانًا، لا على بعض قوة العدو أو حتى على معظمها، بل على كل قوة العدو، أي على ١٠٠٪ من قوته. لكن ليس ذلك فقط، فلك سلطان على كل قوى الشر التي من الممكن أن يوجِّهها إليك الشيطان. في ترجمة (The King James Version) تقول الآية: "قد أعطيتكم قوةً... تفوق كلَّ قوة العدو". إن هذا يتناسب مع الكلمات التي صلى بها الرسول بولس لكي نعرف **"ما هي عظمة قدرته الفائقة المعلنة لنا نحن المؤمنين، بحسب عمل اقتدار قوته الذي عمله في المسيح، بإقامته له من بين الأموات. وقد أجلسه عن يمينه في الأماكن السماوية، أرفع جدًّا من كل رئاسةٍ وسلطةٍ وقوةٍ وسيادةٍ، ومن كل اسم يُسمَّى، لا في هذا العالم وحسب، بل في ذلك الآتي أيضًا" (أف ١: ١٩-٢١ ترجمة كتاب الحياة).** ليس مجرد أرفع، بل أرفع جدًّا!

ليس فقط لدينا قوة وسلطان أكثر من قوة العدو، لتحفظنا وتسندنا، لكن هناك حقيقة أخرى مدهشة. لقد أخبرنا الرسول يوحنا وقال: **"أنتُمْ مِنَ اللهِ أيُّها الأولادُ، وقد غلَبتُموهُمْ (ضد المسيح) لأنَّ الذي فيكُم أعظَمُ مِنَ الذي في العالَمِ" (١يو ٤: ٤).** كل الأرواح الشريرة هي أرواح ضد المسيح، وهي مصدر الضيقات، ولقد غلبناها؛ لأن الشخص الذي هزمهم هو الشخص الذي يحيا فينا ويقوِّينا. يقول الرب في **(لو ١٠: ١٩): "ولا يَضُرُّكُمْ شَيءٌ".** لا توجد قوةٌ - أية قوةٍ - تستطيع أن تضرنا. لا توجد حرب ستواجهها من المفترض أن تنهزم فيها. إن كنت تحارب، بمثابرةٍ، بالأسلحة التي أعطاها لك الله، ستنتصر دائمًا. لعلَّنا نجد في هذه الكلمات ما يشجِّعنا: **"ولكن شُكرًا للهِ الذي يَقودُنا في مَوْكِبِ نُصرَتِهِ في المَسيحِ كُلَّ حينٍ" (٢ كو ٢: ١٤).**

إن استمعنا له، سيقودنا الربُّ إلى النصرة في كل الظروف، وفي كل معركة. لقد أكد يوحنا الرسول على ما وعد به الرب فقال: **"ذلك لأن المولود من الله ينتصر على العالم. فالإيمان هو الذي يجعلنا ننتصر على العالم" (١ يو ٥: ٤ ترجمة كتاب الحياة).**

إن إيماننا هو الذي يستطيع أن يغلب أيَّ شيء يقابلنا في العالم. تذكَّر أن الشيطان هو "إله هذا العالم". إننا نتغلب على كل ما يريد أن يهاجمنا به العدو؛ لأن الله سبق وأعد لنا طريقَ الانتصار.

من خلال كلمات الرسول يوحنا، ندرك أن إيماننا هو الذي يهزم العالمَ. لماذا الإيمان؟ إن الإيمان هو الذي يعطينا الحقَّ في الدخول إلى دائرة النعمة (القوة) التي نحتاجها للانتصار. درسنا من قبل كيف نملك في الحياة بنعمة الله. هذه النعمة هي عطية مجانية للجميع، إلا أنه لا يمكن أن ندخل إليها إلا إذا آمنَّا (بالإيمان). إن الإيمان هو مثل الأنابيب التي تحمل النعمة (القوة)، وتوجِّهها للموقف الذي نواجهه، ونحتاج أن ننتصر فيه. يقول الرسول بولس: **"الذي بهِ أيضًا قد صارَ لنا الدُّخولُ بالإيمانِ، إلَى هذِهِ النِّعمَةِ التي نَحنُ فيها مُقيمونَ" (رو ٥: ٢).**

إن نعمة الله مجانية، وهي متاحة لكل أولاده، لكن إن كنا لا نؤمن "بكلمة نعمته"- فالوضع سيكون كما لو أننا لم نأخذ نعمةً على الإطلاق. تذكَّر كيف كان الرسول بولس يتكلم إلى القادة والمؤمنين الذين لن يراهم مرةً أخرى **"والآنَ أستَوْدِعُكُمْ يا إخوَتي للّهِ ولكلِمَةِ نِعمَتِهِ، القادِرَةِ أنْ تبنيَكُمْ وتُعطيَكُمْ ميراثًا مع جميعِ المُقَدَّسينَ" (أع ٢٠: ٣٢).** لقد أشار إليهم عن من الذي سيعطيهم ميراثًا للمُلك في الحياة لمجد الله: إنها كلمة نعمته.

النعمة كافية للانتصار في كل المعارك

هذا يأتي بنا إلى الحقيقة الرابعة عن التسلُّح: إن نعمة الله أكثر من كافية لتتغلَّب على أي ـ بل وعلى كل ـ الصعاب التي من الممكن أن تواجهها.

نستطيع أن نرى هذا في صراع بولس. إن بصيرته والإعلانات التى أُعلِنت له كانت كافيةً لتدمر مملكة الظلمة تدميرًا شديدًا. هذه الحقائق التي دوَّنها الروح القدس،

استطاعت أن تقوِّي المؤمنين في جيله وفي الأجيال التالية. يكتب الرسول بولس:

"ولكي لا أتكبر بما لهذه الإعلانات من عظمة فائقة،
أعطيت شوكة في جسدي كأنها رسول من الشيطان يلطمني كي لا أتكبر!"
(٢كو ١٢: ٧ ترجمة كتاب الحياة).

هذا الوضع الخاص الذي واجهه الرسول بولس خلق نوعًا من التضارب بين شارحي الكتاب المقدس. لكني أقول بصراحةٍ إنه ما كان يجب أن يحدث هذا. تعالوا بنا نوضِّح سوءَ الفهم:

أولًا: من أعطى الرسول بولس "شوكة الجسد"؟ نحن نعلم هذه الحقيقة، أن هذه الشوكة لا يمكن أن تكون من الله. فلقد أخبرنا الكتابُ قائلًا: **"لا تضِلُّوا يا إخوَتي الأحِبّاءَ. كُلُّ عَطيَّةٍ صالِحَةٍ وكُلُّ مَوْهِبَةٍ تامَّةٍ هي مِنْ فوقُ، نازِلَةٌ مِنْ عِندِ أبي الأنوارِ، الذي ليس عِندَهُ تغييرٌ ولا ظِلُّ دَوَرانٍ"** (يع ١: ١٦-١٧). إننا ننخدع إن كنا نظن أن هناك شيئًا غير صالح يأتي من الله. إن ملاك الشيطان، ليس بصالح ولا كامل. لكن قد يعترض أحدٌ ويقول: "لكن هذا الأمر بطريقةٍ غير مباشرةٍ هو أمر صالح لأنه حفظ الرسول من الكبرياء". يفنِّد يعقوبُ هذا الافتراضَ ويقول: "إن الله مُحصَّن ضد الشر ولا يضع الشرَّ في طريق أحد" (يع ١ :١٣ ترجمة MSG).

انظر لما قاله يعقوب: "الله... لا يضع الشرَّ في طريق أحدٍ". الله لا يمكن أن يكون قد أرسل ملاك الشيطان أو يكون قد جرب بولس بالشر، وإلا لكان طبقًا لما كُتِب في رسالة يعقوب يكون الله كاذبًا، وحاشا أن يكذب الله. لذلك، وبلا جدال، نستطيع أن ندرك أن "الشوكة" لم تكن من الله.

ثانيًا: ما هي شوكة بولس التي في الجسد؟ بعض المعلِّمين يقولون إنها كانت نوعًا من المرض في عينيه، أو بعض العجز في جسده. لقد استنتجوا هذا من هذه الكلمات:

"مِنْ جِهَةِ هذا تضَرَّعتُ إلَى الرَّبِّ ثَلاثَ مَرّاتٍ أنْ يُفارِقني. فقالَ لي:
"تكفيكَ نِعمَتي، لأنَّ قوَّتي في الضَّعفِ تُكمَلُ". فبكُلِّ سُرورٍ أفتَخِرُ بالحَريِّ في ضَعَفاتي ـ (Infirmities) أي (مرضي - عجزي) ـ لكَيْ تحِلَّ علَيَّ قوَّةُ المَسيحِ"
(٢ كو ١٢: ٨-٩).

ألقيت الضوء في هذه الكلمات على كلمتين: الضعف ـ العجز أو المرض. دعني أركز على الكلمة الثانية أولًا. افترض المُعلِّمون من خلال هذه العبارة أن شوكة الرسول

بولس هي مرض أو عجز. "فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي أي (مرضي ـ عجزي)". الكلمة اليونانية التى تُرجمت في الإنجليزية infirmities هى astheneia. استُخدِمت هذه الكلمة اثنتي عشرة مرة في كلمة الله، في الأناجيل كانت تشير إلى العجز الجسدي ـ أما في الرسائل، فكانت تشير إلى الضعف البشري – عدم القدرة على تتميم أمرٍ في مقدورنا أن نفعله. في هذه الحالة، لم تكن تشير إلى العجز الجسدي.

على سبيل المثال، في (رو ٨: ٢٦): **"وكذلكَ الرُّوحُ أيضًا يُعينُ ضَعَفاتِنا، لأنَّنا لسنا نَعلَمُ ما نُصَلِّي لأجلِهِ كما يَنبَغي. ولكن الرُّوحَ نَفسَهُ يَشفَعُ فينا بأنَّاتٍ لا يُنطَقُ بها"**. الكلمة اليونانية التي تُرجمت "ضعفاتنا" هي ذات الكلمة اليونانية astheneia. أعتقد أننا نستطيع أن نقول إن كل المؤمنين ليس لديهم عجز جسدي (مرض). إذًا ما هو الضعف الذى يعاني منه المؤمنون بالنسبة لصلاتهم الشفاعية؟ الإجابة هي: هناك أوقات لا نستطيع أن نصلي فيها نتيجةً لمحدوديتنا الجسدية.

على سبيل المثال، إن كانت والدتي تعيش في فلوريدا وأنا أعيش في كلورادو، وحدثت أزمة مفاجئة لوالدتي، الأمر الذي تحتاج فيه للصلاة من أجلها، لكنها لا تستطيع أن تتواصل معي. هناك معوِّقات طبيعية جعلتني لا أعرف حاجتها المُلِحَّة. إلا أن الروح القدس سوف يساعدني في عدم قدرتي هذه (ضعفي) بأن يوجِّهني لأصلي من أجل أمي. هنا الكلمة اليونانية astheneia ـ لا تعني عجزًا جسديًّا لكن عدم قدرة بشرية طبيعية.

نجد مثلًا آخر في (عب ٤: ١٥): **"لأنْ ليس لنا رَئيسُ كهنةٍ غيرُ قادِرٍ أنْ يَرثيَ لضَعَفاتِنا، بل مُجَرَّبٌ في كُلِّ شَيءٍ مِثلُنا، بلا خَطيَّةٍ"** كلمة "ضعفاتنا" هي ذات الكلمة اليونانية astheneia. الكلمة هنا لا صف عجزًا جسديًّا، لكنها تصف عدم قدرتنا البشرية مقارنةً مع قدرة الله. لقد أخذ الرب يسوع طواعيةً في جسده، عدم قدراتنا لكي يشعر بصراعاتنا ويساعدنا من خلال نعمته. إن عبارة "بل مُجرَّب في كل شيء مثلنا، بلا خطيةٍ" بالطبع لا تشير إلى مرضٍ، لكن إلى عدم قدرة بشرية، التي تقبَّلها بسرور أثناء حياته على الأرض.

بعد أن استعرضنا هذه الأمور، دعوني أضع أمامكم مرةً أخرى ما كتبه الرسول بولس: **"مِنْ جِهَةِ هذا تضَرَّعتُ إلَى الرَّبِّ ثَلاثَ مَرّاتٍ أنْ يُفارِقَني. فقالَ لي: "تكفيكَ**

نِعمَتي، لأنَّ قوَّتي في الضَّعفِ تُكمَلُ". فبكُلِّ سُرورٍ أفتَخِرُ بالحَريِّ في ضَعَفاتي ـ(Infirmities) أي (مرضي - عجزي) ـ لكَيْ يَحِلَّ علَيَّ قوَّةُ المَسيحِ" (٢ كو ١٢: ٨-٩).

مرةً أخرى ألقيت الضوءَ في هذه الكلمات على كلمتين: الضعف – العجز أو المرض. لماذا؟ لأن كليهما مشتقٌّ من كلمة يونانية واحدة هي astheneia. لذلك، من السهل أن نترجم كلمات الرسول بولس على النحو التالي:

"تكفيك نعمتي: لأن قوتي يبدو كمالها في الوهن البشري. فبكل سرور إذًا، أفتخر بالحري بضعفاتي، لتستقر عليَّ قوة المسيح".

في الواقع، لقد تُرجم هذا الجزء بهذه الطريقة في ترجمات أخرى. فنقرأ هذا الجزء في ترجمة (Contemporary English Version) كالتالي: "إن كل ما تحتاجه هو نعمتي. إن قوتي تكون الأقوى عندما تكون أنت ضعيفًا. إن كان الرب يسوع سيحل بقوته عليَّ باستمرار، سأفتخر بسرورٍ بمدى ضعفي".

إننا نخدع أنفسَنا عندما نفترض أن الأمر الوحيد الذي يشير إليه الروح القدس هنا هو المرض. إن كان هذا هو الوضع، لكانت الآية على النحو التالي: "تكفيك نعمتي: لأن قوتي يبدو كمالها في المرض. فبكل سرور إذًا، أفتخر بالحري بمرضي، لتستقر عليَّ قوة المسيح". أليس هذا الأمر يخالف العقلَ؟ أعتقد أنه شيءٌ مضحكٌ أن تفكر هكذا في هذا الأمر.

لكن يتَّضح أيضًا أن الرسول بولس لم يكتب عن العجز الجسدي عندما نقرأ هذه الآية في سياق الرسالة بأكملها. لقد أوضح الرسولُ بولسُ الأمورَ التي كان "ملاك الشيطان" يهاجمه بها:

"مِنَ اليَهودِ خَمسَ مَرّاتٍ قبِلتُ أربَعينَ جَلدَةً إلا واحِدَةً. ثَلاثَ مَرّاتٍ ضُرِبتُ بالعِصيِّ، مَرَّةً رُجِمتُ، ثَلاثَ مَرّاتٍ انكَسَرَتْ بيَ السَّفينَةُ، ليلاً ونهارًا قضَّيتُ في العُمقِ. بأسفارٍ مِرارًا كثيرَةً، بأخطارِ سُيولٍ، بأخطارِ لُصوصٍ، بأخطارٍ مِنْ جِنسي، بأخطارٍ مِنَ الأُمَمِ، بأخطارٍ في المدينةِ، بأخطارٍ في البَرِّيَّةِ، بأخطارٍ في البحرِ، بأخطارٍ مِنْ إخوَةٍ كذَبَةٍ. في تعَبٍ وكَدٍّ، في أسهارٍ مِرارًا كثيرَةً، في جوعٍ وعَطَشٍ، في أصوامٍ مِرارًا كثيرَةً، في بَردٍ وعُريٍ... إنْ كانَ يَجِبُ الافتِخارُ، فسأفتَخِرُ بأُمورِ ضَعفي" (٢ كو ١١: ٢٤-٢٧، ٣٠).

ذكر الرسولُ بولس الضيقات المتكررة التي وجَّهها إليه ملاكُ الشيطان. كان من المستحيل على بولس أن يمنع أو يُوقِف هذه المصاعب غير المتوقَّعة بقدراته. لهذا السبب، يقول الرسول: "إن كان لا بد من الافتخار، فإني أفتخر بالأمور التي تظهر مقدار ضعفي". إنه أمرٌ واضحٌ تمامًا: الضعف أو "الشوكة التي في الجسد" في رسالته لا علاقة لها بمرضٍ أو ضعفٍ في عينيه أو أي نوع من العجز الجسدي.

لكن لكي نذهب خطوةً أعمق لنوضح أن شوكة الجسد التي لبولس لم تكن لها علاقة بالمرض، دعونا نرى كيف استُخدِمت في أماكن أخرى في الكتاب المقدس. استُخدِمت هذه العبارة ثلاث مرات في كلمة الله وكلها في العهد القديم. كانت هذه المرات الثلاث تتعلق بكنعان الذي كان دائمًا يهاجم شعبَ إسرائيل. قال اللهُ لشعبه: **"وإن لم تطردوا أهل الأرض من أمامكم، يكونوا من تبقونه منهم كمخرز في عيونكم وكشوكة في خواصركم، يضايقونكم في الأرض التي أنتم مقيمون بها" (عد ٣٣: ٥٥ ترجمة الأخبار السارة).** في كل مكانٍ كانت شوكة الجسد تشير إلى الشعب الذي يضايقهم ويصيبهم بالإحباط. إن هذه العبارة لم تُستخدَم في العهد القديم لتشير إلى مرضٍ. أعتقد أن بولس ـ الذي كان متعمقًا في دراسة الكلمة ـ استخدم هذه العبارة بنفس المعنى ليصف الصعوبات التي واجهها في أي مكان ذهب إليه.

تغيير النموذج العظيم

أعتقد أن الرسول بولس كان مُحبَطًا من الصعوبات والمضايقات التي كان يواجهها باستمرارٍ لدرجة أنه صرخ للرب ـ لا مرة بل ثلاث مرات ـ لكي يرفع الشوكة الشيطانية التي كانت دائمًا تلاحقه. أعتقد أن الله لم يرد على بولس في التوِّ واللحظة لأن طلبته كانت غير سليمة. بعد أن طلب الرسول بولس الطلبة للمرة الثالثة، أنار الربُّ الطريقَ أمامه وأعطاه الحلَّ الذي كان في شخصه.

ألم تستطع أن ترى الأمرَ بعد؟ لقد أعطيتك نعمتي (القوة التي لا تستحقها) لكي تتغلب على كل قوى العدو. إن كل ما تحتاجه هو نعمتي (قوتي) فهي تُظهر فاعليتها في كل شيء لا تستطيع أن تهزمه بقدراتك البشرية. بكلمات أخرى: "كلما زادت الضغوط، كلما ظهرت نعمتي (قوتي) أكثر في حياتك إن كان لك إيمان" (٢ كو ١٢: ٩، إعادة صياغة من المؤلف).

عندما أصبح هذا الأمر واضحًا أمام الرسول بولس، حدث أمر عجيب؛ لقد اختبر تغييرَ النموذج ـ حدث تغيير جذري في نمط التفكير إلى نمطٍ آخر في التفكير. لقد تغيَّرت طريقة تفكيره إزاء مقاومة الشيطان المستمرة له، التي كان يواجهها. إنه الآن لا يصلي لأن يزيح الربُّ عنه الشوكة لكن يقول:

"لذلكَ أُسَرُّ بالضَّعَفاتِ والشَّتائِمِ والضَّروراتِ والاضطِهاداتِ والضِّيقاتِ لأجلِ المَسيحِ. لأنِّي حينَما أنا ضَعيفٌ فحينَئذٍ أنا قويٌّ" (٢ كو ١٢: ١٠).

إنه يفتخر الآن ويقول: "أنا أفرح بعدم قدرتي البشرية على تَحَمُّل الضغوط التي قد ألاقيها من هذه اللحظة فصاعدًا!"

توقَّف! تفرح؟! كيف يمكن أن يكون هذا؟ في إحدى الترجمات: "أنا مسرور جدًّا..." وفي ترجمة أخرى: "أنا مبتهج" هل فقد الرسولُ بولسُ عقلَه؟ هل هو مبالغ؟ هل يكذب؟ كلا، أي شخص كتب في الوحي كان يكتب بوحي روح الله ولا يستطيع أن يفعل أيًّا من هذه الأمور؛ لأنه يستحيل أن الله يكذب. إذًا، كيف يستطيع أحدٌ أن "يبتهج" أو "يفرح" في الضيقات والشتائم والإهانات والاضطهادات؟ الإجابة ببساطة:

"إن المقاومة العظيمة تحتاج إلى قوةٍ عظيمةٍ، الأمر الذي يؤدي إلى انتصارٍ عظيمٍ".

يفقد مؤمنون كثيرون سعادتهم عندما يواجهون الصعوبات. يخافون عندما يواجهون العدوَّ في ظروفٍ صعبة؛ فهم يفضِّلون حياةً سهلةً مريحةً بلا مواجهاتٍ. إن الحق الذي اكتشفه الرسول بولس لم يتأصل في قلوبهم. هم ببساطة لا يدركون أن كل مقاومات العدو ما هي إلا فرص لتُظهِر في حياتهم نعمة (قوة) أكبر، ويرتقون إلى درجةٍ أسمى في المسيح. لقد كان للرسول بولس نفس الموقف من الضيقات قبل أن يغيِّر اللهُ من تفكيره، ويغيِّر نموذجَه بالكامل. كتب الرسولُ بولسُ الرسالةَ الثانيةَ إلى أهل كورنثوس في حوالي عام ٥٦م، بعد سنوات قليلة، كتب رسالته إلى رومية، التي يتَّضح فيها تغيُّر فكره تمامًا من جهة الضغوط. فيقول:

"فمن سيفصلنا عن محبة المسيح لنا؟ هل الشدة أم الضيق أم الاضطهاد أم الجوع أم العري أم الخطر أم السيف؟... ولكننا، في جميع هذه الأمور، نحرز ما يفوق الانتصار على يد من أحبنا" (رو ٨ : ٣٥، ٣٧ ترجمة كتاب الحياة).

الهج في هذه الكلمات خصوصًا عبارة: **"ولكننا، في جميع هذه الأمور، نحرز ما يفوق الانتصار على يد من أحبنا".** قبل أن يحدث لبولس ذلك التغيير العظيم، كان الرسول يتضرع إلى الله لينزع منه الشوكة. إلا أن الأمر اختلف الآن تمامًا: إن نعمة الله أكبر من أن تجعلنا نحتمل الظروف، لكنها تجعلنا أعظم من منتصرين. كأن الرسول بولس يقول: "أرسلها! أرسل المضايقات يارب، لكي أستطيع أن أحصل على نصرةٍ عظيمةٍ في المسيح". لقد تسلَّح الرسولُ بولس بنيَّة الألم، تسلَّح ليحارب وينتصر، ويخرج من المعركة أقوى من ذي قبل.

انظر إلى التجارب كفُرَص

في الختام، نكون "مُسلَّحين" عندما تكون لدينا ثقة في قلوبنا وأذهاننا ونحن نواجه التجارب – ثقة قبل وأثناء وبعد المعركة ـ ويكون لدينا اتجاه إيجابي فنرى التجاربَ والامتحانات لا كمعوِّقات، لكن نراها كفرصٍ!

يكتب الرسول يعقوب:

"يا إخوتي، عندما تنزل بكم التجارب والمِحَن المختلفة،
اعتبروها سبيلًا إلى الفرح الكلي"
(يع ١: ٢ ترجمة كتاب الحياة).

نحن نعلم أن المعركة قد سبق وفزنا بها من خلال الرب يسوع، ونحن نتأيد بكل سلطان وقوة السماء. إن لم نيأس، ووقفنا بثبات وحاربنا، سنجلس على القمة. إن هذه هي إرادة الله لحياتنا.

كما أكد الرسول بولس بكل شجاعةٍ في (رو ٨: ٣١) وقال:

"إنْ كانَ اللّٰهُ معنا، فمَنْ علَينا؟"

٩

القوة في النعمة

"فإنَّ مُصارَعَتَنا ليستْ مع دَمٍ ولَحمٍ، بل مع الرُّؤَساءِ، مع السَّلاطينِ، مع وُلاةِ العالَمِ علَى ظُلمَةِ هذا الدَّهرِ، مع أجنادِ الشَّرِّ الرّوحيَّةِ في السماويَّاتِ" (أفسس ٦: ١٢).

كل ابن لله في حرب. إن لم يكن الوضع هكذا، فنحن من هذا العالم، وربما نخدع أذهاننا ونعتقد أننا نتبع الله.

أدرك أن هذه العبارة ربما تكون عبارةً صعبةً، لكن اسمح لي أن أشرح لك صدقها. تخيَّل معي أنك تعيش في ألمانيا أيام حكم "أدولف هتلر". هذا القائد الطاغية كان يريد أن يؤسِّس نظامًا استبداديًّا جديدًا من خلاله تسيطر ألمانيا النازية على قارة أوروبا. كان شخصًا مؤذيًا بما تحمله هذه الكلمة من معنى، وقد كان يكره اليهودَ بشدةٍ. إن كنت من جذورٍ ألمانية، وتتمتع بالصحة والذكاء، ولا تختلف في توجُّهاتك عن توجُّهات هتلر، تستطيع أن تعيش في ألمانيا بكل يسر ولن تتعرض لأي هجومٍ.

لكن إن كانت جذورك يهوديةً، فالأمر سيختلف معك تمامًا. ستعيش تحت تهديدٍ مستمر. ففي أية لحظةٍ، من الممكن أن يُفتَرَى عليك، يُشتبه فيك، تُهان، تُسلب. عليك أن تحترس لتتجنب القبض عليك، السجن، التعذيب بل والقتل. أنت في حربٍ سواء

أردت أو لم ترد. هنا بدأ اليهودُ الحكماء والعقلاء في تسليح أنفسهم وفعلوا كلَّ ما هو ضروري ليتجنبوا طغيانَ هتلر.

إن إبليس وملائكته أخطر بكثير من هتلر والنظام النازي. إن كنت ممن ينتمون للشيطان، فأنت غير مُستَهدَف. ليس عليك أن تكون في حالة حرب. عندما كان الرب يسوع على الأرض، وجَّه كلامَه للقادة المرائين قائلاً: **"أَنتُمْ مِنْ هذا العالَمِ" (يو ٨: ٢٣).**

لكي يتأكد أنهم أدركوا ما قاله، قال لهم بطريقةٍ مباشرةٍ: **"أَنتُمْ مِنْ أَبٍ هو إبليسُ" (يو ٨: ٤٤).** بالرغم من أن هؤلاء القادة كانوا يعتقدون أنهم يخدمون الله، لكنهم في حقيقة الأمر كانوا يخدمون رئيسَ هذا العالم المستبد.

أما إذا كنت تتبع الله، فعليك أن تحيا منتبهًا؛ لأن العالم الذي تعيش فيه مُعادٍ لكل الأمور التي تخص ملكوت الله. لقد أشار الرب يسوع لهذا وقال:
"لو كنتُم مِنَ العالَمِ لكانَ العالَمُ يُحِبُّ خاصَّتَهُ. ولكن لأَنَّكُمْ لستُمْ مِنَ العالَمِ، بل أنا اختَرتُكُمْ مِنَ العالَمِ، لذلكَ يُبغِضُكُمُ العالَمُ" (يو ١٥: ١٩).
لاحظوا كلماته، العالم يبغضكم. لا يوجد مجال للتلاعب في هذه العبارة. إن كنت من العالم فسيحتضنك العالم. إن كنت من الله، فسوف يبغضك ويقاومك النظامُ العالمي.

أسلحة النعمة

نأتي الآن إلى موضوع آخر مهم وهو كيف نتسلَّح بالطريقة الصحيحة، وأن تكون لدينا المعرفة الصحيحة بالأسلحة التي لنا في الرب يسوع المسيح. إنها أسلحة روحية قوية، يقول عنها الرسول بولس: **"فإن الأسلحة التي نحارب بها ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم الحصون: بها نهدم النظريات" (٢ كو ١٠: ٤ ترجمة كتاب الحياة).**

في ترجمةٍ أخرى: "فما سلاح جهادنا جسدي، بل إلهي قادر على هدم الحصون".
ما هو "السلاح الإلهي" الذي يهدم الحصونَ؟ إنه ليس إلا نعمة الله المتفاضلة ـ عطيته المجانية لكل المؤمنين. بعد أن أدركنا هذا، دعونا نتقدم لنرى ما كتبه الرسول

بطرس في رسالته الأولى وندرك هذا الحقَّ العظيم الذي لنا. أرجو أن تدرك أنك تستطيع أن تستبدل كلمات قوة بكلمة (نعمة).

"كونوا جميعًا خاضِعينَ بَعضُكُمْ لبَعضٍ، وتسَربَلوا بالتَّواضُعِ، لأنَّ: "اللهَ يُقاوِمُ المُستَكبِرينَ، وأمّا المُتَّواضِعونَ فيُعطيهِمْ نِعمَةً (قوة)". فتَواضَعوا تحتَ يَدِ اللهِ القَويَّةِ لكَيْ يَرفَعَكُمْ في حينِهِ، مُلقينَ كُلَّ هَمِّكُمْ علَيهِ، لأنَّهُ هو يَعتَني بكُمْ. اُصحوا واسهَروا. لأنَّ إبليسَ خَصمَكُمْ كأسَدٍ زائرٍ، يَجولُ مُلتَمِسًا مَنْ يَبتَلِعُهُ هو. فقاوِموهُ، راسِخينَ في الإيمانِ، عالِمينَ أنَّ نَفسَ هذِهِ الآلامِ تُجرَى علَى إخوَتِكُمُ الذينَ في العالَمِ. وإلَهُ كُلِّ نِعمَةٍ (قوة) الذي دَعانا إلَى مَجدِهِ الأبديِّ في المَسيحِ يَسوعَ، بَعدَما تألَّمْتُمْ يَسيرًا، هو يُكَمِّلُكُمْ، ويُثَبِّتُكُمْ، ويُقَوِّيكُمْ، ويُمَكِّنُكُمْ. لهُ المَجدُ والسُّلطانُ إلَى أبدِ الآبِدينَ. آمينَ... كتَبتُ إلَيكُمْ بكلِماتٍ قليلَةٍ واعِظًا وشاهِدًا، أنَّ هذِهِ هي نِعمَةُ (قوة) اللهِ الحَقيقيَّةُ التي فيها تقومونَ" (١بط ٥: ٥-١٢).

اسمح لي بأن ألخص هذه الكلمات الغنية التي كتبها الرسول بطرس، ثم بعد ذلك أقدم الرسالة على أجزاء. إن الموضوع الأساسي لهذا الجزء هو نعمة الله. بدأ الرسول بطرس بأن يحثَّنا لنخضع لبعضنا البعض. أي أن "نتَّحد فى إطار رسالةٍ واحدةٍ". بعد ذلك، أكد على أن الله يعطي نعمةً للمتواضعين، والشخص المتَّضع هو الذي يلقي بهمومه على نعمة (قوة) الله ولا يعتمد على قوته الذاتية.

أي نوع من الهموم كان يتحدث عنه الرسول بطرس؟ إنها تشمل جوانب الحياة المختلفة، مثل مسؤولياتنا، احتياجاتنا، طموحاتنا، وما يقلقنا. قد تكون همومنا متعلقةً بالأمور الدنيوية، لكن الأهم من ذلك هو ما يتعلق بالأمور الأبدية؛ أن نختبر حياة الملكوت الغنية، وبالتالي، نستطيع أن نلبي احتياجات الآخرين الذين في نطاق تأثيرنا. قد نلاقي في سعينا لتحقيق إرسالية النعمة مقاومات من عدونا الأساسي؛ إبليس وجنوده. فهو يستطيع أن يبتلعنا، لكن هذه ليست خطة الله. لذلك علينا أن نكون يقظين، متمسِّكين بوعود الله لنا، ومجاهدين في الصلاة، الأمور التي تجعلنا دائمًا مُسلَّحين بنعمة الله، ليمتد ملكوته وننتصر على العدو.

علينا أن نتذكر أننا لسنا وحدنا في هذا الأمر، فإخوتنا وأخواتنا في كل أنحاء العالم يحملون نفس إرسالية النعمة، ويجتازون في نفس المعارك. إن الأمر المُبهِج هو أن هذه المعارك تؤدي إلى النضوج والقوة. من خلال كل انتصار، نختبر سلطانًا أسمى في المسيح.

اختتم بطرسُ الرسولُ هذا الموضوعَ بهذه الفكرةِ القوية: أن هذه هي نعمة الله الحقيقية (أو أن هذا هو الغرض الحقيقي لنعمة الله). أليس مدهشًا أن الروح القدس أرشد الرسولَ بطرسَ منذ ألفي عام ليكتب لنا عن نعمة الله الحقيقية؟! ليست هذه مجرد صدفة؛ فقد رأى الروحُ القدس أنه في الأيام الأخيرة قد يضعف فهم المؤمنين للنعمة (على الأقل بالنسبة لفكر مؤمني الغرب) لتنحصر أفكارُهم عن النعمة في أنها لازمة فقط لغفران خطاياهم وذهابهم للسماء. إن نعمة الله الحقيقية تشمل كلًّا من هذين الأمرين، إلا أنها تشمل أيضًا ما هو أكثر من ذلك ـ إنها تمنحنا القوةَ التي بها نستطيع أن نتغلب على قدراتنا الطبيعية لنتمِّم الإرسالية الموضوعة علينا. إن الغرض الأساسي لهذه الإرسالية هو أن نمجد الله وأن يمتد ملكوته.

عندما ندرك هذه الأمور، نستطيع أن ندرك بسهولة لماذا لا يضيء أغلب المؤمنين كأنوار في العالم. إن تميُّزنا يأتي من خلال الحروب الصعبة، وكثيرون من المؤمنين يريدون أن يتجنبوا تلك المعارك. إن العدو لن يهدأ ولن يسمح لنا بأن نؤثر في العالم لأجل المسيح. سوف يقاوم خدمتنا بضراوةٍ، لكن علينا أن نصمد ونقاومه لنحقِّق هدفَ الله لحياتنا. في ترجمة (The New International Version) تأتي هذه الآية: "أن هذه هي نعمة الله الحقيقية، فاثبتوا فيها". بعد أن قرأنا هذا، تعالوا بنا نرى الكلمات القوية التي كتبها الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس:

"فتَقَوَّ أنتَ يا ابني بالنِّعمَةِ التي في المَسيحِ يَسوعَ...
فاشتَرِكْ أنتَ في احتِمالِ المَشَقّاتِ
كجُنديٍّ صالِحٍ ليَسوعَ المَسيحِ"
(٢ تي ٢ :١، ٣).

كثيرون منا لا يستخدمون سلاح النعمة!

لم يطلب الرسول بولس من تيموثاوس أن يكون قويًّا جسديًّا، اجتماعيًّا، عاطفيًّا أو ذهنيًّا، لكنه طلب منه أن يتقوَّى في النعمة. إنه السلاح الذي نحتاجه لكي نكمل السعيَ بنجاحٍ. بعد أكثر من خمسٍ وعشرين سنة قضيتها في الخدمة، لاحظت أن معظمنا لا يستخدم سلاح النعمة. على كلٍّ، فإن حوالي ٩٨٪ من المؤمنين الأمريكان لا يدركون بطريقةٍ صحيحةٍ هذه العطيةَ المجانيةَ القويةَ. نحن لا ندرك ما نمتلكه.

في الأصحاح الأول من رسالته الثانية إلى تلميذه تيموثاوس، يصحِّح الرسول بولس لهذا الشاب بعض المفاهيم. لقد انحنى أمام الضغوط والاضطهاد، ويبدو أن المصاعب بدأت تتغلَّب عليه، ولم يعد يقاوم بثبات كما كان يعتقد الرسول بولس. وهنا يُذكِّر الرسولُ بولسُ تيموثاوسَ أن الله لم يُعطِهِ روحَ الفشل والخوف، بل روح القوة والمحبة والفطنة. كان تيموثاوس يملك ـ مثل كل المؤمنين ـ ما يجعله يتغلَّب على أية مقاومةٍ، لذلك حثَّه الرسولُ بولس لكي يضرم الموهبةَ التي أعطاها الله له، وأن يتقوَّى بالنعمة التي في المسيح. (انظر ٢ تي ١: ٦– ٧، ٢: ١).

لا نستطيع أن نشبِّه سيرَنا في اتجاه الحصول على جعالة دعوة الله العليا، مثل نزهة في النادي. فنحن لا نذهب إلى "رحلةٍ نهريةٍ" لكي نحصل على حياةٍ مميَّزةٍ. لقد أكد الرسولُ بولسُ على هذه الحقيقة عندما قال: **"أسعَى نَحوَ الغَرَضِ لأجلِ جَعالَةِ دَعوَةِ اللهِ العُليا في المَسيحِ يَسوعَ" (في ٣: ١٤).** وكلمة "أسعى" معناها أن أجاهد أو أقاوم لكي أصل إلى الغرض. إن كان الرسول بولس "يسعى"، فهذا معناه أن هناك مقاومات يواجهها.

تعالوا بنا نعود مرةً أخرى إلى الرؤيا التي رأيتها في الفصل الأول. كان على بطل الرواية ـ الشخص الذي يجدِّف ـ أن يقاوم ويقاوم، ويسير ضد التيار، إلا أن قوته خارت. لماذا؟ أستطيع أن أتخيَّل أنه عندما لاحظ القوارب المجاورة له تسير بسهولةٍ، والركاب فيها يضحكون، ويحيون حياةً ناجحةً ولا يجدون إلا مقاومات بسيطة ـ كل هذه الأمور، سبَّبت له إزعاجًا. هذا بدوره أدى إلى أنه اعتقد أن هذا الوهم ما هو إلا حقيقة. من الممكن أن تحيا في راحةٍ "كمؤمنٍ" وتختبر أقلَّ المضايقات. يا له من خداعٍ!

دعونا نرى مثلًا آخر: من الممكن أن ينسحب الجندي من المواجهة في المعركة، ولا يواجه تلك المصاعب التي يواجهها رفقاؤه الذين على خط المواجهة. لم تنتهِ الحرب بعد، لكن هذا الجندي لم يَعُد في صراعٍ نتيجة انسحابه. مثل الشخص الذي في القارب، مازال الجندي يرى أن الحرب مستمرة، وهو يرتدي زيَّه العسكري، ومعه كل أسلحته وعتاده، لكنه لا يواجه أيةَ مقاومةٍ.

إن هدفنا لا أن نظهر وكأننا مثل المسيح، لكن أن نكون في الواقع مثل المسيح، نكون سببًا في امتداد الملكوت وتحطيم أعمال إبليس (راجع ١ يو ٣: ٨). أن نفعل هذه الأمور هذا معناه أننا سوف نواجه مقاومات.

علينا أن نتذكر أن كلَّ ما نحتاجه لنتغلب على الصعوبات ليس إلا نعمة (قوة) الله. لكن ينبغي أن نتعاون معها من خلال إيماننا الثابت والصامد ـ وأن نبرهن على إيماننا بأعمالنا. عندما سار بطرس على المياه، فعل هذا الأمر المستحيل من خلال عمل غير طبيعي. قال له الرب يسوع: "تعالَ" وفي هذه الكلمة، كانت تكمن كل النعمة التي كان يحتاجها بطرس ليسير على المياه. لكن عندما توقف إيمانه، بدأت النعمة (القوة) تتضاءل وابتدأ يغرق. كانت هناك نعمة كافية في كلمة الرب يسوع "تعالَ" تستطيع أن تجعل بطرس يسير المسافة ليصل إلى الرب يسوع أو حتى يعبر بحرَ الجليل، إن كان يريد. إلا أن النعمة بدأت تتضاءل؛ لأن إيمانه بدأ يضعف. إننا نملك نعمةً غير محدودةٍ في المسيح، لكننا لا نستطيع أن نملكها إلا بالإيمان: **"الذي بهِ أيضًا قد صارَ لنا الدُّخولُ بالإيمانِ، إلَى هذِهِ النِّعمَةِ التي نَحنُ فيها مُقيمونَ"** (رو ٥: ٢).

إن المشكلة ليست في تضاؤل النعمة، بل في ضعف الإيمان. وبالتالي، سوف تنقطع النعمة (القوة)، ونشعر أننا نُحارِب بقوتنا الذاتية. تأمل أنابيب المياه التي تحمل الماءَ إلى بيتك. إن انكسرت هذه الأنابيب، تنقطع المياه. إن مصدر المياه به كميات لا تنتهي من المياه، إلا أن المياه لا تصل إلى بيتك لأن الأنابيب فشلت في حملها. إن الإيمان هو الأنابيب والنعمة هي المياه.

لكي لا نفشل، علينا أن نبني أنفسَنا على الإيمان. كيف؟ علينا أن نُسبِّح، نتعبَّد، نتعمَّق في كلمة الله، نشكر اللهَ لأجل ذاته ولأجل عطية نعمته، نصلي في الروح القدس. إن لم نفعل هذه الأمورَ لنبني إيماننا، سيتوقف إيمانُنا وسنحيا بقوَّتنا الذاتية بدلًا من الاعتماد على قوة الله. بعد فترةٍ قليلةٍ، سنجد أن العالم يتحكَّم فينا بدلًا من أن نتحكم نحن في العالم.

لأجل هذا السبب، يشجِّعنا الرسول بطرس ويقول: **"ولكن انموا في النِّعمَةِ وفي مَعرِفَةِ رَبِّنا ومُخَلِّصِنا يَسوعَ المَسيحِ"** (٢ بط ٣: ١٨). إننا مسؤولون عن نموِّنا في قوة الله. يتم هذا ببساطة عندما نبني إيماننا، وهكذا نستطيع أن نزيد إيماننا. يقول الرسول بولس: **"لأنْ فيهِ مُعلَنٌ برُّ اللهِ بإيمانٍ، لإيمانٍ، كما هو مَكتوبٌ: «أمّا البارُّ فبالإيمانِ يَحيا»"** (رو ١: ١٧). فكِّر في هذا الأمر بهذه الطريقة: كلما كبر إيمانك كلما اتسعت "الأنابيب"ـ وبالتالي ازدادت كمية "المياه" النعمة المتاحة لك. وهكذا، يستطيع اللهُ أن يأتمنك على مسؤوليات أكبر لتغزو أماكن تحتاج إلى الرب يسوع وتحارب لتعطيهم حياةً.

أشجِّعك بهذه الكلمات التي في الرسالة إلى العبرانيين:

"لذلك، شددوا أيديكم المرتخية، وركبكم المنحلة. ومهدوا لأقدامكم طرقا مستقيمة... انتبهوا ألا يسقط أحدكم من نعمة الله"
(عب ١٢: ١٢- ١٣، ١٥ ترجمة كتاب الحياة).

السقوط من نعمة الله معناه أنك تتحول من مرحلة مقاومة العدو إلى أن تكون محايدًا ثم بعد ذلك ستجد نفسك مذعنًا للعدو. لماذا تتحول عن قوة الله غير المحدودة وفوق الطبيعية؟ لماذا تفشل في أن تتمتع بقوة نعمته المدهشة؟

نحن في حرب، والطريقة الوحيدة لننهي المعركةَ بنجاح هي أن نثابر في إيماننا. إن مثابرتك تسر قلبَ الله وتصبح مصدرَ تهديدٍ لمملكة الظلمة. إن هذه هي دعوتنا، غايتنا، بل وامتيازنا في خدمة الرب يسوع المسيح.

١٠

سـلاح التواضـع

"وَكُونُوا جميعًا خاضِعينَ بَعضُكُمْ لبَعضٍ، وتسَربَلوا بالتَّواضُعِ، لأنَّ: "اللّٰهَ يُقاوِمُ المُستَكبِرينَ، وأمّا المُتَواضِعونَ فيُعطيهِمْ نِعمَةً". فتَواضَعوا تحتَ يَدِ اللّٰهِ القَويَّةِ لكَيْ يَرفَعَكُمْ في حينِهِ، مُلقينَ كُلَّ هَمِّكُمْ علَيهِ، لأنَّهُ هو يَعتَني بكُمْ" (١بط ٥: ٥-٧).

"كونوا خاضعين بعضكم لبعض... تسربلوا بالتواضع... فتواضعوا"

هذه الكلمات التي كتبها الرسول بطرس هي كلمات محورية، لكي نحيا بفاعلية وتنهي أية مرحلة من مراحل حياتك بنجاح. افتتح الرسول بطرس حديثه بهذه الكلمات "كونوا خاضعين بعضكم لبعض". تعني كلمة "خاضعين" أن "تتحدوا في إطار رسالةٍ واحدةٍ". كيف يمكن أن يتم هذا وهناك اختلاف في نوعية الشخصيات، والرغبات بل والقدرات؟ الإجابة هي: عندما نتسربل بالتواضع. الله يقاوم المستكبرين. وبالطبع، نحن لا نريد أن يقاومنا الله! على الجانب الآخر، هو يعطي نعمةً (قوة) للمتَّضعين.

إذًا من هو المتكبر ومن هو المتواضع؟

المتواضع ينال نعمة الله

المؤمن المتواضع يثق ويؤمن ويطيع كلمة الله، بغضِّ النظر عمَّا يظنه أو يشعر به أو يتمناه. بالتالي، هو يعتمد تمامًا على قدرة الله لا على قدراته. يطلب مشيئته لا رغباته الشخصية أو رغبات الآخرين. يعتبر نفسه في إرسالية. يخبرنا الكتاب: **"هُوذَا مُنتَفِخَةٌ غيرُ مُستَقيمَةٍ نَفسُهُ فيهِ. والبارُّ بإيمانِهِ يَحيَا" (حب ٢: ٤).**

يصور لنا (حب ٢: ٤) الكبرياء والإيمان كنقيضين. من الممكن أن نعيد كتابة هذه الآية على النحو التالي: "هوذا الشخص غير المتواضع، نفسه المنتفخة غير مستقيمة فيه، أما البار فبالإيمان يحيا" هنا نرى أن التواضع والإيمان يسيران معًا. وهكذا الكبرياء وعدم الإيمان. عدم الإيمان بالله معناه أننا نعلن أننا نعرف أفضل منَّا يعرف هو، وبالتالي، نحن نثق في حكمنا على الأمور أكثر من حكمه هو. إن عدم الإيمان ليس إلا كبرياء مقنَّعة.

اسمح لي بأن أشرح هذا: بعد حوالي سنة من خروج شعب الله إسرائيل من مصر، أمر الربُّ مُوسَى قائلًا: **"أرسِلْ رِجالًا ليتجَسَّسوا أرضَ كنعانَ التي أنا مُعطيها لبَني إسرائيلَ" (عد ١٣: ٢).** كالمعتاد، كانت تعليمات الله واضحةً تمامًا ـ ليس فيها أي نوع من الالتباس.

وهكذا، أرسل موسى اثني عشر قائدًا، واحدًا من كل سبطٍ. إلا أن هناك عشرة رجال كانوا "متواضعين" واثنين كانا "متكبِّرين" (إن كنت تعرف القصة، أرجو أن تتابعها معي فأنا أتحدث بنوعٍ من الفكاهة لأوضح وجهة نظري).

بعد أن قضى الجواسيس أربعين يومًا في أرض الموعد عادوا. تكلم الجواسيس العشرة "المتواضعون" أولًا، وقالوا: "لقد انطلقنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، فوجدناها تفيض لبنًا وعسلًا. انظروا إلى الثمار التي أحضرناها! غير أن الشعب الساكن فيها قويٌّ، والمدن حصينةٌ وعظيمةٌ جدًّا بل هم عمالقة! إنهم مقاتلون مهرة، ويمتلكون أسلحةً أكثر منا. نحن بالنسبة لهم مجرد جراد. علينا أن نضع في اعتبارنا زوجاتنا وأطفالنا! كيف يمكن أن نُعرِّض زوجاتنا وأطفالنا الذين نحبهم للوحشية، التعذيب، الاغتصاب بل والموت، هذه الأمور التي تنتظرنا على الجانب الآخر من نهر الأردن؟ علينا أن نكون آباءً وأزواجًا جديرين

بتحمُّل المسؤولية، ونقدِّم لكم تقريرًا صادقًا عن الوضع. إنه من المستحيل أن نأخذ هذه الأرض".

بالرغم من أن الشعب كان يتطلع بشغفٍ لامتلاك الأرض، إلا أن الأمان كان له أولوية، لذلك، أثنوا على حكمة وتواضع هؤلاء الرجال العشرة. أنا متأكد أن أغلب الآباء والأمهات الذين سمعوا هذا التقرير كانوا ممتنِّين للتصرف الوديع لهؤلاء الرجال. لقد قال الإسرائيليون لأنفسهم: "نحن في غاية السعادة لأن هؤلاء الرجال ذهبوا قبلنا. يا لهم من قادة عظماء! إن الذات فيهم لم تتغلب عليهم، ولم يضعونا في موضع الخطر. ماذا كان من الممكن أن يحدث لنا إن لم يستخدموا المنطق؟!"

لكن الجاسوسين "المتكبرين"، كالب ويشوع، قاطعا الحديث وصرخا: "انتظروا دقيقة! ما الذي تفعلوه هنا؟ علينا أن نذهب ونأخذ الأرضَ الآن! نحن نستطيع أن نفعل ذلك! لقد وعدنا بها الربُّ. إن كلمته معنا! إننا نستطيع أن نُبيد هذه الشعوبَ، دعونا نتحرك على الفور!"

أُصيب الجميعُ بالذهول ممَّا استمعوا إليه، فبدأوا ينظرون بعضهم لبعض وهم غير مصدقين. هل تستطيع أن تتخيَّل رد فعل الجواسيس العشرة تجاه رأي كالب ويشوع الطائش والمتهور؟ أتخيَّل أنهم صُدِموا، وبعد ذلك كان رد فعلهم على النحو التالي: "ما هذا الذي تتكلمان عنه؟ هل جُنِنْتُما؟ لقد رأينا كلنا نفسَ الأمور – لقد شاهدنا قوتهم، أسلحتهم ومدنهم الحصينة – إنهم عمالقة، متمرسون في الحروب، ونحن لسنا إلا مجرد جراد. نحن لا نستطيع أن نباريهم! أنتما لا تفكران في زوجاتنا وأطفالنا، وسلامة ورفاهية أمتنا. أنتما متكبران، طائشان! التزما الصمت، فأنتما مريضان نفسيًّا!"

أتخيَّل أن الجمع تنفس الصعداء وصاح وقال: "نشكر الله لأن الحكماء العشرة ظلوا ثابتين. نحن محظوظون لأن أغلبية الجواسيس كانوا متواضعين وحكماء. هل تستطيع أن تتخيل ما الذي كان سيحدث لنا إن كان كل الجواسيس متكبرين ومغرورين مثل كالب ويشوع؟"

لكن كالعادة، كان القول الأخير لله، فقال لموسى: **"حتَّى مَتَى يُهينُني هذا الشَّعبُ؟ وحتَّى مَتَى لا يُصَدِّقونَني بجميعِ الآياتِ التي صَنَعْتُ في وسطِهِمْ؟" (عد ١٤: ١١).** إن

الله لم يكن سعيدًا بفكر الجماعة. ما كانوا يظنون أنه تواضع لم يكن تواضعًا على الإطلاق. في واقع الأمر، كان عدم إيمانهم هو الكبرياء. كانوا يبنون كل حساباتهم على أساس حكمتهم وإمكاناتهم وقوتهم.

بعد هذه الحادثة بفترة، أعلن الله في العهد القديم وقال: **"مَلعونٌ الرَّجُلُ الذي يتَّكِلُ علَى الإنسانِ، ويَجعَلُ البَشَرَ ذِراعَهُ، وعَنِ الرَّبِّ يَحيدُ قلبُهُ... مُبارَكٌ الرَّجُلُ الذي يتَّكِلُ علَى الرَّبِّ، وكانَ الرَّبُّ مُتَّكلهُ"** (إر ١٧: ٥، ٧). لقد رأى عشرة من الجواسيس كيف أن سكان هذه الأرض من العمالقة، وأسَّسوا تقديراتهم على قوتهم الذاتية. إلا أن كالب ويشوع، رَأَيَا عظمةَ الله في مواجهة العدو، وأسَّسا تقديراتهما على نعمة الله. انتهى الأمر بأن كلًّا من كالب ويشوع نالا بركةً من الله، لكن كلَّ الجواسيس العشرة الذين لم يؤمنوا، حلت عليهم اللعنة.

إذًا مَنْ مِنَ الجواسيس كان متواضعًا، ومن كان متكبِّرًا؟ في نظر الله كان العشرة جواسيس متكبِّرين أما كالب ويشوع، فكانا متَّضعين.

الإيمان يستلزم أن يكون لديك تواضع حقيقي.

إن الإيمان يستلزم اتِّضاعًا حقيقيًّا؛ لأنك عندما تكون متَّضعًا تعتمد على الله وتثق في قدرته (نعمته) لترافقك طوال الرحلة ـ ولن تعتمد على قدراتك. إن كان الجواسيس العشرة قد اتَّكلوا على مواعيد الله باتضاعٍ، لكانوا قد تحركوا وانتصروا وامتلكوا الأرض. لكانوا قد خضعوا لسلطان كلمة الله بدلًا من أن يتَّكلوا على قدراتهم المحدودة ومنطقهم البشري. وهكذا، كانوا قد خضعوا الواحد للآخر – تحت إطار رسالةٍ واحدةٍ.

لو كانوا قد دخلوا الحرب، لافترض المُشاهِد أن أولاد إبراهيم يتصرَّفون معتمدين على قوتهم الذاتية، لكن في واقع الأمر هم يتمتعون بنعمة الله، بقوته فوق الطبيعية التي تعمل فيهم. عندما نتقوَّى بنعمة الله، قد تكون هناك بعض الأوقات التي يبدو فيها أن ما ننجزه هو نتيجة قدراتنا الذاتية، لكن في أوقاتٍ أخرى يكون واضحًا أن ما يُنجَز هو نتيجة لقدرة الله. لكن بغضِّ النظر عمَّا يبدو للناس من الخارج، فإننا ندرك ونثق أن ما يحدث هو نتيجة اعتمادنا الكلي على قوة الله، ونستطيع أن نتقدم للأمام واثقين تمامًا في صدق كلمته.

إن هذا يا عزيزي القارئ ما أسميه "الإيمان المثابر". إلا أنه يبدأ بروح الاتضاع أمام الله وأمام بعضنا البعض.

أن تتسربل بالتواضع، هذا معناه أن تلبس سلاحَ الله لا سلاحك الشخصي. يحثُّنا الكتاب في (١ بط ٥: ٥-٦) قائلًا: **"تَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ... فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ"**. تشير "يد الله" إلى قدرته، قوته، إنها سلاحه.

كيف نترجم هذا عمليًّا؟ علينا أن نتواضع تحت يد الله القديرة. نرفض أن نسمح لأفكارنا البشرية وخبراتنا (أو خبرات غيرنا) أن تسمو على كلمة الله، لكن علينا أن نؤمن بغضِّ النظر عن منطقنا أو حساباتنا ونسمح لكلمة الله أن تُملِي علينا ما ينبغي أن نفعله.

لقد تعلم شعب إسرائيل خلال أربعمائة عامٍ من العبودية في أرض مصر أنه لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ضد أقوى قوةٍ في العالم في ذلك الوقت، والتي كانت تمتلك أقوى الأسلحة. لقد استعبدتهم مصر. لم يكن في وسعهم أن يعملوا أيَّ شيء ليحرِّروا أنفسَهم. لكن الله حررهم بذراعه القوية، كما قال موسى: **"لأَنَّهُ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ أَخْرَجَكَ الرَّبُّ مِنْ مِصرَ"** (**خر ١٣: ٩**). لكننا ندرك أنهم **"أسرَعوا فنَسوا أعمالهُ"** (**مز ١٠٦: ١٣**). بدأوا يحنون إلى أيام العبودية، ونسوا يد الله التي أنقذتهم. إن نفس اليد القوية التي هزمت مصر تستطيع أن تهزم جيوش الكنعانيين، التي في واقع الأمر كانت أضعف من جيوش مصر.

لكن قبل أن نقسو أنا وأنت على شعب إسرائيل، ضعيف الإيمان، علينا أن ننظر في المرآة. كم مرة نسلك مثلهم؟ قبل أن نصبح في عائلة الله، كنا تحت عبودية الشيطان. كانت لنا طبيعته، ولم يكن لنا أمل في التخلُّص منها. إلا أن الله القدير **"أَنقَذَنَا مِنْ سُلطانِ الظُّلمَةِ، ونَقَلَنا إِلَى ملكوتِ ابنِ مَحَبَّتِهِ"** (**كو ١: ١٣**). إن كان الله قد تمَّم هذه الخطوةَ المستحيلةَ، ألا يستطيع أن يتمِّم أمورًا أقل تعقيدًا في حياتنا؟ أمورًا مثل شفاء أمراضنا، سد احتياجاتنا. ألا يستطيع أن يَهبنا الحكمة، ويجعلنا نعيش مميَّزين وننتصر على المستحيلات. دعونا لا نكرِّر حماقة الشعب في القديم "وننسى أعماله". دعونا نستمر متسربلين بسلاح التواضع مثل كالب ويشوع.

الفهم الخاطئ للتواضع

من المُحزِن أن البعض يظنون أن التواضع هو أن تكون ضعيفًا. في واقع الأمر، إنه العكس تمامًا. في كثير من الأحيان، نجد أن المتواضعين في الكتاب المقدس يُساء فهمهم على أنهم متكبرون أو مغرورون. تعالوا بنا نأخذ داود كمثالٍ لذلك؛ لقد طلب منه أبوه أن يذهب ليتفقَّد إخوته الأكبر، الذين كانوا في حرب مع جيش الفلسطينيين. عندما وصل إلى مكان المعركة، لاحظ أن كل الجنود ـ بمن فيهم إخوته ـ في وضع عسكري غريب: يختبئون وراء الصخور ويرتعبون من الخوف. كان يتملَّكهم الفزع من حجم وقوة وسمعة العملاق الفلسطيني، جليات. علم داود أنه مر على هذا الوضع أربعون يوم وسأل بصوتٍ خافتٍ: **"مَنْ هو هذا الفِلِسطينيُّ الأغلَفُ حتَّى يُعَيِّرَ صُفوفَ اللهِ الحَيِّ؟" (١ صم ١٧: ٢٦).**

عندما سمع أليآب، الأخ الأكبر، ما تكلم به داود مع الرجال، امتلأ غيظًا. هل تستطيع أن تتخيَّل ما الذي فكر فيه أليآب؟ "إن أخي الأصغر ليس طفلًا مزعجًا فحسب، لكنه مغرور". ثم يتحول إلى داود ويقول له: **"أنا عَلِمتُ كِبرياءَكَ وشَرَّ قلبِكَ" (١ صم ١٧: ٢٨).** يا له من انتهارٍ مباشر! أتت كلمات أليآب في ترجمة(Today's English Version) "أنت شخص صفيق" وفي ترجمة(New International Version) "أنا أعرف مدى غرورك". لقد رأى أخوة داود فيه شخصًا متكبِّرًا، وقحًا بل ومغرورًا.

لكن انتظر، مَنْ مِنَ الإخوة هو المغرور والمتكبِّر؟ في الأصحاح السابق جاء صموئيل النبي إلى بيت يسَّى لكي يمسح الملكَ الذي سيأتي بعد شاول. إلا أن أليآب الابن البكر لم يتم اختياره. ظن صموئيل ويسَّى أن أليآب سيكون هو الملك المختار لأنه الأكبر وغالبًا كان أطول وأقوى أبناء يسى. لكن الله قال بصراحةٍ: **"لأنِّي قد رَفَضتُهُ" (١صم ١٦: ٧).**

لماذا رفض اللهُ أليآبَ؟ هل كان اتهام أليآب المتكبر لداود تعبيرًا عمَّا في قلبه؟ لقد مدح اللهُ اتضاعَ داود بأن شهد بأن داود كان رجلًا حسب قلبه (أع ١٣: ٢٢). كان التواضع يميِّز حياةَ داود، وكلنا يعلم أن هذا القائد العظيم لم يكن ضعيفًا أو متراخيًا. هو الشخص الذي كتب وقال: **"الرَّبُّ لي فلا أخافُ. ماذا يَصنَعُ بي الإنسانُ؟" (مز ١١٨: ٦).**

دعونا نرجع مرةً أخرى إلى ساحة القتال، طرح داودُ كلمات أخيه أليآب وراء ظهره، وتحدَّى هذا العملاق بكل ثقةٍ، وقال: "اليوم يوقعك اللّهُ في يدي، فأقتلك وأقطع رأسك". ذهب داود إلى معسكر الأعداء، وقتل جليات بحجرٍ واحدٍ من مقلاعه، وفعل تمامًا ما سبق وقال، وقطع رأس جليات.

لقد أسس الأخُ الأكبرُ لداود وبقية أخوته حساباتهم للحرب على حساب قوتهم، كما فعل تمامًا الجواسيس العشرة. إلا أن داود من الجانب الآخر، اقتحم ساحة القتال معتمدًا على قوة الله وعلى ذراعه القديرة. لقد تسربل بالتواضع. لقد قدَّم له شاول الملك سلاحه ودروعه، إلا أن داود رفضها، واعتمد على سلاح الله. لكن مرةً أخرى، اعتبر هؤلاء الذين يثقون في قدراتهم الذاتية أن داود شخص متكبر ومغرور تمامًا كما رأوا من قبل كالب ويشوع.

أعتقد أن العدو يعمل بكل جهده ليُفسِد فهمَنا لمعنى التواضع الحقيقي. كثيرون من المؤمنين المتعمِّقين انساقوا وراء فكر العالم غير المؤمن عن التواضع. هذا الفكر يعتبر أن التواضع هو الكلام الهادئ، التصرف بضعف وعدم المواجهة. إلا أن هذه المعاني بعيدة تمامًا عن المعنى الحقيقي للكلمة. تعالوا بنا نتأمل في مثلين كتابيين آخرين، هما موسى والرب يسوع.
في سفر العدد نقرأ:
"وأمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أكثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الذينَ علَى وجهِ الأرضِ" (عد ١٢: ٣).

يا لها من عبارةٍ رائعة! ألا نود أن يُقال عنا مثل هذا الكلام؟ بالطبع، نحن لا نجرؤ أن نقول هذا عن أنفسنا؛ لأن الشخص المتكبر، المغرور سوف يخبر الجميعَ عن مقدار تواضعه؟ لكن من هو كاتب سفر العدد – موسى! هذا الشخص العجيب يصف نفسه بأنه أكثر إنسان متواضع على وجه الأرض.

كيف يكون هذا؟ هل تستطيع أن تتخيَّل أن خادمًا يقف أمام مجموعةٍ من المؤمنين في مؤتمرٍ روحي ويقول: "أيها الأخوة، أنا متواضع جدًّا، لذلك سوف أحدِّثكم عن هذا الأمر" ربما يضحك عليه الكل وهو يقف على المنبر.

لكن تعالوا بنا لنستمع إلى ما قاله الرب يسوع: **"تعالَوْا إِلَيَّ ياجميعَ المُتعَبينَ والثَّقيلي الأحمالِ، وأنا أُريحُكُمْ. اِحمِلوا نيري علَيكُمْ وتعَلَّموا مِنِّي، لأنِّي وديعٌ ومُتَواضِعُ القَلبِ، فتجِدوا راحَةً لنُفوسِكُمْ" (مت ١١: ٢٨- ٢٩).**

كأن الرب يسوع يقول: "تعالوا إليَّ. أنا متواضع وأريد أن أعلمكم دروسًا عن التواضع". فمثل العبارة التي كتبها موسى، نجد أن هذه العبارة التي قالها الربُّ يسوع، وفيها يعلن عن تواضعه، لا نجد ترحيبًا في عالمنا في هذه الأيام. إلا أن المشكلة لا تكمن فيما قاله موسى أو الرب يسوع. المشكلة هو أننا انحرفنا عن فهمنا وإدراكنا لمعنى التواضع. لقد أخطأنا الفهمَ الحقيقيَّ للتواضع؛ لأننا نعتقد أن معناه هو أن نحيا حياةً تدعو إلى الرثاء، ونتكلم عن عدم مقدرتنا وعجزنا وحقارتنا. إلا أن التواضع كما رسمه الله، أمر إيجابي، يظهر في قوة الشخصية. إن التواضع الحقيقي هو الطاعة الكاملة والاعتماد الكلي على الله؛ ففي التواضع نحن نضع اللهَ أولًا والآخرين ثانيًا ونحن أخيرًا. التواضع لا يتعلق إطلاقًا بأن يكون لسانك ناعمًا أو أن نحيا ذليلًا، لكن معناه أن نحيا بجسارةٍ ومثابرةٍ، معتمدًا على قوة نعمة الله المجانية.

التواضع يحفظنا في روح المثابرة

تذكَّر كيف أن هؤلاء الذين يجاهدون بمثابرةٍ ويكملون السعي بنجاح سوف ينالون الجعالة؟ لقد حذَّر الرسولُ بولسُ من أن نجعل التواضعَ الكاذب ـ الذي يأخذ مظهر الحكمة ـ الأمر الذي قد يخدعك ويجعلك تخسر الجعالة **"لا يُخَسِّرْكُمْ أَحَدٌ الجِعالَةَ، راغِبًا في التَّواضُعِ (الكاذب)" (كو ٢: ١٨).** إن الجواسيس العشرة والأمة اليهودية الخائفة تُجسِّد لنا كيف أن التواضع الكاذب من الممكن أن يجعلنا نخسر الجعالة التي يريد أن يعطيها الله لنا.

لقد نصح الجواسيسُ العشرة الشعبَ بعدم الدخول إلى أرض الموعد. كانت أفكارهم تبدو صحيحةً ومنطقيةً بل وحكيمةً، إلا أنها كانت مستمدَّة من شجرة معرفة الخير والشر، لا من وعود الله وحكمته. إنهم لم يخدعوا أنفسهم فقط بل خدعوا عائلاتهم والملايين من البشر، وبالتالي، لم يدخلوا أرضَ الموعد. هذا الجمع من الناس فقد نصيبَه في امتلاك الأرض نتيجة التواضع الكاذب. إلا أن كالب ويشوع، هذين الجاسوسين اللذين قدما تقريرهما بروح الاتضاع، كانا هما الوحيدين البالغين من هذا

الجيل الذي سمح اللّهُ لهما بدخول أرض الموعد. واستطاع الجيلُ الجديدُ تحت قيادة يشوع أن يدخل بإقدامٍ وبتواضعٍ معتمدًا على يد الله القديرة القوية، وانتصر.

ذات يوم، سألني أحد الرجال: "جون، هل تفضِّل أن تعظ أمام ملايين من البشر الذين لهم توجُّهات مختلفة أم أمام مجموعةٍ صغيرةٍ من القادة؟"
قلت: "أمام الملايين"
فقال لي: "اختيارك غير حكيم؛ لأن القادة العشرة الذين تجسَّسوا الأرض كانوا هم السبب في فقد الملايين امتياز دخول أرض الموعد".

لقد دُعِينا لنكون قادةً مؤثرين. إذًا كيف تقود؟ هل أنت متسلِّح بالتواضع فتضع نفسك تحت يد الله القوية، أم أن لك مظهر التواضع وتعمل من خلال قوتك الذاتية؟
يكتب الرسول بولس: **"ولكننا، في جميع هذه الأمور، نحرز ما يفوق الانتصار على يد من أحبنا"** (رو ٨: ٣٧ ترجمة كتاب الحياة)، إلا أن أفكارنا، خططنا، اتجاهاتنا التي تحيد عن كلمة الله تبدو أحيانًا أن **"لها مظاهر الحكمة لما فيها من إفراط في العبادة المُصطَنَعة، وإذلال للذات، وقهر للجسد؛ أمور لا قيمة لها، وما هي إلا لإرضاء الميول البشرية"** (كو ٢: ٢٣ ترجمة كتاب الحياة).

لقد كان مقدَّرًا لكل شخص في جيل كالب ويشوع، أن يختبر النصرة. كان يجب على أليآب وإخوته أن ينتصروا على الفلسطيني قبل أن يظهر داود في المشهد. إلا أن التواضع الكاذب سلبهم قوتهم وقدرتهم على التمسك بالوعود، وامتلاك الأرض، وفي النهاية، حرمهم من المكافأة الأبدية. لأجل هذا السبب، يحثُّنا الرسول بولس ويقول: **"كونوا متوافقين بعضكم مع بعض، غير مهتمين بالأمور العالية، بل مسايرين ذوي المراكز الوضيعة. لا تكونوا حكماء في نظر أنفسكم"** (رو ١٢: ١٦ ترجمة كتاب الحياة).

إن الذهن المتَّضع لا يكون حكيمًا في نظر نفسه. أتذكر مقالًا كنت قد قرأته في إحدى المجلات العالمية عن الأمور المتناقضة. اتصل المحرِّر بمكتبنا طالبًا تعليقي ورأيي، وحوَّلت مُساعِدَتي الطلبَ لي، فقلت لها: "دعيني أفكر في الأمر".

في اليوم التالي، شعرت بضيقٍ في روحي، لكني لم أستطِع أن أضع إصبعي على سبب هذا الضيق. بدأت أسأل نفسي: "ما الذي حدث؟" لكني لم أستطِع أن أصل إلى ما يضايقني. أخيرًا وضعت الأمرَ أمام الله في الصلاة، وبعد يومين، بدأ الأمر يلح عليَّ. قلت لليزا زوجتي: "لقد أدركت ما الذي كان يضايقني بخصوص طلب المجلة. إنه أمر بسيط: من أنا حتى أعطي رأيي؟ هل السفراء يقدمون آراءهم الشخصية؟"

يقول الكتاب: **"إِذًا نَسعَى كسُفَراءَ عن المَسيحِ، كأنَّ اللّٰهَ يَعِظُ بنا. نَطلُبُ عن المَسيحِ: تصالَحوا مع اللّٰهِ"** (**٢ كو ٥: ٢٠**). إن أرسل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سفيرًا محمَّلًا برسالةٍ إلى دولةٍ ما، ثم قدم السفيرُ رسالةً خاصةً منه أو تعليقات لم يكلفه بها الرئيس، فإنه يجلب على نفسه مشاكل لا حصر لها. عندما أتحدث بالنيابة عن الله الآب والرب يسوع، عليَّ أن أتحدث بكلامه. من أنا حتى أقدِّم رأيي الشخصي؟ لقد تصرف الجواسيس العشرة بحماقة. كخادمٍ للإنجيل، أرى أنه إن كنت أعطيت رأيي لهذه المجلة التي أتت إليَّ، ربما كنت أهنت وكالة النعمة التي ائتمني اللّٰهُ عليها.

ذكَّرتني هذه الحادثةُ بما قاله اللّٰهُ لي في الصلاة منذ عدة سنوات. كانت السنوات الأربع الأولى من خدمتي سنوات صعبة ـ تشبه الصحراء. كنت أقود أنا وليزا زوجتي السيارة الهوندا في كل مناطق النصف الشرقي من الولايات المتحدة الأمريكية، ونضع أطفالنا في السيارة، ونكدِّس أمتعتنا في كل فراغٍ متاح في السيارة. كنا نصلي بشدة لتنفتح لنا أبوابٌ للخدمة. أغلب الاجتماعات التي كنت أذهب إليها كان عدد أعضائها مائة شخص أو أكثر قليلًا، ويبدو أنها لم تنمُ وكان تأثيرها ضئيلًا على المجتمع من حولها.

بعد أربع سنوات من هذه الخدمة المضنية، تكلم إليَّ اللّٰهُ في الصلاة في صباح يومٍ ما وقال لي: "جون، في السنوات الماضية، أرسلتك إلى كنائس ومؤتمرات كان التأثير فيها قليلًا، وقد أطعت بأمانة. سوف أستمر في الاهتمام بالذين قد خدمتهم، لكن الآن سأُحدِث تغييرًا جذريًّا في خدمتك. سأوسِّع دائرةَ خدمتك أكثر ممَّا تتصور، ستتضاعف خدمتك وستُدعَى لكنائس ومؤتمرات من خلالها سيمتد تأثيرك ليشمل بلادًا بل وأممًا. سأباركك ماديًّا واجتماعيًّا وروحيًّا بطريقةٍ مدهشةٍ. لقد وسَّعت من وكالتك، وأتى الوقت لتذهب برسالتك إلى جموعٍ كثيرةٍ.

(اسمح لي بهذه المداخلة بخصوص الأعداد: هناك كنائس كبيرة لا تؤثر في المجتمع. وعلى النقيض من ذلك، هناك كنائس صغيرة لها تأثير قوي. إن الأمر المهم بالنسبة للكنائس ليس في حجمها بل في نوعية تأثيرها الذي يمتد خارج جدرانها).

أُصِبت بالدهشة والإثارة ممَّا سمعته بوضوحٍ من الله. أخبرت ليزا فيما بعد بما حدث وغمرها السرور. لكن بعد لحظات، بدأ الرب يهمس في أذني: "هذا سيكون اختبارًا. عندما كنت تذهب إلى الأماكن الصغيرة التي ليس لها تأثير يُذكر، كان عليك أن تؤمن أني سأوفي كل احتياجاتك، وتثق في كلمتي. كنت تطلب دائمًا إرشادي لأنك كنت تدرك أنه إن لم تَسِر وفق إرادتي في الخدمة، سوف تعاني.

هل ستنفق المالَ الآن ببذخ لأني سوف أباركك ماديًّا؟ هل ستستمر في طلب إرشادي كما كنت تفعل في الأيام الصعبة؟ هل ستذهب الآن إلى أي مكان تريده بدلًا من أن تطلب إرشادي؟ هل ستقدِّم آراءك من على المنبر بدلًا من أن تثق فيَّ وتعظ بكلمتي المُوحَى بها؟ يا ابني، أنا أختبر أولادي في دائرتين: في الصحراء الجرداء وفي أماكن الوفرة. كثيرون ممَّن فشلوا ـ قد فشلوا في أماكن الراحة لا في الصحراء الجرداء".

إن خوف الله هو أساس الحياة الصحيحة، الحكيمة، القوية و الآمنة

بعد أن خرجت من فرصة الصلاة، كنت أرتعد. شاركت زوجتي ليزا بما سمعته من الله. قالت لي: "جون، عندما سمعت الجزء الأول من رسالة الله لك، كدت أرقص من الفرح. الآن عندما استمعت إلى بقية الرسالة أنا أرتعد خوفًا!"

أجبتها: "هذا حسن، إنه رد فعل سليم: إنه خوف الله".

يفهم كثيرون من الناس أن خوف الله يعني الرعب من الله، لكن المعنى الصحيح هو أنك ترتعب بل وترتعد – عندما تكون بعيدًا عنه! إن خوف الله هو أساس الحياة القوية الحكيمة، الآمنة. عندما يتعلق الأمر بالغنى المادي، فهو خيرٌ إن كنت تتعامل معه بطريقةٍ صحيحةٍ، إلا أنه من الممكن أن يرتبط الغنى بنوعٍ من الغش والخداع. لقد حذَّر الربُّ يسوعُ من "خداع الغنى" (مت ١٣: ٢٢ ترجمة كتاب الحياة)، لكن هذا الخداع لن يغشَّنا أو يؤذينا إن كنا نحيا وفقًا لمشورات وحكمة وكلمة الله – خوف الله.

لكي أعطي رأيي الخاص كسفيرٍ للمسيح، فهذا معناه أني لا أملك خوف الله، إنه ليس إلا نوعًا من الكبرياء. لهذا السبب، يقول الرسول بولس: **"بل مسايرين ذوي المراكز الوضيعة. لا تكونوا حكماء في نظر أنفسكم"** (رو ١٢: ١٦ ترجمة كتاب الحياة). لم يتَّفق كالب ويشوع مع آراء زملائهم، فلقد سبق وأعلن اللهُ عن إرادته. كان لديهم خوف الله وبالتالي أنهوا السعي بنجاح. يقول سفر الأمثال: **"كما أَنَّهُ (أي الله) يَستَهزِئُ بالمُستَهزِئينَ، هكذا يُعطي نِعمَةً للمُتَواضِعينَ"** (أم ٣: ٣٤).

لا يوجد شخصٌ عاقل يريد أن يستهزئ به الله، إلا أن هذا ما يحدث للشخص المكتفي بنفسه. إن رب المجد لا يحتمل الكبرياء بل ويكرهها. لقد كان لوسيفر بجواره، كان أقرب ملاك لله، لكنه لم يكن لديه خوف الله وبالطبع لم يُنهِ المشوار حسنًا. لقد قال الكتاب: **"خَوْفُ الرَّبِّ نَقيٌّ ثابِتٌ إِلَى الأَبدِ"** (مز ١٩: ٩).

إن خوف الله هو بمثابة القوة التي تعطينا القدرة على المثابرة وأن ننهي السعي بنجاح. كان آدم وحواء يسيران في حضرة الله متمتعين بمجده، لكن لم يخافا الله الخوف الذي يجعلهما يرتعبا من الابتعاد عنه. كانت النتيجة هي أنهما لم يستمرا في جنة عدن إلى الأبد.

إن خوف الله، الإيمان والتواضع هم عبارة عن خيط مثلوث لا يمكن أن يُقطع بسهولة (انظر جا ٤: ١٢). إن كنت تخاف الله، سوف تؤمن به وأنت تواجه المستحيلات. إن كنت تخافه، سوف تكون متواضعًا لا حكيمًا في عيني نفسك. إن الكبرياء، عدم الإيمان، التمرد عبارة عن خيط الظلمة المثلوث الذي لا يمكن أن ينقطع بسهولةٍ. أرني شخصًا يتجاهل ما يقوله الله في كلمته ولا يعيره اهتمامًا، ويتمسك بآرائه، وسوف أريك شخصًا لا يمكن أن يحتمل ويثابر. إن الأمل الوحيد الذي أمامه هو أن يتوب ويتَّضع.

سلاحُ الحماية من الخلف

الكبرياء أمر خادع جدًّا. أعتقد أنه من أكبر أسلحة العدو المؤثرة التي تعيق إنهاء السباق بنجاح. إن الشخص المتكبِّر لا يستطيع أن يرى العدوَّ وهو يتقدم؛ لأن العدو يضربه من الخلف. كم مرة سمعت أنا وأنت من الذين فقدوا كل شيء هذه العبارة: "لم أَرَ الخطرَ قادمًا!"

هناك سبب لهذا. إذا نظرنا إلى سلاح الله في الكتاب المقدس، نجد أنه موضوعٌ لحمايتنا عندما نكون في مواجهة العدو وجهًا لوجه. فهناك منطقة الحق، ودرع البر، وحذاء إنجيل السلام، وترس الإيمان، وخوذة الخلاص، وسيف الروح الذي هو كلمة الله... عندما تتأمل في هذه القطع ستجد أنها كلها لحماية الشخص عند المواجهة من الأمام. إذًا ما الذي يحمي الظهر؟ يقدم لنا النبيُّ إشعياء الردَّ على هذا السؤال قائلًا: **"ومَجدُ الرَّبِّ يَجمَعُ ساقتَكَ" (إش ٥٨: ٨).**

تأتي هذه العبارة في (ترجمة كتاب الحياة) هكذا: **"ويحرس مجد الرب مؤخرة ساقتك".** لكن علينا أن ندرك أن الله لا يسمح أن يشاركه آخر في مجده (راجع إش ٤٢: ٨). عندما نعطي لأفكارنا الأولوية على أفكاره، فإننا نعمل من خلال كبريائنا، وبالتالي، نفقد حماية مجده من الخلف – ويصبح هذا الجزء مكشوفًا للعدو!

عندما أتأمل كيف أن ما وصل إلينا من معرفة عن التواضع الحقيقي والكبرياء هو عبارة عن أمور مشوَّهة، أرتجف. قال الله: **"قد هَلكَ شَعبي مِنْ عَدَمِ المعرِفَةِ" (هو ٤: ٦).**

ما أكثر من هلكوا من بيننا أو سوف يهلكون بسبب الجهل؟! إن كان الجواسيس العشرة ـ بل وكل الشعب ـ قد أساءوا فهمَ تواضع كالب ويشوع، واعتبروه كبرياءً، وإن كان أليآب أساء فهمَ تواضع داود وظنَّه كبرياءً، تُرى ما هو الوضع في أيامنا هذه؟

نستطيع أن نشبِّه هذا بشخصٍ ذهب في رحلةٍ طويلةٍ، ولا يعلم أنه في بعض المناطق هناك حيوانات مفترسة. إن خرج من سيارته وتجوَّل في هذه المناطق بلا شك سينتهي به الأمر أن يكون إِرَبًا إِرَبًا.

ذات يوم، زُرتُ أنا وليزا منطقة سفاري في أفريقيا. كان مكانًا رائعًا، وكان لكل زوج عشة خاصة به مجهَّزة لتضاهي فندق خمس نجوم. في كل ليلة، كان هناك جندي يحمل السلاح ويحرسنا من مكان إقامتنا إلى مكان تناول العشاء في الهواء الطلق. في الليلة الأولى حذَّرنا الحارسُ قائلًا: "في كل الأحوال، لا تخرجوا من مكان إقامتكم في الليل؛ لأنه من السهل أن يهجم عليكم أي حيوان. هناك حيوانات كثيرة جائعة تبحث عن فريسةٍ في الليل، ولا توجد أسوار تمنعهم من أن يأتوا إلى هنا". ما الذي كان

من الممكن أن يحدث لو لم أكن أعرف هذا الأمر وذهبت إلى مكان تناول الطعام في منتصف الليل. كنت سأُقتل نتيجة عدم المعرفة. أستطيع ـ في ضوء ما شرحته في هذا الأصحاح ـ أن أضع كلمات هوشع على النحو التالي: "هلك شعبي لعدم معرفتهم الفرق بين التواضع الحقيقي والكبرياء".

أنا سعيد لأنك قضيت الوقت لتتعلم معنى أن تتسلح بالتواضع. لكن لا تتوقف أمام هذه الدراسة فقط. ابحث في الكلمة واسأل الروح القدس لكي ينير بصيرتك. لا تكن أعمى وتتصرف بجهالةٍ نتيجة عدم المعرفة. إن خطة الله لك هي أن تُنهِي حياتك نهايةً جيدةً. لذلك استمع لوعد الله: **"أما الودعاء فيتجدد فرحهم بالرب" (إش ٢٩: ١٩ ترجمة كتاب الحياة).**

يا له من وعدٍ عظيم! كلنا يحب الفرح. لكن لماذا نجده هنا وعدًا مركزيًّا؟ **"لأنَّ فرَحَ الرَّبِّ هو قوَّتُكُمْ" (نح ٨: ١٠)**. القوة لننهي فصلَ الحياة بنجاح. لا يمكن أن نركض بمثابرةٍ ونُنهِي السباقَ بنجاحٍ دون هذه القوة. يَعِدُنا اللهُ بأننا سوف نزداد في الفرح والقوة، إن كنا نستمر في ارتداء ثوب التواضع. لقد وعدنا أيضًا قائلًا:

"لأنه هكذا يقول العلي السامي،
المقيم في الأبد، الذي يدعى اسمه القدوس:
«إنني أسكن في العلى وفي الموضع المقدس،
وأقيم مع المنسحق، وذوي الروح المتواضعة،
لأحيي أرواح المتواضعين، وأنعش قلوب المنسحقين»".
(إش ٥٧: ١٥ ترجمة كتاب الحياة).

عندما يسكن الله داخلنا، بلا شك نستطيع أن نجري في السباق بمثابرةٍ وصبر. إننا لا نتطلع إلى مجرد زيارةٍ من الله إلينا، لكن ينبغي أن تكون رغبتنا هو أن يسكن الله داخلنا. إن هذا الأمر هو الذي سيدعم قوتنا للمثابرة.
أيها الأعزاء **"تسَربَلوا بالتَّواضُعِ، لأنَّ:**
"اللّهَ يُقاوِمُ المُستَكبِرينَ، وأمّا المُتَواضِعونَ فيُعطيهِمْ نِعمَةً".
فتَواضَعوا تحتَ يَدِ اللّهِ القَويَّةِ لكَيْ يَرفَعَكُمْ في حينِهِ".

١١

اطــرح الأثقــال

وكونوا جميعًا خاضِعينَ بَعضُكُمْ لبَعضٍ، وتسَربَلوا بالتَّواضُعِ، لأنَّ: "اللّهَ يُقاوِمُ المُستَكبِرينَ، وأمّا المُتَواضِعونَ فيُعطيهِمْ نِعمَةً". فتَواضَعوا تحتَ يَدِ اللّهِ القَويَّةِ لكَيْ يَرفَعَكُمْ في حينِهِ، مُلقينَ كُلَّ هَمِّكُمْ علَيهِ، لأنَّهُ هو يَعتَني بكُمْ" (١بط ٥: ٥-٧).

الأمر الأساسي في تسربلنا بالتواضع هو أن نخضع لله كما فعل كالب ويشوع. إذا فعلنا هذا، نستطيع أن نقهر كلَّ مقاومةٍ تقف بين مركزنا الحالي وإتمامنا للإرسالية الإلهية. في التواضع، نؤسِّس حساباتنا على قوة الله وعلى يده القديرة. في التواضع، نثق في ما يقوله الله حتى لو كان مخالفًا للمنطق البشري. في التواضع، نسير بالإيمان، ولا تتحكَّم فينا أحاسيسنا أو معرفتنا البشرية.

لكي نستطيع أن نعيش على هذه الطريقة، علينا أن نلقي كلَّ همومنا عليه. لا نلقي بعضَ الهموم بل كل الهموم. إن هذا هو ما فعله كالب ويشوع عندما كانوا يفكرون في زوجاتهم وأولادهم. كآباء وأزواج، كانوا يهتمون بعائلاتهم اهتمامًا شديدًا، لكن بالنسبة لهم، كانت لكلمة الله الأولوية التي فاقت المنطق والخوف. لقد أدركوا أنه عندما يكون الله أولًا، سيقدم اللّهُ الحمايةَ لأسرهم، كما أنه سوف يعتني بهم. لقد كان كالب ويشوع متَّضعَين بحق أمام الله، ونتيجةً لهذا، كان كل ما يتعلق بعائلاتهم موضوعًا بين يدي أعظم وأقوى شخص في الكون.

مُلقِين كلَّ همكم عليه

إن إلقاء همومنا على الله يعطينا القدرةَ على أن نظل مثابرين في إرساليتنا. لا نستطيع أن نحمل أحمالًا ثقيلة ونستمر في السباق. يوصينا الكتاب قائلًا: **"لذلكَ نَحنُ أيضًا إذ لنا سحابَةٌ مِنَ الشُّهودِ مِقدارُ هذِهِ مُحيطَةٌ بنا، لنَطرَحْ كُلَّ ثِقلٍ، والخَطيَّةَ المُحيطَةَ بنا بسُهولَةٍ، ولنُحاضِرْ بالصَّبرِ في الجِهادِ المَوْضوعِ أمامَنا" (عب ١٢: ١).**

إن الأثقال تبطئ من مسيرتنا، وقد تحرمنا من أن ننهي السعيَ بنجاحٍ. هل تتخيَّل أنك تستطيع أن تجري في سباقٍ وتضع على كلِّ ساق من ساقيك كتلةً من الحديد تزن كل واحدةٍ عشرين كيلوجرام؟ سيكون من المستحيل أن تجري، لا أن تنهي السباق!

يعتبر الهم والقلق من الأحمال الثقيلة التي تمنع تقدمنا. إن هذين الأمرين هما اللذان جعلا الجواسيس العشرة لا ينهوا العمل بنجاح. كان قلقهم العميق من احتمال وجود خطر على زوجاتهم وأطفالهم هو الذي حرمهم من التقدم للأمام في اتجاه وعد الله لتحقيق إرادته.

من المهم أن نوضح أن عائلاتنا في حد ذاتها ليست هي الأثقال، لكن القلق على عائلاتنا قد يتحوَّل إلى ثقل. إن كنا نشك في قدرة الله أو إرادته لكي يحمي ويسند، فإننا نطعن في قدرته بل وفي استقامته. من المهم أن نتذكر أن كالب ويشوع أثبتا خطأ رفقائهما، عندما ذهبا إلى الحرب بعد أربعين سنة مع نفس هؤلاء الكنعانيين، لم يُؤذَ أيٌّ من زوجات وأطفال شعب الله بأية طريقةٍ. بل في واقع الأمر، لقد جلبت الحربُ البركات على الزوجات والأطفال؛ لأنهم ورثوا تلك الأرضَ المثمرة.

"كلٌّ منا عليه أن يختار بين أمنه وما عيَّنه له الله."

فكِّر بعمق في النتائج المختلفة. فالجواسيس العشرة الذين كانوا يريدون حماية عائلاتهم، بدلًا من أن يثقوا في وصية الله، تسببوا في أن ترث عائلاتُهم الصحراءَ. بالتأكيد، كانت النتيجة غير مرضية، ممتلئة بأربعين سنة من الصعوبات. لكن القائدين اللذين أطاعا كلمة الله ووثقا في أمانته، تسببا في أن ترث عائلاتُهم أرض الموعد، الأرضَ التي تفيض لبنًا وعسلًا. كان هذا هو نصيبهم.

في أوقاتٍ كثيرةٍ من حياتنا، نجد أنفسنا أمام أن نختار إما الأمان أو نصيب قسمتنا المعيَّن لنا من الله. هل نختار الطريق الذي يؤدي إلى القيمة والمعنى أم نحاول أن نضمن راحتنا أو سعادتنا؟ إن اخترت ما يحفظ أمانك، ستكون النهاية ليست ما هو معيَّن لك من الله. قد تنجح في أن تحتفظ لنفسك بقدرٍ من الأمان، لكن في النهاية ستكتشف، أمام كرسي المسيح، أنك ضحيت بغنى الحياة، من أجل أن تستمر لفترةٍ مؤقتة في دائرة راحتك.

إنها حقيقة أكدتها كلمة الله، إن كنت ستستمر في الرحلة التي رسمها لك الله، فعليك أن تلقي بأثقال همومك واهتماماتك عليه. إن طريقه هو طريق مغامرات الإيمان، ومكافأته أعظم من أي إحساس بالأمان والراحة. انزع عنك الأثقال التي تعيقك من التقدم بأن تلقي كلَّ همومك عليه.

تحدِّياتنا الشخصية

اسمح لي بأن أشاركك ببعض الأثقال التي كان عليَّ أن أطرحها في سباقي الشخصي. في مراحل حياتي، أدركت أهمية الأب والزوج في تسديد احتياجات الأسرة. كان والدي مثالًا رائعًا؛ فقد تعلمت من خلال قدوته أن المال الذي لا نصرفه نربحه. ترسخ داخلي منذ الطفولة دورُ الأب والزوج الذي يمنح الإحساسَ بالأمان لأفراد أسرته. كنت أود أن أكون طيَّارًا، إلا أن أبي لم يشجِّعني؛ لأنه في هذه الأيام كانت مهنة الطيَّارين لا تُعتَبَر آمنةً. وجَّهني أبي إلى أن أختار مستقبلًا لحياتي أكثر استقرارًا. درست الهندسة، وفي عام ١٩٨١م، عملت بإحدى الشركات كمهندسٍ مبتدئ؛ كنت أتقاضى راتبًا ممتازًا. إنه إحساس رائع عندما تستطيع أن تلبِّي احتياجات بيتك وزوجتك. كنت أتبع ذات المثال الذي كنت أراه في بيت أبي. إلا أنه كان لديَّ صراع داخلي؛ فقد شعرت بدعوةٍ ملحَّةٍ لأدخل مجال الخدمة. كان هذا الإحساس بداخلي لعدة سنوات، لكني وجدت أنه من المستحيل أن أفي بحاجة زوجتي وطفلنا بما ستقدمه لي الإرسالية، لذلك فكرت أنا وليزا في خطةٍ.

عرفت من أحد الموظفين أن الشركة تعطي رواتب أفضل بكثير لهؤلاء الذين يعملون خارج البلاد، خاصةً في منطقة الشرق الأوسط. لذلك، ذهبت إلى رئيس شؤون الموظفين، وطلبتُ منه أن أنتقل لأعمل في المملكة العربية السعودية. كنت أفكر أنا

وليزا أنه من الممكن أن نتحمَّل العمل هناك لعدة سنوات، لنوفر مالًا أكثر، ثم نعود إلى أمريكا، ونشتري منزلًا متوسطًا، ثم نتفرغ للخدمة.

واجهتنا مشكلة، وهي أن خططنا كانت مؤسسةً على قدراتنا الذاتية.

ذات ليلة، جلس معي خادمٌ شاب كان يعرفني أنا وليزا معرفةً جيدةً، وبدأ يوبِّخني لمدة ساعتين. قال لي: "جون إن دعوة الله لحياتك، وأنت لم تفعل أيَّ أمر إزاءها. إن كنت ستسير في نفس الطريق الذي تسير فيه الآن، سينتهي بك الأمرُ وأن تصبح مهندسًا عجوزًا وتكون قد ابتعدت عن خطة الله لحياتك".

أُصِبت بصدمةٍ من كلماته، لكني كنت أدرك مدى صدقها. رجعت للبيت في هذا اليوم وقلت لليزا: "سأضع نفسي تحت أمر الكنيسة لأقوم بأي عمل. سأذهب إلى أول باب يُفتَح لي للخدمة. هل ستذهبين معي؟"

قالت: "أنا معك".

صليت بحرارة لشهور حتى يفتح اللهُ لي بابًا للخدمة. في نفس الوقت، بذلت كلَّ جهدي في الخدمة في كنيستي كمتطوِّع. اشتركت في فريق الترحيب بالكنيسة، وفي خدمة السجون، وتدريب أبناء الراعي على لعبة التنس (لمدة ثلاث سنوات كنت لاعبًا للتنس في أحد النوادي عندما كنت طالبًا بالجامعة).

بعد عدة أشهر، في عام ١٩٨٣م، انفتح أمامي الباب لأخدم كخادمٍ متفرغٍ، تركت عملي وبدأت أخدم كخادمٍ متفرغٍ في كنيستي. كان راتبي في الكنيسة أقل بكثير من راتبي في العمل حتى أن كلًّا من أبي ورئيسي في العمل ظنَّا أنني أتصرف بلا وعي. بدأ بعضُ أصدقائي يتشكَّكون في هذا القرار، حتى أنني شخصيًّا كنت في صراع داخلي عن كيف أستطيع أن أوفي احتياجاتي. لم يكن بإمكاني أن أطبِّق أيَّ منطقٍ حسابي، فالدخل الشهري أقل بكثير من مصاريف البيت الشهرية.

لكني كنت متأكدًا أن خطة الله هي أن يضعني في هذا العمل. لذلك، ألقينا أنا وليزا كلَّ همومنا على الرب. أشهد بأننا لم نَحتَج إلى وجبة طعامٍ، فقد كان لدينا ما يكفي لتسديد احتياجاتنا دون أن نتكلم لأي شخص، كنا نرى كل يوم يدَ الله المعجزية

تسدِّد كلَّ احتياجاتنا. كنت أنا وليزا نضع حاجاتنا الضرورية أمام الله، وكنا نستخدم كلمةَ الله لنقاوم إحباطَ العدو، وكنا نرى معجزات تسديد احتياجاتنا الواحدة تلو الأخرى.

أتذكر أنه في يوم من الأيام واجهنا هذا الاختبار، هل ندفع عشورنا أم نشتري بعض الأطعمة. لم يطل التفكير داخلنا لأنه سبق وقررنا أن يكون الله أولًا في كل شيء. لذلك، وضعنا ١٠٪ من دخلنا في صندوق العطاء، ولم يتبقَّ معنا أية نقود لنشترى طعامًا، كانت الـ ٩٠٪ الباقية ستذهب لدفع أقساط البيت والسيارة.

في وقتٍ ما، كنا نستخدم سيارةً واحدةً؛ لأن الثانية كانت تحتاج إلى إصلاح. لم يكن لديَّ وقت لأذهب بها إلى ورشة الإصلاح لأني كنت مشغولًا جدًّا بالخدمة في الكنيسة. كذلك، كنت أقود سيارة الكنيسة، لذلك لم أشعر بحاجةٍ إلى السيارة. بعد عدة أيام، تعطلت السيارة التي كنا نستخدمها؛ فتمزَّق إطارُها الخلفي، وزاد الأمر سوءًا، أن الإطار الاحتياطي كان غير قابل للاستخدام. كنا نعيش في دالاس – تكساس، وكان الجو في هذا الصيف حارًّا جدًّا. في أمسية إحدى الليالي، رجعت إلى البيت لأجد زجاج السيارة قد تهشَّم تمامًا. يبدو أن الهواء الذي في داخل السيارة قد تمدَّد بفعل حرارة الجو، الأمر الذي أدَّى إلى انفجار الزجاج.

توالت الإحباطات، لقد كنت في حيرة. حتى لو أصلحت السيارة الأخرى فلا يوجد بها إطار. غطينا السيارة بورق جرائد، لكني كنت أدرك أنه إذا نزلت أمطارٌ شديدةٌ، لن ينفع هذا الورق وسوف تمتلئ السيارة بالماء، ومع الوقت ستُصاب السيارة من الداخل بالصدأ. لم أكن أستطيع أن أتجاهل الأمرَ مرةً أخرى. اتصلت بعدة جراجات، لكن كانت التكلفة أكبر من إمكاناتنا. لم يكن لدينا المال لإصلاح السيارة. براتبي السابق كمهندس، كان يمكننا التعامل مع الأمر ببساطة. كان عليَّ أن أحارب أفكارَ رثاء الذات، وتخيُّل أن الصدأ سوف يدمِّر سيارتنا وهي متوقفة.

أخيرًا، فاض بي الكيل. وجدت مكانًا منعزلًا أستطيع أن أتلاقى فيه مع الله. صرخت إليه وقلت: "يارب، أنت قلت: "ألقِ حملك عليَّ". في هذه اللحظة، أنا أضع عليك حمل سيارتي، أضعها بالتمام عليك. من الآن هي ليست سيارتي، لكنها سيارتك. إن أُصِيبت السيارة بالصدأ، فهذا ليس خطأي، لأن الاهتمام بها لم يَعُد مسؤوليتي! سأستمر مركزًا على ما قلته لي. أشكرك لأنك قدمت لي الحل".

كنت أتكلم بصوتٍ عالٍ وقوي، وكنت أعني كلَّ كلمةٍ قلتها. ولأول مرة منذ أن تعطلت السيارة البديلة، بدأت أشعر بالسلام الداخلي. لقد اختبرت وعدَ الرب:

"لا تهتَمّوا بشَيءٍ، بل في كُلِّ شَيءٍ بالصَّلاةِ والدُّعاءِ مع الشُّكرِ، لتُعلَمْ طِلباتُكُمْ لَدَى اللّهِ. وسَلامُ اللّهِ الذي يَفوقُ كُلَّ عَقلٍ، يَحفَظُ قُلوبَكُمْ وأفكارَكُمْ في المَسيحِ يَسوعَ" (في ٤: ٦-٧).

ثم اتَّجهتُ صوبَ العدو وقُلتُ بانفعالٍ وعنف: "أيها الشيطان، استمع لي. إن الله، أبي يسدِّد كلَّ أعوازي بحسب غناه في المجد. لا يعوزني شيء لأني أطلب أولًا ملكوتَ الله، وكل الأمور بعد ذلك سأنالها. لذلك، أنا أقاومك في اسم الرب يسوع وآمرك بأن ترفع يدك النجسة من على سيارتنا وأمورنا المادية".

شعرتُ بإحساسٍ غريب، وقبل التوِّ، بدأت أضحك. فكَّرت: "هل فقدتُ عقلي؟" إلا أن الفرح كان ينبع من أعماقي. كنت أدرك أن هذا هو فرح الرب الذي يقوِّيني بالقوة التي أنا في حاجة إليها. بهذه القوة، أدركتُ أنه بإمكاني أن أكمل السعي بثباتٍ. إن همومي الآن في يد الله القدير، والعدو مربوط. كنت أتوقع إمدادات الله.

في اليوم التالي مباشرةً، أتت صديقة لليزا، ورأت السيارة المعطَّلة في جراج بيتنا. كان منظرها قبيحًا. قالت: "ليزا، لديَّ صديق يعمل ميكانيكي سيارات. هل تسمحا لي أن أتصل به ليحضر ويرى ما يمكن عمله لكِ ولجون". استطاع صديقُها أن يصلح السيارةَ بمبلغٍ لا يُقارَن بالمبالغ التي عرضها علينا أصحابُ الجراجات الأخرى. رأينا إمدادات الله بطريقة عجيبة، وهذا بالطبع دعَّم إيماننا.

بسبب دفع العشور، لم يكن معي من المال ما يكفي لشراء حاجاتنا من الطعام. كنت أنا وزوجتي جالسين في السيارة وكنا نبكي. كانت دموعنا ليست دموع عدم الإيمان بل دموع الإحباط. لم نفهم لماذا ينبغي علينا أن نحارب في كل الجبهات بينما يعيش الآخرون في بحبوحةٍ. مثل الرسول بولس، لم نكن ندري ما الذي يتم من خلال الضيقات. رأينا التجارب كأنها أمر مزعج، مثير بل ومضيِّع للوقت. لم نكن ندري أننا نتقوى بنعمة الله حتى نستطيع فيما بعد أن نواجه تحدِّيات أعظم لكي يتمجَّد الله. بعد أن بكينا، تمسكت أنا وليزا بإيماننا بكلمة الله وصمدنا لنكمل إرساليتنا.

بعد يومين، زار الكنيسة زوجان من سانت أنتونيو، وكانت هذه أول مرة نلتقي بهما. قالا: "جون، لا نعرف لماذا يلح الله علينا أن نقدِّم لك هذا!" أعطياني ظرفًا به شيك بمبلغ ٢٠٠ دولار. اندهشتُ أنا وليزا. لا يعرف أحدٌ سوى الله ما هو وضعنا، وها هو يسدِّد احتياجاتنا للمرة الثانية.

مستوى جديد في إلقاء الهموم

بعد عدة سنوات من نمونا في الإيمان والنضوج، قبلت أن أعمل راعيًا للشباب في كنيسة من الكنائس الكبرى في فلوريدا. واجهنا نفس التحدي المادي؛ لأنه كان هناك انخفاض في الدخل، بالإضافة إلى أن ابننا في ذلك الوقت كان يبلغ من العمر ١٨ شهرًا، الأمر الذي جعلنا نواجه تحدِّيًا أكبر. ألقينا كلَّ همومنا على الله، قاومنا العدوَّ ورأينا إمدادات الله المعجزية. ظللت مركزًا على الإرسالية، وكانت إمدادات الله تصلنا بطرقٍ عجيبةٍ.

في سبتمبر عام ١٩٨٨م، أراني اللهُ أن الوقت قد حان للتحرك في مجال آخر للخدمة – فيه أجُوَّل وأعظ بكلمة الله. كنت في ذلك الوقت تحت قيادة راعي كنيستي، لذلك، قررت ألا أتكلم معه، وأنتظر الربَّ أن يكشف له عن خطته في حياتي. ما رأيته في الصلاة، لم يعرف أيُّ شخصٍ به سوى ليزا وصديق آخر يعيش في ولايةٍ بعيدةٍ.

في فبراير عام ١٩٨٩م، أتى الراعي في اجتماع الخدام وحدَّثنا عن رؤيا كان قد رآها، في الليلة السابقة. شاركنا بأنه قد رأى ليزا وأنا نترك الكنيسة ونسافر في خدمات تجوالية. عندما استمعتُ إليه، بدأتُ في البكاء. لقد أكَّد الروحُ القدس على إرادته، تمامًا، كما فعل مع برنابا وبولس في (أع ١٣: ١–٥).

بعد ستة أشهر، في أغسطس عام ١٩٨٩م، في خلال ثلاثة أسابيع وصلتني دعوات لأتحدث في سبع مناسبات. أخبرتُ راعي كنيستي فابتسم ثم ضحك وقال لي: "إن هذا هو ما وضَّحه الروحُ لنا، أنت في الطريق السليم، يا جون، سافر كما يحلو لك في هذا الخريف، وستستمر الكنيسةُ في دعمك ودفع راتبك حتى نهاية العام. في بداية شهر يناير سوف تكون أنت مسؤولًا عن نفسك ماديًّا".

في خلال هذه الشهور، زُرتُ هذه الأماكن السبعة، وكانت هناك فرصة اجتماعات مباركة، إلا أنه لم تصلني أية دعوات أخرى. كنت أتطلَّع إلى أن أُدعَى إلى أماكن أخرى لكن لم يحدث هذا. لاحظ راعي كنيستي هذا الأمر، وقبل أن ينقطع عني الراتب بشهرين، أعطاني خطابَ توصيةٍ وعناوين ستمائة كنيسة كان قد تحدَّث فيها من قبل (كان واعظًا مشهورًا، على المستوى الدولي والمحلي).

كانت خطتي أن أضع خطابَه وخطابَ التوصية معًا وأرسلهم إلى جميع الكنائس التي أخذت عناوينها. بدأتُ في هذا الأمر. كنت قد كتبتُ عناوين أربعين كنيسة على الأظرف، حين سمعت صوتَ الروح القدس يقول داخلي: "يا ابني ماذا أنت فاعل؟"
قلت: "أريد أن أُعرِّف هذه الكنائس أني مستعدٌّ أن أذهب إليهم".
"لقد حدتَ عن إرادتي"
"لكن يارب لا أحد يعرفني"
"أنا أعرف. ثق فيَّ"

عند هذه النقطة، كان عليَّ أن أتَّخذ قرارًا. كان من الممكن أن أختار الاتضاعَ أمام الله والخضوع لصوته الذي تكلَّم به في داخل قلبي، أو أن أسير وراء خططي التي من ورائها أسعى لتتَّسع دائرة الكنائس التي تعرفني. بلغةٍ أخرى، هل أضع همومي واهتماماتي بين يديه أم أهتم بها بنفسي؟ قبل أن يبدأ ذهني في التفكير والتحليل، مزَّقت الأربعين خطابًا الذين كنت قد كتبتهم. فكرت وقلت لنفسي: "إما أن أسمع من الله أو أكون مجنونًا".

مر الوقتُ. نحن الآن في منتصف ديسمبر، ولم يكن لدي سوى دعوتان من اجتماعين؛ أحدهما خلال الأسبوع الأول من يناير، في مدينةٍ صغيرةٍ جنوب كارولينا، في كنيسةٍ صغيرةٍ بمنطقة المدافن. أما الاجتماع الثاني، فكان في نهاية شهر فبراير في كنيسةٍ صغيرةٍ بجبال تينيسي.

عند هذه النقطة، كان راعينا مهتمًّا بنا، كان على وشك أن يبدأ برنامجه التليفزيوني اليومي، الذي سيُبَثُّ في كل أنحاء العالم. كانت ليزا لديها خبرة في الإخراج السينمائي، لذلك، عرض عليها راعينا أن تعمل معه في برنامجه الجديد نظير

٤٥ دولارًا في الساعة. أراحني هذا الخبرُ وأسعدني! كما أراح ليزا وأسعدها. سوف يسدِّد هذا المبلغ نفقات معيشتنا، في الوقت الذي لم تكن لديَّ أية خدمات خارجية تُذكَر.

بعد عدة أيام، بينما كنت أصلي، تكلم الروح القدس إلى قلبي وقال: "يا ابني، إن قَبِلت ليزا أن تعمل كمخرجةٍ في البرنامج التليفزيوني، فكل مبلغ ستكسبه سوف أخصمه من الهبات التي ستُقدَّم لك في خدمتك. أنا لا أريدها أن تعمل لدى راعيك. أريدها أن تكون بجانبك".

أُصِبت بصدمةٍ، وشاركتُ هذه الرسالةَ مع ليزا، ولدهشتي، وافَقَت. لقد تلقَّت نفسَ الرسالة أثناء خلوتها! بكل لطفٍ اعتذرنا للراعي عمَّا عرضه علينا، إلا أنه ظل مهتمًّا بنا.

نحن الآن في نهاية ديسمبر. كان دخلي من الكنيسة على وشك التوقف، وليس لديَّ سوى الدعوتان فقط. مرة أخرى قال لي الراعي: "جون، في صباح الأحد، وأنا أقدم الخدمة في التليفزيون، سوف أعلن على جميع الرعاة الذين يشاهدونني أنك الآن تفرغت للخدمة التجوالية وعلى استعدادٍ أن تذهب لكنائسهم، وأن كنيستنا سوف تقدم لك دعمًا شهريًّا".

للمرة الثانية، فرحتُ جدًّا بهذا الاقتراح. إن رجل الله هذا من أشهر الرعاة على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، ويشاهد الملايين برنامجه. كنت متأكدًا أن هذه هي طريقة الله في إرسالي للحقل الذي دعاني إليه.
بعد عدة أيامٍ، بينما كنت أصلي، تحدث إليَّ روح الله وقال: "يا ابني لن يعلن راعيك عنك في برنامجه التليفزيوني، ولن تعطيك الكنيسة دعمًا شهريًّا".

شعرتُ بالإحباط، اعترضت وقلت: "لماذا لا يحدث هذا؟ لقد قال الراعي إنه سوف يفعل هذا!"
في الحال، سمعت صوتًا داخليًّا في قلبي يقول: "لأني سأمنعه من عمل ذلك، وسوف يطيعني".
"لماذا لن تدعه يفعل ما وعدني به".

ثم همس لي السيد بكلمات لن أنساها قائلًا: "لأنه إن فعل هذا، عند مواجهتك لأية ظروفٍ صعبة سوف تلجأ إليه بدلًا من أن تلجأ إليَّ".

بالتأكيد، لم يقدِّمني راعي كنيستي أمام شاشات التليفزيون أمام كل المشاهدين، بل إنه لم يتحدث عن خدمتي الجديدة مطلقًا، ولم أتلقى دعمًا ماديًّا كل شهر. أنا سعيد أنه لم يفعل هذا. لقد ساعدني هذا الأمر لأثق في عناية الله، وأن أصلي باجتهادٍ بدلًا من أن أتَّصل بأصحاب النفوذ والمال الذي كنا نحتاج إليه.

عندما حل شهر يناير، توقف دعم كنيستي لي. لم يكن معنا أنا وليزا سوى ٣٠٠ دولار. كان لدينا طفلان، أديسون الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف، وأوستين البالغ من العمر تسعة أشهر. كنا ندفع شهريًّا ألف دولار قسط البيت ومائتي دولار لمصاريف السيارة. لم أكن أعرف من أين سيأتي الدعم لنا. صلَّيت بحرارة؛ فهذا الوضع قادنا للاقتراب أكثر من روح الله، رأينا الأبواب تنفتح بطريقةٍ عجيبةٍ. كان الاجتماع الأول في برنامج هذا العام ـ كما ذكرت سابقًا ـ في كنيسةٍ صغيرةٍ في منطقة المدافن. كانت اجتماعات رائعةً. امتدَّت الاجتماعات في هذه الكنيسة لمدة أسبوعٍ آخر. انتشرت أخبارُ هذه الاجتماعات وحضرها راعٍ آخر من كولومبيا – جنوب كارولينا. في آخر يوم في هذه الاجتماعات، طلب مني هذا الراعي أن أعظ في كنيسته، وذهبت أنا وليزا، وهكذا، بدأتُ أذهب من كنيسةٍ إلى أخرى، واستمر الأمر على هذا المنوال.

مرت عدة شهور، ولم يعد برنامج خدماتي مشغولًا، فكانت هناك أوقات كثيرة لم تكن فيها أية خدمات. كنا نمر بضغوطٍ ماديةٍ، إلا أننا لم نتأخر مطلقًا في سداد ما علينا. في صباح أحد الأيام، خرجتُ لأصلِّي وصرخت: "يا أبي السماوي، لقد فعلتُ كلَّ ما قُلتَه لي. إن لم ترتِّب لي اجتماعات، وتسدِّد حاجات أسرتي المادية، سوف أذهب لأعمل في محل للبقالة، وسوف أخبر الناس بأنك لم تستطِع أن تسدِّد احتياجاتي واحتياجات أسرتي. أنا أرفض أن أعرض نفسي. إن كنت قد دعوتني فسوف تفتح الأبوابَ، وسألقي همِّي بالتمام عليك".

تحولت في اتجاه الشمال، وأمرت الأبوابَ أن تنفتح، ثم اتَّجهت تجاه الجنوب، الشرق والغرب. في كلِّ اتِّجاه كنت آمر الأبوابَ بأن تنفتح. ثم أمرت العدوَّ أن ينصرف قائلًا له إنه لن يستطيع أن يعوق ترتيبات الله لنا في الخدمة.

بعد هذه الصلاة بقليل، دعتني كنيسةٌ في ميتشجن لاجتماعاتٍ لمدة أربعة أيام. كان روح الله يعمل بطريقةٍ عجيبةٍ، فامتدت الخدمة لمدة عدة أسابيع. كانت الكنيسة مزدحمةً بالناس الذين كانوا يأتون من أماكن قد تبعد عن الكنيسة ٩٠ ميلًا. اتصلت بليزا التي كانت مع أطفالنا تجلس أمام حمام سباحةٍ في أحد النوادي في فلوريدا بالقرب من بيت أبي. تحدَّثتُ معها عن بركة الرب لنا في هذه الاجتماعات وأني لا أعرف متى ستنتهي وأني سوف أرسل لها تذاكر طيران لتلحق بي هي والأطفال في ميتشجن.

استمع راعي إحدى الكنائس إلى ردود ليزا على مكالمتي التليفونية. اقترب إليها وقال: "أرجو أن تسامحيني؛ فقد كنت أستمع إلى حديثكِ التليفوني مع زوجكِ. أنا أرعى كنيسةً في نيويورك بها ألف وخمسمائة عضو، وأشتاق إلى نهضةٍ من روح الله بين شعبي. شعرتُ بصوت الله في داخلي يدفعني لأدعو زوجكِ".

بعد أن أنهيتُ الاجتماعات في ميتشجن، ذهبنا إلى نيويورك، كانت الخدمة قويةً. ذهبت إلى هذه الكنيسة فيما بعد كثيرًا. استمر هذا النمط أسبوعًا تلو الآخر. في واقع الأمر، في السنوات الأربع الأولى من خدمتنا، لم نكتب خطابات إلى أية كنيسة، ولم نُجْرِ أية اتصالات تليفونية. كانت الأبوابُ تنفتح أمامنا بطريقةٍ عجيبةٍ كما سبق وشرحت.

الإمداد المستمر

سأقولها ثانيةً إنني قد تربَّيت في بيئةٍ كنت أدرك فيها أهمية دور الرجل في تسديد احتياجات أسرته. يؤكد هذا الفكر ما جاء في (١ تي ٥: ٨) عندما قال الكتابُ إن من لا يعتني بأهل بيته، هو أسوأ من غير المؤمن. لذلك، فالاعتناء بالأسرة هو أمر إلهي وصحيح. وإذا وضعت هذا الاهتمامَ في قمة أولوياتي، فلن أكون خارج نطاق طاعة الله. إلا أن هذا الاهتمام قد يصبح ثقلًا يعيق تقدمي في السباق.

بعد أن تفرغت للخدمة، أُتيحت لي الفرصة لأشاهد بعضَ الخدام الذين اختاروا ـ على خلاف ما اخترته ـ ألا يلقوا همومَهم بالتمام على الله. يبدو أنهم يشبهون في ذلك ما حدث مع الجواسيس العشرة، يحسبون الإمدادات طبقًا لقدراتهم. كنت أراهم وهم يبيعون أنفسهم، ويلمِّحون عن خدمتهم، بل ويستخدمون وسائل دبلوماسيةً

من أجل أن يدعوهم الناسُ للخدمة. لقد حزنتُ من أجلهم؛ إذ كنت متأكدًا أن الدعوة الإلهية لهم دعوة صادقة، إلا أنهم كانوا يبيعون أنفسهم. حتى يومنا هذا، كثيرون من هؤلاء الخدام لم يملكوا بعد في الملكوت. إنه أمر يملأني بالحزن، عندما أسمع أحدَ الرعاة يقول: "ألا تعلم أن الإيمان بدون تلميحات هو ميت؟!"

في السنة الأولى من خدمتي التجوالية، رأيت أنا وليزا إمدادات الله بطريقةٍ مدهشةٍ. في أحد الشهور، كنا في حاجةٍ إلى ٧٠٠ دولار لندفع قسط البيت، الذي كان يستحق الدفع في اليوم التالي. ذهبت إلى صندوق البريد الخاص بنا، حيث كان هناك خطاب من زوجين يعيشان في ألاباما. كان لديهما ثمانية أطفال، ويضعون المراتب على الأرض وينامون فوقها. كتبا في الخطاب: "إلى جون وليزا، نحن لا نعرف لماذا، لكن الله ثقلنا بشدة هذا الصباح أن نرسل لكم هذا الشيك بمبلغ ٣٠٠ دولار".

في هذا المساء، تحدثتُ في إحدى الكنائس، وكان عدد الحضور حوالي أربعين شخصًا. أعطاني الراعي التقدمةَ التي جُمِعَت ووضعها في مظروف. رجعت إلى البيت، وذهبت إلى الفراش ونسيتُ أن أفتح المظروف وأعد التقدمة؛ لأني كنت أنا وليزا قد ألقينا همومنا على الله، أقولها بصدق أني لم أكن قلقًا بالنسبة لدفع قسط البيت في اليوم التالي. استيقظتُ في الصباح، ووجدتُ أن مبلغ التقدمة هو ٣٩٧,٢٦ دولارًا. كانت التقدمتان كافيتين لسداد قسط منزلنا.

مع الوقت، فهمتُ الطريقة التي يستخدمها اللهُ ليدرِّبنا. كان عليَّ أنا وليزا أن نتعلَّم أولًا كيف نلقي همومنا على الله في الأمور الصغيرة، مثل إصلاح السيارة. كان من المهم أن نتعلم كيف نؤمن ونجاهد عندما كان راتبي ضعيفًا. لماذا؟ لأنه عندما تفرغنا تمامًا للخدمة التجوالية، انتقلنا من مرحلة الراتب الضعيف إلى مرحلة اللا راتب. لقد نما إيماننا وكنا على استعداد أن نتحمَّل صعوبات أكثر في الإرسالية. إن التحدِّي الذي واجهناه في السنة الأولى من خدمتنا التجوالية ساعدنا كثيرًا لننمو أكثر، وأعدَّنا للمستوى الأعلى من الإيمان الذي كنا نحتاج إليه.

وأنا أكتب هذا الكتاب، وصلت مصاريف إرساليتنا إلى مائة ألف دولار أسبوعيًّا. إن لم أكن قد تعلمت كيف ألقي بهمومي على الله، وأن أؤمن به خطوةً بخطوةٍ، لكنت

شعرت بأني أغرق. إلا أن الخبر السار هو أن الأمور المادية لم تُصِبني بالأرق دقيقةً واحدةً. لكن كما وعد اللهُ، كنا نتمتع بسلام الله الذي يفوق كلَّ عقل، الذي حفظ قلوبنا وأفكارنا في المسيح يسوع.

من إيمانٍ إلى إيمانٍ

تُذكِّرني الطريقةُ التي يستخدمها الله ليبني إيمانَنا بعملية بناء أجسادنا. عندما كنتُ في الخامسة والثلاثين من عمري، كنت مشغولًا جدًّا بالسفر في الخدمات، وكنتُ أعتبر أن ممارسة الرياضة هي نوع من إضاعة الوقت. نتيجةً لهذا، كدتُ أفقد وعيي أثناء قيامي بإحدى الخدمات في أتلانتا جورجيا.

كان جاري مصارعًا محترفًا في هيئة المصارعة الدولية. أصبح هو وزوجته وأولاده أصدقاء لنا. كان قد سبق وعرض عليَّ أن يأخذني إلى ساحة الألعاب الرياضية، لكني رفضت العرض. بعد ما حدث لي في أتلانتا، تغير فكري تمامًا. طلبت منه أن يساعدني لأمارس الرياضة لأتمتع بصحة أفضل.

كان صديقي ضخمًا، وكان وزنه حوالي ٢٦٠ رطلًا، إلا أن نسبة الدهون في جسمه كانت ٤٪. كانت عضلات ذراعه أكبر من فخدي. بدأنا نذهب إلى ساحة الرياضة بانتظام. تقابلتُ مع بعض من أصدقائه من أصحاب الأجسام الضخمة، ولاحظتُ طريقة تمرينهم. اكتشفت أن تكرار رفع أثقال خفيفة لمرات كثيرة لا يبني العضلات لتصبح ضخمةً. إلا أن هؤلاء الأشخاص الذين يرفعون قضيب الحديد المعلَّق عليه الأحمال الثقيلة، يرفعونه ثلاث أو أربع مرات فقط. رأيتهم يحاولون رفع الأثقال عاليًا لثلاث مرات ولا يتمُّون الرفعَ إلى النهاية، إلا أنهم في المرة الرابعة، يستطيعون رفع القضيب الحديدي. في واقع الأمر، لم تكن لدى الشخص الذي يرفع الأثقالَ القوة الكافية لرفع الأثقال للمرة الرابعة، إلا أن وجهه يبدأ في الانقباض، وتنفر أوردته، ويرتعد جسده ويصرخ كل أصدقائه قائلين: "ارفع!". يستجمع كلَّ قوته، ليرفع القضيبَ للمرة الرابعة. هذا هو الوضع الذي تستجيب فيه عضلات الجسم وتنمو.

عندما ذهبت إلى ساحة اللعب لأول مرة، لم أستطِع إلا رفع ٩٥ رطلًا من الأثقال. استمر هذا الرقم معي لمدة شهر. بدأت في زيادة الأثقال بالتدريج ووصلت إلى ١٣٥

رطلًا. بعد ستة أشهر، استطعتُ أن أرفع أثقالًا يصل وزنها إلى ١٨٥ رطلًا. استطعت مع الوقت أن أرفع أثقالًا وصلت إلى ٢٠٥ رطلًا. إلا أني توقَّفت عند هذا الرقم لمدة سنوات.

أتى ليعمل معنا في الخدمة، بطلٌ سابقٌ في كمال الأجسام. عندما تحدثنا معًا، بدأتُ أتذكر المطلوب لبناء العضلات والقوة. كنت قد نسيتُ أنه لكي تُبنَى العضلات، تحتاج أن تضع أقصى حمولة تستطيع أن ترفعها وترفع القضيبَ الذي يحمل هذه الأثقالَ لأعلى، عدة مرات حتى تستطيع أن ترفعه كاملًا. بدأنا اللعبَ من جديد. رافقني هذا البطل في خدمةٍ في سان فرانسيسكو ـ كاليفورنيا. في أثناء فترة الراحة، ذهب الكثيرون من الحاضرين إلى غرفة ممارسة الرياضة، والتف الجميع حولي، وراهنوا عليَّ. قال لي صديقي: "جون... سوف ترفع اليوم ٢٢٥ رطلًا".
قلت: "مستحيل".
قالوا: "سترفع هذا الرقم. اذهب واستلقِ على الطاولة المخصَّصة للاعبي رفع الأثقال، وسنراقبك".

لقد استطعت أن أرفع ٢٢٥ رطلًا، كنت مندهشًا. واظبت على التمرين إلى أن وصلت إلى ٢٤٥ رطلًا، لكن توقفت عند هذا الرقم. كان هدفي، الذي أعتقد أنه من المستحيل أن أصل إليه هو أن أرفع ٣١٥ رطلًا.

ذهبت إلى كنيسةٍ في ديترويت ـ ميتشجن، حيث أخبرني راعي الكنيسة أن أحد أعضاء كنيسته يعمل مدرِّبًا لكمال الأجسام. كان هذا الراعي قد وصل إلى رفع ٥٤٥ رطلًا. بعد اجتماع يوم الأحد، أخذني هذا الراعي إلى ساحة الألعاب، واستطعتُ أن أرفع ٢٦٥ رطلًا. كنت مسرورًا جدًّا. وضع لي برنامجًا مكثفًا من التدريب التزمت به أنا ومجموعة العمل في الخدمة لبضعة أشهر.

في المرة التالية التي ذهبت فيها إلى كنيسة ديترويت، قدمت خدمةً عن الروح القدس في صباح ومساء الأحد. في صباح يوم الاثنين، ذهبنا إلى ساحة الألعاب وكان معنا نفس المدرب الذي قال لي: "جون، في الليلة السابقة حلمت أنك سوف ترفع ٣٠٠ رطلًا".
ابتسمت وقلت: "هذا مستحيل!"

نظر إليَّ وقال: "أيها الرجل، لقد تحدثت بالأمس عن كيف يتحدث معنا الروح القدس. لقد تحدث إليَّ الليلة الماضية. لذلك اهدأ واستلقِ على الطاولة. سترفع ٣٠٠ رطلًا اليوم".

بكل هدوءٍ لم أنطق بكلمةٍ واحدةٍ، واستلقيت على الطاولة. بعد الإحماء، وضع صديقي ٣٠٠ رطلًا على قضيب الحديد. قال بجدِّية: "ارفع القضيب عاليًا عندما تشعر أنه سوف يسقط، لا تفكر فيه، لكن ارفعه!"

بدأ يصرخ هو ومن حوله عندما كان القضيب ينخفض: "ارفع! ارفع! ارفع!" وكنت أستجمع كلَّ قوتي لكي أرفعه. لقد رفعته! أخذوا القضيبَ ونهضت من على الطاولة، وأنا مسرور جدًّا. كان أمرًا مدهشًا.

تهلل صديقي المدرب لدقائق قليلة، ثم نظر إليَّ نظرةً جادةً وقال لي: "الآن عليك أن ترفع ٣١٥ رطلًا".

قلت له: "هذا مستحيل... هل حلمت عن هذا الأمر أيضًا في الليلة الماضية؟"
ابتسم وقال لي: "اصمت واذهب إلى الطاولة".

كنت أقفز من الفرح؛ فأنا في سن الخامسة والأربعين، استطعت أن أرفع ٣١٥ رطلًا. اتصلت بليزا من ديترويت وقلت لها أخباري.

الروح القدس يعلم تمامًا ما تستطيع أن تتحمَّله وما لا تستطيع تحمُّله!

بعد هذا أوضح لي الربُّ أن هؤلاء المدربين - العضو الذي كان في كنيستي، الراعي الذي في كاليفورنيا، والمدرب الذي في ديترويت - كانوا مثل الروح القدس. تذكَّرت كلمات الرسول بولس: **"ولكن اللهَ أمينٌ، الذي لا يَدَعُكُمْ تُجَرَّبونَ فوقَ ما تستَطيعونَ، بل سيَجعَلُ مع التَّجرِبَةِ أيضًا المَنفَذَ، لتستَطيعوا أنْ تحتَمِلوا"** (١كو ١٠: ١٣).

هؤلاء المدرِّبون كانوا يعرفون ما أستطيع أن أحتمله وما لا أستطيع. كانوا يعرفون أنه لا ينبغي أن يضعوا ٤٠٥ رطلًا على القضيب في حين أني لا أحتمَّل إلا ٣١٥ رطلًا. كانوا حاذقين ويدركون طاقاتي الكامنة. كنت مأخوذًا بقدرتهم على أن يروا ما لم أستطِع أنا أن أراه. لقد رأوا فيَّ طاقات وقدرات لم أكن أراها.

يعمل الروح القدس نفس العمل؛ فهو يعرف ما تستطيع أن تتحمَّله وما لا تستطيع. إن كان صديقي المصارع قد وضع على القضيب الحديدي ٣١٥ رطلًا في المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى ساحة الرياضة، ما الذي كان سيحدث؟ كان القضيب سيسقط بسرعة الجاذبية الأرضية، ويحطِّم قفصي الصدري، وربما كان يقتلني. كان عليَّ أن أبدأ بأثقالٍ لا تزيد على ٩٥ رطلًا.

بنفس الطريقة، يعلم الروح القدس ما هو مخزون لي أنا وليزا، إذ يقول الله: **"لأَنِّي عَرَفتُ الأفكارَ التي أنا مُفتَكِرٌ بها عنكُمْ" (إر ٢٩: ١١).**

كان عليه أن يبني إيماننا، وفي عملية البناء، علينا أن نتعلم أن نلقي كلَّ همومنا عليه. إن هذه العملية لم تكن على الإطلاق عمليةً مريحةً، لكنها مفيدةٌ. في كثير من الأحيان، كنت في صراعٍ مع مشاعري، وكنت أريد أن أنسحب أو أستسلم، لكني لم أستطِع لأن الرب يسوع لم يتخلَّ عني. استمرينا مثابرين في الإرسالية الإلهية، متغلِّبين على كل المقاومات التي قابلناها طول الطريق.

عندما أنظر للخلف – الراتب الضعيف، السيارة المُعطَّلة، تحدِّيات السيولة المالية، وكل التجارب التي مرت علينا – كل هذه الأمور كانت أدوات بناء لتعطينا القدرة على مواجهة ما هو آت. إذا كان إيماننا قد بدأ بأن الله سيعطينا مائة ألف دولار أسبوعيًّا، كان هذا يشبه أن أبدأ في حمل الأثقال بثقل وزنه ٣١٥ رطلًا عند ممارستي الأولى لهذه الرياضة. إن الروح القدس يتعامل معنا بطريقةٍ تدريجيةٍ، ويبنينا بثباتٍ ليُعدَّنا للمهام الكبرى التي سيستخدمنا فيها.

لا تتجنَّب التدريب

في الفترة الأولى من تدريباتنا، كنا نواجه تدريبات لمواجهة تحدِّيات احتياجاتنا الشخصية: إصلاح السيارة، دفع ما علينا من فواتير، دفع مصاريف البيت. إلا أن

التدريبات الآن تخص التحدِّي الذي نواجهه اليوم، وهو من النادر أن يشمل حاجاتنا الشخصية، لكنه يخص خير الجموع التي ائتمنا اللّهُ عليها من خلال إرساليتنا. إن كنا قد تجنبنا تدريبات الله لنا في البداية، لما استطعنا أن نكتسب القوة لخدمة من أرسلنا إليهم. كان الله سيرسل أحدًا بدلًا منا للقيام بهذه المهمة.

كم من إرساليات فشلت في أن تصل إلى هؤلاء الذين دعاهم اللّهُ لكي يخدموهم لأنهم لم ينهوا مرحلة التدريب؟ إن لم يستخدموا إيمانهم ليقبلوا التحدِّي ويصلوا إلى مرحلة الـ ١٤٥ رطلًا، لن يستطيعوا أن يصلوا إلى تحدِّي حمل ٤٠٥ رطلًا الآن. من المُحزِن أن يضطر الله أن يقيم أشخاصًا بدلًا منهم ليقوموا بمهمتهم.

كم من رجال أعمال توقفوا بعيدًا عمَّا كان الله يريده منهم؛ لأنهم لم يتعلموا أن يغلبوا ويسيطروا على الأمور من خلال التجارب التي واجهوها. بدلًا من أن يثقوا في الله، ذهبوا إلى مؤسَّسات البشر، واستخدموا وسائل غير سليمة ليتغلَّبوا على تجاربهم. نتيجةً لهذا، ابتعدوا عن مخطط الله لأجلهم.

أنا متأكد أن جواسيس إسرائيل العشرة، لم يمرُّوا بمراحل التدريب مثل كالب ويشوع. لعلَّهم وجدوا طرقًا فيها يلتفُّوا حول التدريب والمصاعب بعيدًا عن الإيمان بالله. لم يبنوا إيمانهم، لذلك، عندما أتت لحظة القرار الحاسم، لم تكن لديهم قوة للإيمان.

أبونا يعرف أفضل الطرق لتدريبنا، بالرغم من أن الله ليس هو مصدر الضيقات والتجارب التي تواجهنا، إلا أنه يسمح بها لكي يقوِّينا لننفِّذ خطته لحياتنا.

لا تتجنَّب مراحل التدريب، إن التجارب التي تواجهها اليوم، هي بمثابة الإعداد لك للعمل العظيم الذي ستعمله في غدك. تذكر دائمًا يا صديقي، أن الله لا يأتي بك إلى تحدٍّ دون أن يزوِّدك بالتدريب اللازم لمواجهة هذه الأمور بنجاح.

تعلَّم أن تلقي كلَّ همومك عليه باتضاعٍ حقيقي حتى تستطيع أن تذهب من مجدٍ إلى مجدٍ، ومن إيمانٍ إلى إيمانٍ ومن قوةٍ إلى قوةٍ.

١٢

كن متزنًا ويقظًا

"كَذلِكَ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ، اخْضَعُوا لِلشُّيُوخِ،
وَكُونُوا جَمِيعًا خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ،
وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ، لأَنَّ:
«اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ،
وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً».
فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ،
مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ، لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ.
اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ،
يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَقَاوِمُوهُ،
رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ،عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هذِهِ الآلاَمِ
تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ".
(١ بط ٥: ٥-٩).

قبل أن نستكمل تنقيبنا في ذلك التحريض الغني الذي قدمه الرسول بطرس، دعونا نلخصه: يناقش الرسول نعمة الله الحقيقية. فالنعمة ليست فقط لخلاصنا وغفران خطايانا، لكنها تؤيِّدنا بالقوة التي نستطيع بها أن ننير في وسط عالمٍ ضائعٍ ومظلمٍ.

لكن، هذا التميُّز تصحبه مقاومةٌ، أي أنه ستكون هناك حرب. لذلك، يجب أن نتسلَّح بأسلحة النعمة.

إن أول قطعةٍ نتسلَّح بها هي التواضع؛ لأن النعمة تُعطَى للمتواضعين. يحثُّنا الرسول بولس أن نتسربل بالتواضع. مظهر أساسي للتواضع الحقيقي، أن نُلقِي بهمومنا على الله بدلًا من أن نحاول أن نتعامل مع التحدِّيات التي تواجهنا بمفردنا وبإمكانياتنا. لا نستطيع أن نجُرِي السباقَ بمفردنا، ولا أن نحارب بكفاءةٍ، ولا أن نكمل السعيَ إذا تثقلنا باهتماماتنا الشخصية. القلق، الهموم والخوف تعوق تحقيق الهدف. لذلك، فإن إلقاء تلك الأثقال على الرب يساعدنا على أن نجري السباقَ أسرع، ونستخدم أسلحتنا ببراعةٍ وقوةٍ.

في الأساس: التواضع الحقيقي يدفعنا لتحقيق تقدُّمٍ إيجابي مضاد لتيار العالم. البديل أن ننزلق في مستنقع القلق ـ مهمة مستحيلة إذا اقترنت بمقاومة تيار النهر. لذلك يحثُّنا الرسول بطرس على أن نكون متَّزِنين ويقظين.

كن متَّزِنًا

كلمة متَّزن يمكن تعريفها أنها "جاد، حساس، وقور". الكلمة في اللغة اليونانية nepho، تعني عكس المخمور. الكلمة تعني "عقل سليم".

لقد بدأت أحتسي المشروبات الكحولية في المرحلة الإعدادية في المدرسة، واستمرت معي هذه العادة في عطلات نهاية الأسبوع في المرحلة الثانوية. إلا أنه مع بداية دراستي الجامعية، ازداد مقدار تعاطي الكحوليات بسبب عدم خضوعي المباشر لمراقبة والديَّ. انضمامي لإحدى الجمعيات الخاصة بالطلبة لم يساعدني، بل بالعكس جعلني أرى الحياةَ الجامعية على أنها حفلةٌ كبيرةٌ يتخلَّلها بعضُ الدراسة. بعد فترةٍ قليلةٍ، تحولت إلى شخصٍ يتعاطى الكحوليات بانتظامٍ وبكثرةٍ. أشكر الله أنه أنقذني في السنة الثانية من دراستي الجامعية من هذه العادة التي كان يمكنها أن تدمِّر حياتي.

لقد شربتُ الخمرَ لدرجة السُّكر عدة مراتٍ، وعلمت من أصدقائي في اليوم التالي، التصرُّفات السخيفة والمضحكة التي عملتها، والكلمات المضحكة والغبية التي

تفوَّهت بها. ببساطة، الشخص المخمور يتعدَّى الحدودَ، ولا يكون متيقِّظًا. كانت الجماعة التي أنتمي إليها مليئةً بالمازحين، واكتشفنا المعاملة السيئة التي كان يتلقاها أي مخمور. كنا نستطيع أن نعمل بعضَ الأشياء التي لن يقبلها ذلك الشخص المخمور لو أنه كان متيقظًا.

كانت السرقة إحدى هذه الأمور السخيفة؛ فالشخص المخمور لن يعرف أنه فقد شيئًا ثمينًا. في الصباح التالي، يصبح هذا الشخص شديد الاهتياج وهو يفتِّش عن ذلك الشيء المفقود في غرفته وفي كل بيت الطلبة. فهو ليس لديه أي دليل على ما حدث، يجري بارتباك في أنحاء البيت، وهو يئن وربما يبكي وهو يفتش عن مشروعه، محفظته، صورة صديقته، أو أي شيء ثمين آخر. يبدأ الآخرون في الضحك وهم يراقبون زميلهم. بعد أن يروا أن زميلهم قد عانى وقتًا طويلًا، يعيدوا له هذا الشيء المفقود وهم يضحكون عليه.

بالطبع، كنا نمزح فقط. لكن ماذا لو أن أحد الطلبة كان جادًّا في سرقة أشياء ثمينة من ذلك الشخص المخمور؟ إذا لم يكن متيقظًا، سيصبح فريسةً سهلةً ويفقد أشياءً ثمينةً لديه.

السُّكر يخلق أيضًا مشكلةً في المشاجرات. أتذكَّر، عندما حدثت مشاجرةٌ في إحدى الحفلات بين شخصٍ ثمل والآخر متيقِّظ. في أية مناسبةٍ أخرى، كان ذلك الشخص الثمل يستطيع أن يضرب الآخر بسهولة، لكن بسبب السُّكر ضُرِب ضربًا مبرحًا. احتاج الأمر لتدخل شخصٍ ثالثٍ لفضِّ المشاجرة، وإلا، لكان الشخص المخمور قد تعرَّض لإيذاءٍ شديدٍ.

تذكَّر قصة الفيلم التي ذكرتها في المقدمة بعنوان الشبح والظلام. لقد تحدثت عن الرجلين الشجاعين ـ باترسون، مهندس السكة الحديد، ورمينجتون، الصائد الأمريكي المشهور – اللذين استطاعا أن يسيطرا على الأسدين اللذين قتلا أكثر من ١٣٠ رجل. ما لم أذكره في المقدمة هو أن رمينجتون فقد حياته عن طريق أحد الأسدين. بعد عدة أيامٍ من مطاردة الأسدين، استطاع الرجلان أن يقتلا الأسدَ الأول. في المساء، جلسا معًا يحتفلان بهذا الانجاز، شرب رمينجتون حتى ثمل، ونتيجةً لذلك، فقد حياته

عن طريق الأسد الثاني. بعد فترةٍ قصيرةٍ، استطاع باترسون أن يقتل ذلك الأسدَ الذي قتل صديقه.

كان رمينجتون مشهورًا بقدراته المتميزة في الصيد، لكن هذه القدرات لم تستطع أن تنقذه أثناء سُكره. لقد كان يمتلك سلاحًا أفضل من قدرات الأسد، لكنه لم يكن متَّزِنًا، وبالتالي، لم يكن يقظًا لهجوم الأسد القاتل.

السُّكر الروحي

نفس الشيء يمكن أن يحدث روحيًّا؛ فالعدو يستطيع أن يسرق بسهولة هؤلاء الذين لا يتمتَّعون بعقلٍ متَّزِن، بل ويدمِّرهم. يجب أن نسحقه بأسلحة النعمة، لكن إذا كنا في حالة سُكر، سنفقد سلاحَنا ونعطيه الفرصة ليهزمنا.

يحذِّرنا الرسولُ بطرس من أن ابليس يجول ملتمسًا من يبتلعه هو (انظر ١بط ٥: ٨). فهو يستطيع أن يبتلع المتكبِّرين والمُثقَلين بالهموم، لكن الفريسة الأكثر سهولة هي المؤمن السكران. هل يشير بطرسُ لإدمان الكحوليات؟ ربما، لكنه يشير أكثر إلى المؤمن الذي يسكر على خمر العالم.

ايستطيع العدوُّ أن يسرق، بل ويدمر، الذين لا يتمتعون بعقل متزن!

في نهاية سفر الرؤيا، يصف يوحنا دينونةَ الزانية العظيمة، بابل. يقول له ملاك: **"هَلُمَّ فَأُرِيَكَ دَيْنُونَةَ الزَّانِيَةِ الْعَظِيمَةِ الْجَالِسَةِ عَلَى الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ، الَّتِي زَنَى مَعَهَا مُلُوكُ الأَرْضِ، وَسَكِرَ سُكَّانُ الأَرْضِ مِنْ خَمْرِ زِنَاهَا"** (رؤ١٧: ١- ٢).

هناك آراء مختلفة لما تشير إليه الزانية؛ البعض يظن أنها تشير لبابل المدينة القديمة، والبعض الآخر يظن إنها تشير لمدينة روما أو للإمبراطورية الرومانية.

أما أنا فأعتقد أن الزانية تشير لنظام العالم المالي. السبب الذي أؤسِّس عليه رأيي هو الاسم المكتوب على جبهتها: **"وَعَلَى جَبْهَتِهَا اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «سِرٌّ. بَابِلُ الْعَظِيمَةُ أُمُّ الزَّوَانِي وَرَجَاسَاتِ الأَرْضِ»" (رؤ ١٧: ٥).** في بعض الترجمات الأخرى، تستخدم كلمة مُقت شديد أو فحش، لكني لا أعتقد أن بابل القديمة أو روما أو الإمبراطورية الرومانية

هم مصدر كل المقت أو الفحش. لكن الكتاب يخبرنا أن **"مَحَبَّةَ المالِ أصلٌ لكُلِّ الشُّرورِ" (١تي ٦: ١٠)**. نستطيع أن نضع بدلًا من كلمة شرور كلمة مقت شديد أو فُحش، ولا يتغير معنى الآية.

في وجهة نظري، أن أنظمة هذا العالم مغرية للمشاعر، وبالتالي قد تسبِّب سُكرًا. لاحظ كلمات الرسول يوحنا في الآية التي ذكرتها سابقًا: **"زَنَى مَعَهَا مُلُوكُ الأَرْضِ، وَسَكِرَ سُكَّانُ الأَرْضِ مِنْ خَمْرِ زِنَاهَا"**. الاهتمام بملذات العالم ومباهجه وغناه، يبعدنا عن علاقتنا الحميمة بالروح القدس. يا له من موقف خادع! فقد يبدو المؤمن في حالةٍ روحيةٍ جيدةٍ، لكنه في حالة سُكر برغبات العالم. عندما يفقد المؤمنُ سلاحَه الروحي، يصبح هدفًا سهلًا للعدو، فيسرقه، يخدعه، يدمِّره وقد يصل الأمر أن يقتله.

إن ما حدث لسليمان هو مثالٌ جيدٌ لحالة السُّكر؛ فلقد بدأ بطلب الحكمةَ الإلهيةَ. منحه اللّهُ حكمةً من خلالها استطاع أن يحقِّق نجاحًا عظيمًا وغنًى (انظر أم ٨: ١١-٢١). إلا أنه مع الوقت، انشغل الملك سليمان بنتائج تلك الحكمة، وفقد رؤيته للّه مانح هذه الحكمة. لقد انغمس في الملذات، الشهوات، وغنى هذا العالم. عندما وصل لحالة السُّكر، فعل ما لم يكن من الممكن أن يفعله وهو في حالة الاتّزان العقلي؛ لقد بدأ يعبد الأصنامَ.

انزعجت كثيرًا للحالة التي وصل إليها سليمان، خاصةً وأنه رأى اللّهَ مرتين. لكن إذا رأيت ما فعله في ضوء ما قدمت سابقًا، سيصبح الأمرُ أكثر سهولة في فهمه. عندما كنت أنا أو أحد أصدقائي نشرب لحد السُّكر، كنا نعمل أمورًا لا يمكن أن نعملها في عقلنا الواعي. هذا ما فعله سليمان.

كيف نحمي أنفسَنا من هذه الحماقة ونحفظ أنفسنا متّزني الفكر؟ الإجابة هي أن نشبع بالرب. **"وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ" (أف ٥: ١٨)**. أعتقد أن الرسول بولس لم يكن يتحدث فقط عن خمر حقيقي، لكن عن كل شيء يسبب حالة سُكر، ويضعف تركيزنا عن طرق اللّه. قد يكون هذا الشيء اهتمامًا زائدًا بالعمل، الجنس الآخر، رياضة معينة أو هواية، علاقات اجتماعية... قائمة طويلة.

هذه الأمور في حد ذاتها غير مؤذية؛ لأننا نعلم أن الله **"يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنًى لِلتَّمَتُّعِ"(١ تي ٦: ١٧)**. إنه أمر رائع وصحي أن نستمتع بفتراتٍ للاستجمام، تسلية طاهرة، منافسات رياضية، طعام، جمال الطبيعة، وحتى ثمار التقدم والتكنولوجيا. لكن، إذا شاركنا في هذه الأمور بكثرةٍ، وأصبحت مصدرًا للشبع بدلًا من شخص الله، فإنها تتحول إلى خمر قد تقودنا للسُّكر. فالرب يسوع يجب أن تكون له المكانة الأولى في قلوبنا، والروح القدس هو الذي يسكرنا.

افحص نفسَك دوريًّا

لنظل متَّزنين – لنتجنب أمور هذا العالم التي قد تسكرنا أو تضعفنا – كل ابن من أولاد الله يحتاج لفحصٍ دوري. يجب أن نسأل أنفسنا بإخلاص: "إلى أي الأشياء أشعر بالجوع والعطش؟" لا تكن سطحيًّا في هذا الأمر. كن أمينًا مع نفسك إلى حد القسوة على نفسك. ما الذي تفعله باستمرار في أوقات فراغك؟ ما الذي يجذبك دائمًا فيؤثر على تفكيرك وتصرفاتك؟ إذا كانت مباريات كرة القدم هي ما يشغلك، فأنت تشرب من ملذَّاتٍ عالميةٍ، تخطَّت حدَّ المتعة. هل الجنس الآخر هو مشروبك المفضل؟ هل كسب المال هو ما يشغل تفكيرك؟ إذًا، تستطيع أن تكتشف ما يمكن أن يسكرك. لهذا السبب، نحتاج أن نقرأ كلمة الله ونتأمل فيها. إن ما تشربه كثيرًا ستشعر بالعطش نحوه، وما تأكله كثيرًا هو ما ستشعر تجاهه بالجوع.

أتذكَّر مدرِّب التنس في المدرسة الثانوية وقد أصبح مدمنًا للمياه الغازية. لقد بدأ الأمر بأنه كان يشرب زجاجةً في اليوم، ثم زجاجتين ثم ثلاث. استمر هذا النمطُ، حتى وصل به الأمر، أنه يشرب صندوقًا بأكمله يوميًّا. أتذكر أنني عندما كنت أفتح ثلاجته، أجد بداخلها صندوقين أو ثلاثة من المياه الغازية، هذا بجانب الصناديق الموضوعة بجوار الثلاجة.

رأيت آخرين يعانون من مشكلة الوزن الزائد وما يستتبعها من مشاكل صحيةٍ بسبب المبالغة في شرب الصودا. كمؤمن شاب، أدركت أن جسدي هو هيكل لله، وأنني مسؤول أن أكون وكيلًا أمينًا عليه. لذلك، قررتُ أن أتوقَّف عن شرب الصودا. لم يكن الأمر سهلًا! كنت أتوق لشرب هذه المشروبات، لكني قررتُ التوقُّف عنها تمامًا.

قال الرب يسوع: **"إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (مت ١٦: ٢٤)**. لكي نتحرَّر من السُّكر، نحتاج أن ننكر أنفسنا لما نشتهيه. لقد تعلمتُ أن أستبدل الصودا بشيءٍ أفضل – كوب من الماء بالليمون. لم أكن أشتهي الماء – كنت أريد الصودا – لكني ضغطت على نفسي أن أشرب نصف جالون من الماء يوميًّا. في خلال عدة أشهر، لم أشتهِ الصودا. اليوم، فقدت الرغبة في شرب الصودا. اليوم، أتوق للماء!

الأمر لا يختلف مع كلمة الله. كلمات الرب يسوع هي روح وحياة وحق. لكي نعيد إشعال محبتنا لكلمة الله، نحتاج أن ننكر أنفسنا أحيانًا؛ لأن شهيتنا وعطشنا قد انحرفا. فمثلًا، إذا وجدت أن وسائل الإعلام تستهلك الكثيرَ من تفكيري ووقتي، عندئذٍ أحتاج أن أصوم عن وسائل الإعلام. أستقطعها لفترة، وأستبدلها بوقتٍ خاص مع الله وكلمته. من أكثر الأوقات المؤثرة في حياتي، تلك التي مارست فيها الصومَ، ليس صومًا عن الطعام بل عن وسائل الإعلام.

عندما تمتلئ حياتنا بكلمة الله ونطيعها، عندما نقضي وقتًا خاصًّا في الصلاة وطاعة وصاياه، حينئذ نمتلئ من الروح القدس. تفقد بابلُ بسُكرِها سلطانَها علينا. قد يظن الآخرون أننا غرباء، لكننا غيَّرنا عادات الشرب فقط. نحن الآن نتوق لذلك الخمر الذي يُشبِع، يقوِّي ويستمر.

الآن، نستطيع أن نفكِّر بطريقةٍ أفضل، نستطيع أن نتخذ قرارات صحيحةً، ونستطيع أن نكتشف العدو عندما يحاول أن يبتلعنا. العدو لا يستطيع أن يبتلع مؤمنًا متَّزِنًا؛ لأننا ندرك الوعودَ التي لنا منذ أن دخلنا في عهدٍ مع الله. فنحن متيقِّظون وجادُّون، متسلِّحون وجاهزون للحرب.

كن يقظًا

"كن متَّزنًا، كن يقظًا"، يعلن الرسولُ بطرس في (١ بط ٥: ٥ –٩) أنك لا تستطيع أن تكون يقظًا إن لم تكن متَّزنًا. لكن الاتِّزان لا يستلزم بالضرورة اليقظة. فاليقظة تصرُّف إرادي واعٍ لمؤمنٍ متَّزنٍ.

كلمة متيقظ تعني "التنبُّه والحرص لأية صعوبةٍ أو خطر مُحتَمَل". أنها تعني أيضًا "الاستيقاظ المستمر وعدم النوم". هذه التعريفات يجب أن تصف حالة كلٍّ من يتبع الربَّ يسوع. اليقظة عامل آخر، أساسي وحيوي لنكون مسلَّحين.

في فصولٍ سابقةٍ، أخذنا لمحةً عن الحياة في ألمانيا النازية في عهد هتلر. كما كان اليهود يعيشون في حالة يقظةٍ في هذه الفترة العصيبة، كذلك المؤمن يجب أن يكون يقظًا كل لحظة في كل يوم. الخطر يحيط بنا؛ لأن إبليس يجول ملتمسًا من يبتلعه هو. لكن هناك فرقًا شاسعًا بين عصر النازية وعالمنا اليوم: لم يكن لدى اليهود سلطان على هتلر، لكننا نمتلك السلطانَ على عدونا. فالعدو يملك العالمَ لكنه لا يملكنا. إنه يستطيع أن يحاربنا، وإذا أعطيناه الفرصةَ يبتلعنا. لذلك، يحثُّنا الرسول بولس: **"وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ"** (كو ٤: ٢).

الطريقة الأساسية لنكون متيقظين هي من خلال الصلاة.

الطريقة الأساسية لنكون متيقظين هي من خلال الصلاة؛ فهي تفتح عيونَنا على المجال الروحي، فنستطيع أن نرى ما هو أبعد من المنظور ونستشعر الخطرَ والهجومَ الذي يُعِدُّه إبليس. نستطيع أن نرى هذا الأمر بوضوح في الليلة التي سبقت صلب المسيح.

في العشاء الأخير، كان الرب يسوع يدرك في داخله التجربةَ القاسيةَ التي كان سيواجهها بعد قليل. لم يكن هناك أي مؤشر لذلك، فكل الأمور كانت تسير بطريقةٍ طبيعيةٍ، لكنه كان واعيًا لما سيحدث. بعد العشاء، أخذ تلاميذَه لأحد الأماكن المحبَّبة له، بستان جثسيماني، ليصلي. هناك شارك بطرسَ ويعقوبَ ويوحنا: **"فَقَالَ لَهُمْ:«نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. اُمْكُثُوا هُهُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي»"** (مت ٢٦: ٣٨). لاحظ أن السيد يقول لهم: "اسهروا معي". أحد تعريفات التيقُّظ هو "أن تكون واعيًا للخطر". كان الرب يسوع متيقظًا، لكنه كان يدرك عدم حساسية التلاميذ لعلامات التحذير للخطر القادم، وهكذا لم يستطيعوا أن يدركوا ذلك الخطر.

قال يسوع: "نفسي حزينةٌ جدًّا"، هنا يكمن السرُّ الأساسي لنبقى متيقِّظين: الصلاة. إن حياة الصلاة المستمرة تجعلك في تناغم مع ما يحدث في عالم الروح. عندئذٍ

نصبح أكثر قابلية لإدراك التحذيرات، ونستطيع أن نفسِّرها، وهكذا نتصرف بموجبها. هذا أمر حيوي لنستطيع أن نستمر غالبين العدو.

علامات التحذير

في السنوات الأولى من زواجنا، واجهت أنا وليزا بعضَ الأوقات الصعبة؛ كنا حديثي الإيمان، وقد أتى كلانا من عائلات احتملت شدائد لأجيالٍ كثيرةٍ. كانت عائلة ليزا لديها تاريخ طويل في النزاعات الشديدة؛ حالات طلاق، حالات زواج متعددة. لم يكن إبليس على استعداد أن يتخلَّى عن قبضته على هذه العائلة لسنواتٍ طويلةٍ، لذلك عانينا أنا وليزا من بعض الهجوم المتكرِّر من إبليس على زواجنا.

كنت أقضي ساعةً أو ساعتين يوميًّا في الصلاة، لذلك أصبحتُ حساسًا لعالم الروح. بين الحين والآخر، كنت أشعر بحزنٍ عميقٍ يملأ كياني - إنذار بداخلي يخبرني عن شيءٍ سيئٍ لا أستطيع وصفه. إنه مثل شيء مزعج، نافذ ومثير في أعماقي. لا أستطيع أن أصفه إلا أنه حزن وأسى عميق.

عندما حدث هذا أول مرة، لم أستطِع أن أجد سببًا لهذا الأمر. في معظم الأحيان، كانت الأمور تبدو عاديةً، ولم تكن هناك أية علاماتٍ خارجيةٍ تنبئ بالخطر. للأسف، في بادئ الأمر تجاهلتُ تلك الأوقات التي كنت أعاني فيها من الحزن. لكن بعد عدة ساعات من تلك النوبات، كانت تنفتح على علاقتنا أنا وليزا أبواب جهنم؛ فنتشاجر، نتجادل، نتكلم بكلماتٍ جارحةٍ تحتاج لأيام ـ وربما أسابيع وشهور ـ لنُشفَى من تأثيرها.

مع مرور الوقت، بدأتُ أدرك هذا النمط، لذلك قررتُ أن أنسحب وأصلي لأجل علاقتنا معًا، كلما أصابني هذا الشعورُ الغامضُ بالحزن. بالتأكيد، كان إبليس يستمر في محاولاته، لكن بسبب مقاومتي له بالصلاة، كانت هجماته تنتهي بسرعة بأقل الآثار السلبية، بل أحيانًا بلا أية نتائج سلبية.

اليوم، لم يَعُد إبليس يستطيع أن يهاجمنا بنفس المعدَّل. إننا نؤمن أن إبليس قد شعر بالإعياء بسبب هجومنا عليه بسيف الروح في كل مرةٍ كان يحاول أن يهاجمنا. أرجو أن تفهموني: مازلت أنا وليزا نحتاج أن نكون متيقِّظين؛ فلا يمكننا أن نعيش في

راحةٍ ونترك سلاحنا. نحتاج أن نكون صاحين ومصلِّين لنستطيع أن نقاوم العدوَّ، لكن ربما ليس بنفس القدر كما كان في أول زواجنا.

الدرس الذي تعلمناه من هذه الصراعات هو أن نستشعر علامات التحذير لهجومٍ وشيكٍ من العدو. لهذا أدركنا أهمية أن نكون متيقِّظين في كل مجالات الحياة، فنكتشف الحزنَ الذي يصيبنا قبل أي هجوم على ميزانيتنا، صحتنا، علاقتنا معًا، أو خدمتنا. تعلمت أن أطلب من الروح القدس أن يساندني؛ لأني لا أعرف أن أصلي بالتحديد لشيء معيَّن عندما أرى علامات التحذير. خبرتي معه أنه يساعدني، وسيساعدك أيضًا. إنه لك! سيساعدك، لدرجة أنه يصلي فيك إذا خضعت له. كلمة الله تؤكد هذا الوعد:

"وَكَذلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا. لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا. وَلكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ، لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ" (رو ٨: ٢٦ - ٢٧).

هذه الأنَّات هي تعبيرٌ عن الحزن داخل أعماقنا، تمامًا مثل الحزن الذي اختبره الرب يسوع في الليلة التي سبقت الصليب. بمجرد أن نشعر بالحزن، يجب أن نتجاوب. قد نختار عكسَ أن نكون متيقظين - كسولين - ونخمد هذا الحزن بإهماله أو كبته، أو نكون متيقظين ونخضع للروح القدس.

هدف الروح القدس هو أن يخرجنا من هذا الأنين، ويعطينا إمكانيةً خاصةً للتعامل مع الموقف. يكتب الرسول بولس:
"أُصَلِّي بِالرُّوحِ، وَأُصَلِّي بِالذِّهْنِ أَيْضًا" (١ كو ١٤: ١٥).

اسهر وصلِّ

في جثسيماني، بعد أن أخبر الربُّ يسوعُ تلاميذَه بما يشعر به من حزنٍ عميق، طلب منهم **"اُمْكُثُوا هٰهُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي" (مت ٢٦: ٣٨)**. ثم انفصل عن الثلاثة تلاميذ وابتعد عنهم قليلًا وصلى لمدة ساعة.

عندما رجع إليهم وجدهم نائمين. نائمين! لماذا كانوا نائمين؟ هل كان الوقت متأخرًا في الليل؟ هل كانوا مُرهَقين من عمل يومٍ طويل؟ هل أكلوا وجبةً كبيرةً في العشاء الأخير؟ إنجيل لوقا يخبرنا عن سبب نومهم: **"ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ" (لو ٢٢: ٤٥).**

لقد كانوا على وشك التعرُّض لهجوم. لذلك اختبروا حزنًا مثل الحزن الذي اختبره الرب يسوع. في العشاء الأخير، أعلن بطرس بكل شجاعة أنه مستعدٌّ أن يموت قبل أن ينكر المسيح. لقد آمن بطرس بقدرته الشخصية التي تستطيع أن تحفظه ثابتًا للنهاية. أعلن أيضًا باقي التلاميذ أنهم سيستمروا مخلصين لسيدهم. لكن الرب يسوع كان يعلم أنه سيُمتَحَن في خضوعه وولائه للآب، كما أن تلاميذه سيُمتَحَنوا في ولائهم له. اسمع ما قاله الرب يسوع لتلاميذه النائمين:

"ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ:
«أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ
تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ»" (مت ٢٦: ٤٠ -٤١).

هنا أيضًا نرى المفتاحَ لأن نعيش إما أن نستمر ثابتين في طاعتنا لله أو أن تكون لنا مجرد الرغبة، لكننا لا نستطيع أن نمارس هذه الطاعة في حياتنا. نستطيع أن نحقِّق هذا من خلال السهر والصلاة. يكتب يهوذا: **"وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ فَابْنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى إِيمَانِكُمُ الأَقْدَسِ، مُصَلِّينَ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (يه ١: ٢٠).** فالصلاة تهدِّئ أجسادَنا وتبني إنسانَنا الداخلي.

الجسد ضعيف، لذلك يختار الطريق الذي يجد فيه مقاومةً قليلةً. هذا الطريق في الأغلب يكون هو الطريق الخطأ. الجسد لا يريد أن يحارب ضد التيار القوي لقوى العالم. الصلاة تزيدنا قوةً لنستطيع أن نتغلب على رغبات الجسد. الصلاة تساعدنا ألا نضعف. قال الرب يسوع: **"يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلّ" (لو ١٨: ١).** بكلماتٍ أخرى: سنشعر بالضعف إذا توقفنا عن الصلاة، خاصةً في الأيام التي نشعر فيها بالحزن والأنين.

أصيب التلاميذ بالضعف في تلك الليلة في جثسيماني، فناموا في الوقت الذي يجب أن يصلوا فيه. لم يكونوا واعين للخطر الكامن. لم يكونوا متيقِّظين بل كسولين.

اليوم، لدينا طرق أخرى لإخماد تحذيرات الروح القدس لنا. نستطيع أن نفتح التليفزيون، نبحث في الشبكة العنكبوتية، نرسل رسائل لأصدقائنا، نراجع الفيس بوك، نلعب ألعابًا إلكترونيةً، ننشغل بالعمل، نذهب إلى الثلاجة ونطعم أجسادَنا. فنصبح أقل حساسية لإرشاد وتحذير الروح القدس لنا. وهكذا نفقد القدرةَ على مواجهة الصعاب، ونفقد القوة الثابتة المُتاحةَ لنا من خلال نعمة الله.

لذلك، واجه الربُّ يسوعُ تلاميذَه وقال لهم: **"اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ" (مت ٢٦: ٤١)**. ثم ذهب ليصلي ساعةً ثانيةً، ثم رجع فوجدهم نائمين مرةً أخرى. في هذه المرة لم يوقظهم ويحذرهم، لقد اختاروا اختيارهم.

كثيرًا ما يحذِّرنا الربُّ مرةً وربما مرتين، لكن إذا أهملنا تحذيرَه الأول سيصمت حتى نتوب. عندما تداهمنا الضيقات، نسأل بإحباطٍ: "أين كنت يارب؟" لقد حذَّرَنا، لكننا لم نستمع له.

عاد يسوعُ للصلاة مرةً ثالثةً، بينما ظل التلاميذ نائمين. عندما انتهى من الصلاة، كانوا لا يزالوا نائمين، حتى عندما جاء يهوذا الخائن، ومعه الحراس إلى البستان وألقوا القبض على يسوع.

الفرق بين النجاح والفشل

لقد نجح الرب يسوع في إرسالية النعمة من خلال بقائه متَّزنًا، ويقظًا في الصلاة، ثابتًا وراسخًا حتى النهاية. على الجانب الآخر، عبَّر التلاميذُ عن رغبتهم في أن يكونوا ثابتين، وظنوا أنهم يستطيعون تحقيقَ ذلك، لكنهم لم يمتلكوا القوةَ. كما توقع الرب يسوع، تعرَّض كلٌّ منهم للهجوم وفشل: **"حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا" (مت ٢٦: ٥٦)**. لقد فعل بطرس ما أعلن أنه لن يفعله: أنكر المسيح. نستطيع أن نقول كلمةً

إيجابيةً عن بطرس؛ لقد تبع يسوعَ في ذهابه للمحاكمة. باقي التلاميذ، ماعدا يوحنا، هربوا من البستان باحثين عن أمانهم.

كم مرة نرى مؤمنين لديهم نوايا حسنة، لكنهم لا يستطيعون إكمال المسيرة؟ لماذا؟ لأنهم، مثل التلاميذ، لم يسهروا مصلِّين! الروح نشيط، أما الجسد فضعيف. عدم التسلُّح الجيد يمنعهم من تحقيق أهدافهم.

من هو أفضل من الرسول بطرس ليكتب لنا تحريضًا على أن نكون متسلِّحين؟ في تلك الليلة الحاسمة، كان شجاعًا في الكلام، لكنه فشل في تنفيذ ما قاله. لقد سبق وحذَّره الربُّ يسوع عندما قال له: "**سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ!**" (**لو ٢٢: ٣١**). لكن بطرس والآخرين افتقدوا القوة الثابتة ليقفوا صامدين طوال الليل. لذلك، يحذِّرنا أن نتسلَّح لنستطيع أن ننهي موسمًا من حياتنا أو كل حياتنا نهايةً قويةً.

التسلُّح لمواجهة الحرب يشمل الاتِّزان والتيقُّظ. يجب ألا نسمح لبريق العالم أن يضعف أو يُميت تصميمنا والتزامنا بأن نشبه المسيحَ في كل شيء. يجب أن نكون متوازنين ومتيقظين كلَّ الوقت؛ لأننا إذا لم نكن صاحين وثابتين لهجوم إبليس الذي يريد أن يبتلعنا، فإنه سيتمكن من ذلك.

١٣

قـاوم إبليـس

"اُصحوا واسهَروا. لأنَّ إبليسَ خَصمَكُمْ كأسَدٍ زائرٍ، يَجولُ مُلتَمِسًا مَنْ يَبتَلِعُهُ هو. فقاوِموهُ، راسِخينَ في الإيمانِ" (١ بط ٥: ٨-٩)

نأتي الآن إلى الجزء الذي كتبه الرسول بطرس، والذي فيه يحثُّنا على أن نتعامل بطريقةٍ مباشرةٍ مع الحرب. لقد أوضح أن إبليس (مع جميع جنوده) مثل الأسد الزائر الذي يبحث عن فريسةٍ.

دعونا نتحدث بصورةٍ أكثر عمقًا في هذا الأمر. فليست للأسد صفة من صفات الشيطان، وفي الكتاب المقدس، نجد أن الشيطان دُعِي الحية، التنين، اللص، وبعض الأسماء الأخرى. لكن لا نجد اسمَ الأسد من ضمن أسماء الشيطان. الرب يسوع هو **"الأسَدُ الذي مِنْ سِبطِ يَهوذا"** (رؤ ٥: ٥). لكن شبَّه بطرسُ إبليسَ كأسدٍ زائرٍ الذي يبحث عن فريسةٍ يريد أن يفترسها. إن أُتِيحت له الفرصة سيكون مفترسًا بلا رحمةٍ. لا تخطئ بالنسبة لإبليس، إنه عدوٌّ مهزومٌ، لكنه خصمٌ قاسٍ عنيد، ولا ينبغي أن نستخف به. ليست له عواطف أو أحشاء رقيقة تجاهنا، وله رسالة واحدة وهي: أن يقتل ويسرق ويدمِّر.

إن ذهبت إلى وديان تنزانيا، في المناطق التي توجد فيها الأسود المفترسة للبشر، بالطبع لا تحب أن تسير في هذه الأماكن دون أن تحمل سلاحًا. إن لم تتسلَّح ففرصك أن

تخرج سالمًا من هذه المناطق ضعيفةٌ. إن كنت حكيمًا، ستحمل معك السلاحَ وتعرف أن تستخدمه. إن كنت مسلَّحًا متَّزنًا ومنتبهًا، ستكون مستعدًّا للدفاع، وستكسب المعركة، ولن تتعرض لأذًى. إن هذا هو ما ركَّز عليه بطرس.

قاوم إبليس

في (١بط ٥: ٩)، يحثنا الرسولُ بطرسُ بشدة بأن نقاوم إبليسَ. كلمة "قاوموا" هي الكلمة اليونانية "authistemi" عرَّف ثاير هذه الكلمة بأنها "أن تضع نفسَك ضد، تصمد، تقاوم". قال عنها ستروخ إن معناها "أن تثبت ضد". إلا أنه عندما بحثت في القاموس الذي لديَّ وجدت إن معناها "أن تمنع حدوثَ شيءٍ ما إما بالعمل أو بالحجة". بلا شك، فإن الكلمة تحوي في معناها صراعًا عنيفًا.

بينما نستعد للتسلُّح للمقاومة، تعالوا بنا نستمع إلى كلمات الرب يسوع: **"ها أنا أُعطيكُمْ سُلطانًا لتدوسوا الحَيّاتِ والعَقارِبَ وكُلَّ قوَّةِ العَدوِّ، ولا يَضُرُّكُمْ شَيءٌ" (لو ١٠: ١٩)**. أليست هذه كلمات مشجِّعة؟ إن وعد الله يؤكِّد لنا إنه إن سرنا في نعمته القوية، لا يستطيع أيُّ شيء أن يضرنا – حتى العدو نفسه! يا لها من كلماتٍ مهمةٍ.

لقد قرر الله أن يعطي كل السلطان للرب يسوع، وقد أعطاه الرب يسوع لنا

إلا أنه ينبغي أن تستخدم القوة التي أُعطيت لك. إن لم تستخدمها، لن يتحقَّق الوعدُ، ومن الممكن أن يصيبك أذى. لهذا السبب، يحثُّنا الرسول بطرس على أن نقاوم إبليس. لم يقل: "صلوا واطلبوا من الله أن يزيحه من أمامكم" لكن علينا أن نقاومه بصورةٍ مباشرةٍ، جريئةٍ وهادفةٍ.

لا نجد في أي مكانٍ في العهد الجديد تحريضًا لنا أن نطلب من الله أن يزيل الشيطانَ من حياتنا. الحقيقة هي أن الله لا يستطيع أن يفعل هذا! أدرك أنك قد تعتقد أني لا أملك الأسباب التي تجعلني أستخدم عبارة "لا يستطيع" وأنا أتحدث عن الله. لكن هذه حقيقة. إن الله أعطى الإنسانَ سلطات كثيرةً على الأرض، ولا يستطيع أن يتجاوز كلماته. لهذا السبب، لم يتدخل في تجربة الحية لآدم في الجنة. ولهذا أيضًا، أتى الرب يسوع كابن الإنسان لكي يهزم إبليسَ. ولهذا السبب، ينبغي على جسد المسيح أن يقاوموا إبليسَ وجنودَه.

لقد قرر اللّهُ أن يعطي كلَّ السلطان للرب يسوع. وقد أعطاه الربُّ يسوع لنا. كجسد المسيح، علينا أن نجاهد. لكن الكتاب يقول عن هذا الجهاد إنه **"الجهاد الحسن" (١ تي ٦: ١٢).**

مثالنا العظيم

إن كان علينا أن نتعلم كيف نقاوم إبليسَ، فلن نجد أفضل من شخص الرب يسوع لنتعلم منه. لعلنا نستطيع أن نتعلم الكثير من الوقت الذي قضاه في البرية.

"أمّا يَسوعُ فرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمتَلِئًا مِنَ الرّوحِ القُدُسِ،
وكانَ يُقتادُ بالرّوحِ في البَرِّيَّةِ أربَعينَ يومًا يُجَرَّبُ مِنْ إبلَيسَ" (لو ٤ :١-٢).

أخذت فترة التجربة أربعين يومًا. هذا معناه أن الرب يسوع كان عليه أن يقاوم ولم يستسلم. أول مواجهة بين الشيطان والرب يسوع دوَّنها الكتاب في هذه الفترة كانت عند اقتراب الأربعين يوم من النهاية؛ وكانت محاولة إبليس أن يجعل يسوع يستخدم قوته الإلهية ليثبت أنه هو ابن اللّه. كان يسوع جائعًا، لذلك عرض عليه العدو أن يحوِّل الحجارةَ إلى خبز. رد عليه الربُّ يسوع بحسمٍ وشجاعةٍ: **"مَكتوبٌ: ليس بالخُبزِ وحدَهُ يَحْيَا الإنْسَانُ، بل بكُلِّ كلِمَةٍ تخرُجُ مِنْ فمِ اللّهِ" (مت ٤: ٤).**

في هذه الحادثة، أجد على الأقل ثلاثة دروس: أولاً، أدرك الربُّ يسوعُ التجربةَ وتعامل معها بسرعة. لم يفكر أو يتأمل في العرض الذي قدَّمه له الشيطانُ، الأمر الذي قد يعطي لهذا العرض الشيطاني فرصةً للتفكير وقد يتم الاقتناع الداخلي به. علينا أن نتبع مثاله.

ثانيًا (وهو أمر في غاية الأهمية)، تحدث الرب يسوع بطريقةٍ مباشرةٍ إلى العدو. لم يصلِّ إلى أبيه لكي ما ينزع التجربة والمجرب، ولم يتواصل مع العدو بطريقةٍ غير مباشرةٍ بأن يقول: "ليست مشيئة اللّه أن يهمزني الشيطان، لذلك لن أستسلم لهذه التجربة". لكنه تعامل مع الشيطان بحزم وحسم. أنا وأنت ينبغي أن نفعل نفس الشيء. لقد حرضنا الكتاب وقال: **"ولا تُعطوا إبليسَ مَكانًا" (أف ٤: ٢٧).**

أخيرًا، تحدث الرب يسوع بكلمة الله المكتوبة. لاحظوا هذه الكلمة "مكتوب". لماذا من المهم أن نستخدم الكلمة؟ لأن كلمة الله هي سيفنا. يقول الرسول بولس: **"وخُذوا خوذَةَ الخَلاصِ، وسيفَ الرُّوحِ الذي هو كلِمَةُ اللهِ" (أف ٦: ١٧).** إن كلمة الله ليست سلاحًا ماديًّا، لكنها سلاحٌ روحي غير عادي. بلا شك، لقد طعن الربُّ يسوعُ العدوَّ بسيف الروح، وبلا شك، تألم العدوُّ من ذلك. إلا أن العدوَّ كان عنيدًا جدًّا، ولم يستسلم. لقد تلقَّى الطعنةَ المؤلمةَ لكنه استمر في الهجوم.

في التجربة التالية، قدم إبليسُ للرب يسوع طريقًا مختصرًا ليملك على جميع ممالك العالم، التي من خلال خطية آدم أصبحت ملكًا للشيطان. كل ما كان على الرب يسوع هو أن يخر ويسجد للشيطان. أجابه الربُّ يسوعُ: **"اذهَبْ ياشَيطانُ! إنَّهُ مَكتوبٌ: للرَّبِّ إلَهِكَ تسجُدُ وإيّاهُ وحدَهُ تعبُدُ" (لو ٤: ٨).**

قال الرب يسوع للعدو: "اذهب عني"؛ أي أنه يشبه ما يمكن أن نقوله "انسحب – ابتعد". ثم استخدم الربُّ يسوعُ كلمتَه ليطعن الشيطانَ مرةً أخرى.

استمرت التجارب إلى أن أخذ العدوُّ كلَّ الطعنات التي من الممكن أن يحتملها في مواجهةٍ واحدةٍ. يسجل لوقا: **"ولَمّا أكمَلَ إبليسُ كُلَّ تجرِبَةٍ فارَقَهُ إلَى حينٍ" (لو ٤: ١٣).**

معوِّقات راعٍ

منذ عدة سنوات، جاء أحد الرعاة (سأسميه كين) إلى مكتبي. كان كين صغيرًا وسيمًا وقويًّا، وكان لديه زوجة مباركة وأولاد. قبل أن يأتي للمسيح، كان مدمنًا. كان كين ممتنًّا جدًّا لأنه أُعتِق من الإدمان ونال الخلاص، وكان يبكي كثيرًا في فترة العبادة. كانت محبته الشديدة للرب يسوع تلمسني بعمق. كان كين رقيقًا، زوجًا مثاليًّا وأبًا رائعًا. كان بالتأكيد يدرك مدى غفران الله له، لذلك أحب كثيرًا.

إلا أنه كان يجتاز في حربٍ شديدةٍ لعدة أشهر، ولم يُخبِر أحدًا بهذا. أخيرًا، لم يستطِع أن يصمد أمام الضغوط، وقرر أن يشاركني في الأمر. عندما دخل إلى مكتبي، كان وجهه يدعو إلى الشفقة.

سألته: "ما الذي أصابك؟"

بدأ كين يقص عليَّ بعضًا من تاريخ أسرته: كثيرون من الذكور في أفراد عائلته أُصيبوا بأزماتٍ قلبيةٍ وماتوا في سن مبكرة. قال لي: "جون، أنا أصارع في داخلي الخوفَ من الموت من أزمةٍ قلبيةٍ. لقد ذهبت إلى الطبيب لأجري فحصًا شاملًا، وكان كل شيء على ما يرام. إلا أنني لا أستطيع أن أُبعِد فكرة أنه من الممكن أن أموت فجأةً. هذه الفكرة تشغلني طوال الوقت. إلا أنه في بعض الأوقات، تتغلب عليَّ، عندئذٍ، يصيبني العرق بشدة، وتتبلل ملابسي تمامًا. يحدث هذا في الليل، أو عندما أكون بمفردي، بل أحيانًا عندما أكون مع الناس أو في الخدمة في الكنيسة. يبدو أني لا أستطيع أن أتحكم في الخوف، فهو يباغتني فجأة، دون سابق إنذار، ويتملَّكني.

لقد صليتُ بحرارةٍ، وطلبت من الله أن ينزع مني الخوفَ ويساعدني لكي لا أستسلم لمشاعر الخوف".

تدخلت في الحديث وقلت له:

"كين، لهذا السبب أنت لا ترى أية نتائج. أنت تصلي إلى الله، لكنك لا تتكلم مباشرةً إلى العدو كما فعل الرب يسوع في البرية. لقد قال لنا الرب: «**فاخضَعوا للّهِ. قاوِموا إبليسَ فيَهرُبَ مِنكُمْ**» (**يع ٤: ٧**). عليك أن تعمل هذا! إن الرب يسوع هزم الشيطانَ، ثم صعد إلى السماء وجلس عن يمين عرش الله. قبل أن يصعد، أعطانا السلطانَ والقوةَ لكي ننفِّذ إرادته على العدو المهزوم، وقد أوضح الربُّ يسوعُ هذا الأمرَ عندما قال: «**الأرواحَ تخضَعُ لكُمْ**» (**لو ١٠: ٢٠**). ينبغي أن تطيعك. لقد أوصانا الربُّ أن نستخدم كلمته، وأن نخاطب العدوَّ ونأمره".

كان صديقي يصغي لي باهتمام، لذلك أكملت وقلت: "كين، هناك أوقات يستمر فيها العدو في مضايقتي حتى يصبح الأمرُ خارج حدود السيطرة. في هذه الحالة، أخرج خارج الحجرة أو البيت لمكانٍ منعزل عن الناس، بحيث لا يسمعني أحد، وهناك، أعلن بصوتٍ عالٍ؛ لأن الصلاة الحارة معناها أن أعطي كلَّ ما عندي من نفس، روح وجسد. إن الجزء "الجسدي" هنا يعني أن أتحدث بصوتٍ عالٍ، لهذا، أقول: "يا إبليس إذا كنت قد

أتيت لتحاربني، فأنا مستعدٌّ! لكني أقول لك مسبقًا إنك سوف تنال طعنةً أخرى؛ لأني أمتلك سيفًا وأنت لا تمتلك أيَّ شيءٍ. لذلك، سآخذ سيفَ الروح وسأقطِّعك إلى قطع، وإن لم تهرب سوف أقطِّع هذه القطع إربًا إربًا. حتى تهرب مذعورًا". وهنا أبدأ في التحدُّث بكلمة الله..."

استمع كين وأنا أشاركه ببعض الأجزاء من كلمة الله التي تتحدث عن الشفاء، الحرية من الخوف، العتق والإمداد. وضحت له كيف يأخذ الوعودَ المكتوبةَ ويحوِّلها إلى سيفٍ للقتال. قلت لكين إن عليه أن يتكلَّم مباشرةً وبحماسٍ إلى روح الخوف. تحدثنا معًا لفترةٍ طويلةٍ وصلَّيت لأجله ومضى.

بعد ستة أشهر، عاد كين وكانت تبدو عليه علامات الاكتئاب. كانت ملامحه تدل على أنه مضغوط. سألته عن حاله، وكنت أعرف مسبقًا ما الذي سيقوله.

قال: "جون، الحالُ أسوأ من ذي قبل. ينتابني الخوفُ أكثر ممَّا كنت عندك منذ ستة أشهر. إنه يحدث الآن كل يوم: أتصبب عرقًا، وتبتل كل ملابسي من الداخل للخارج، وتهتز ثقتي بنفسي. لقد أثَّرت هذه الحربُ على خدمتي!"

انحنى كين للأمام، وتحدَّث بنوعٍ من الخوف وقال: "جون، لقد صُمتُ وصلَّيتُ وتضرَّعتُ باكيًا أمام الله ليساعدني. لم أتلقَّ أيةَ إجابةٍ، ولم أُشفَ ممَّا أنا عليه. أنا على وشك أن أفقد عقلي".

بدأت تراودني الشكوكُ وسألته: "كين، هل فعلت بالتمام ما قلته لك منذ عدة أشهر؟ هل ذهبت إلى مكانٍ منعزل وبدأت تحارب الشيطانَ مواجهةً؟ هل واجهته بكلمة الله؟"

أجاب: "في الواقع... لا؟"

بدأتُ أغضب وقلت: "كين، لن يحدث لك أيُّ تغييرٍ إلا إذا واجهتَ العدوَّ بسيفِ الروح الذي هو كلمة الله".

أحنى رأسَه وكنت أرى أنه بدأ في الانسحاب. أعتقد أن كين لم يكن موافقًا على مشورتي له، لكنه أتى لأنه كان يدرك أن هناك البعض أتوا إليَّ ونالوا المساعدة. كان

بحق رجل إيمان، ويثق في أن الله قادر أن يستجيب إلى صراخه، إلا أنه لم تكن هناك استجابة، الأمر الذي أصابه باليأس.

جلست أفكر في توضيحٍ أقدِّمه له، وفجأة أعطاني الروحُ القدسُ مثلًا وقلت له: "كين، إن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هو الرئيس الرسمي لكل القوات المسلحة الأمريكية، إنه مدير وقائد كل أفراد الجيش.

تخيَّل أن أحد جنودنا وهو في ساحة المعركة، والعدو يهاجمه من كل جانب، إلا أن هذا الجندي لا يرد ويقف صامتًا. في ظل هذا الجو المخيف والمرعب، اتصل هذا الجندي بالبيت الأبيض، وعندما رد عليه الرئيس توسل إليه هذا الجندي وقال: "سيدي الرئيس، النيران تحيط بي من كل جانبٍ، العدو يصوِّب عليَّ نيرانه ويريد قتلي. سيدي الرئيس من فضلك تعالَ واقتل الأعداءَ الذين يحاولون قتلي. أنا في حالةٍ من الخوف الشديد واليأس! أتوسل إليك تعالَ وساعدني!"

سألت كين: "إن حياة هذا الجندي في خطرٍ حقيقي، كيف سيستجيب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لطلبه؟"

أكملت في الإجابة على سؤالي: "سيصرخ الرئيسُ في وجه الجندي ويقول: "ما الذي فعلته هذا بأن تتصل بي؟ لقد أعطيتك أفضل تدريب عسكري، وأعطيتك سلطانَ الولايات المتحدة الأمريكية لتقتل الأعداءَ. أيها الجندي، اترك التليفون فورًا وصوِّب سلاحَك تجاه العدو الذي يحاربك. قاتل عدوك!" يُنهي الرئيسُ المكالمةَ ويتوقع أن يقوم الجندي بمهامه".
رأيت النورَ بدأ يشرق على وجه كين

أكملت الحديث وقلت: "كين، لقد أُعطِي لك سيفٌ، أما العدو الذي يحاربك لا يمتلك أيَّ سلاحٍ. في واقع الأمر، إنه مجرَّدٌ من سلاحه؛ فقد انتصر الربُّ على الصليب على الرؤساء والسلاطين، ونزع عنهم سلاحهم وساقهم أذلاء في موكبه الظافر (كو ٢: ١٥). أنت تمتلك سلاحًا أصليًّا، أما ما يمتلكه الأعداءُ فليس إلا سلاح الترويع. ليس هذا فقط، لكن لديك كل القوة والسلطان الذي أُعطِي لك في اسم يسوع. لقد قال

الكتابُ إن كل ركبةٍ ستجثو باسم يسوع، وسيعترف كلُّ لسانٍ أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (في ٢: ١٠ -١١).

لقد أعطاك اللّهُ سلاحَه: درع البر، ترس الإيمان، خوذة الخلاص، وقطعًا أخرى. إن ترس الإيمان سوف يطفئ جميعَ نيران العدو الموجَّهة ضدك. قال الله: «**كُلُّ آلَةٍ صوِّرَتْ ضِدَّكِ لا تنجَحُ، وكُلُّ لسانٍ يَقومُ علَيكِ في القَضاءِ تحكُمينَ علَيهِ. هذا هو ميراثُ عَبيدِ الرَّبِّ وبرُّهُمْ مِنْ عِندي، يقولُ الرَّبُّ**» (**إش ٥٤: ١٧**). كين، الله يعلن لك أنك أنت هو الشخص الذي عليك أن تقاوم كلَّ هجوم. إن الله لا يعمل هذا. عليك أن تواجه العدوَّ وتتحدث مباشرةً إليه. أنت مستمر في طلبك لله، لكن الله يقول - كما قال الرئيس للجندي في المثال السابق ـ "صوِّب عليه سلاحَك" أو "اطعنه بسيفك!""

نظر كين إليَّ. رأى المنطق والحكمة في المثل الذي أرشدني به روحُ الله. ترك مكتبي ممتلئًا بالإيمان والرجاء. بعد ثلاثة أسابيع، أتى إلى مكتبي، وكانت تعلو وجهه ابتسامةٌ عريضةٌ، وكان هناك بريق في عينيه، وتكلم بحماسٍ وقال لي: "جون، أريد أن أقول لك ما حدث!"
انحنيت للأمام متوقعًا تقريرًا رائعًا.

قال كين: "كنت في طريقي إلى الكنيسة في صباح الأحد عندما بدأت أشعر بالخوف الرهيب من أن أصاب في أية لحظةٍ بأزمةٍ قلبيةٍ ميتةٍ. بدأ العرقُ يتصبَّب مني، وبدأت ملابسي تبتل. لكن لم أصرخ للرب كما كنت أفعل دائمًا في الماضي. كان الكيل قد فاض بي وتملَّكني الغيظُ من الشيطان. غضبتُ غضبًا شديدًا، وبدون أن أحذِّر زوجتي التي كانت تجلس بجواري، ضربتُ بعنف بقبضة يدي على لوحة السيارة. انتفضت زوجتي مذعورةً! صِحتُ عاليًا وقلت: "لقد فهمتُ أساليبك، سأطرح عني الخوف!" وبدأت أتحدث بصوتٍ عالٍ عمَّا هو مكتوب في كلمة الله بخصوص حياتي.

عندما ضربت بعنف على لوحة السيارة، وصرختُ قائلًا: "أنا فهمت أساليبك!" فجأة رأيت رؤيا في داخل قلبي. رأيت الربَّ يسوعَ جالسًا على عرشه في السماء، وفي اللحظة التي واجهتُ فيها الشيطانَ رأيت الربَّ يسوعَ يقفز بفرحٍ وهو يفتح ذراعيه لي ويقول: "حسنًا!""

بدأ كين يضحك وهو يقول: "جون، كأن الرب يسوع يريد أن يقول لي، لقد كنت أنتظر أن تفعل هذا منذ فترةٍ، وأنا سعيد أنك في النهاية تصرفت هكذا".

لم يتعرض كين لنوبات الخوف مرةً أخرى، ولم يُصَب بالاكتئاب. الآن، وقد مر على هذا الأمر عشرون عام، ما زال هذا الخادم العزيز في صحةٍ جيدةٍ، يرعى كنيسةً من الكنائس الكبرى في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية. يتمتَّع بصحةٍ جيدةٍ وحياةٍ روحيةٍ ساميةٍ.

قاوم بمثابرةٍ

تعالوا بنا ندقِّق في كلمات الرسول بطرس:

"اُصحوا واسهَروا. لأنَّ إبليسَ خَصمَكُمْ كأسَدٍ زائرٍ، يَجولُ مُلتَمِسًا مَنْ يَبتَلِعُهُ هو. فقاوِموهُ، راسِخينَ في الإيمانِ، عالِمينَ أنَّ نَفسَ هذِهِ الآلامِ تُجرَى علَى إخوَتِكُمُ الذينَ في العالَمِ" (١بط ٥: ٨-٩).

نتذكَّر في الفصل الأول أننا قلنا إن كلمة "مثابرة" هي مرادف لكلمة "راسخين". إن الكتاب المقدس لم يعلِّمنا أنه إن قاومنا العدوَّ مرةً سوف يذهب عنا ولا يحاول أن يأتي مرةً ثانيةً. بل على العكس: إنه سيحاول مرةً ومرات. في خلال سنوات خدمتي، أدركتُ أن هذا الفكر هو الذي يجعل المؤمنين يُصابون بالإحباط ويختبرون الفشلَ.

أقدِّم لكم قصةً أخرى لتوضيح هذا الأمر: عندما كانت ليزا طفلةً كانت تعاني من مغص شديد. هذا الأمر يحدث لأطفالٍ كثيرين قبل أن يتموا عامهم الأول. كل الأطفال يبكون، لكن الطفل المصاب بالمغص يبكي لساعاتٍ طويلةٍ، ولا يوجد شيء تستطيع أن تفعله ليخفف هذا الألم. هذا البكاء المستمر قد يحدث يوميًّا. والأمر قد يطول لبضعة أشهر. لا يعرف الأطباء على وجه التحديد ما الذي يسبِّب هذا المغص، لكن يعتقد الكثيرون أنه نتيجة عدم نضوج الجهاز الهضمي.

كان ابننا الأكبر أديسون، يعاني أيضًا من هذا المغص. أتذكَّره وهو يبكي بشدة دون أن يكون هناك سبب واضح للبكاء. كان بكاؤه مستمرًّا. كنا نربت على ظهره، ونحاول

أن نهدهده، ونغني له، لكنه كان يستمر في البكاء. شعرنا بالعجز؛ لأننا لم نستطِع أن نريحه. بعد فترةٍ أخذته بين ذراعي وأمرتُ الألمَ أن يفارق جسدَه. تحدثت بطريقةٍ مباشرةٍ إلى جهازه الهضمي، ثم صليت بصوتٍ عالٍ بالروح، وبعدها استسلم أديسون للنوم.

ذات ليلةٍ، كانت ليزا في حجرة النوم الرئيسية، وكنت أنا نائمًا. فجأة، سمعنا صوت بكاءٍ شديد من غرفة طفلنا. نادتني ليزا وقالت: "لقد عاوده المغصُ ثانيةً".

نهضت من فراشي، ونظرت إلى الساعة وكانت الساعة ١٢,١١ صباحًا. أسرعتُ إلى غرفة طفلنا، حملت أديسون، وانتهرتُ الألمَ وأمرتُه باسم الرب يسوع أن يترك جسدَ الطفل. ثم صلَّيت في الروح إلى أن نام أديسون. استغرق هذا الأمرُ حوالى ١٥ دقيقة.

في الليلة التالية، كنت أنا وليزا في غرفة النوم وسمعنا صراخًا شديدًا. أعترف بأنني فكرت قائلًا: "ما فعلته لم ينجح! لقد استمريت أصلي لأجله، لكنه لم يتحسَّن. فصلاتي غير فعالة وبلا إيمان". طردتُ هذا الفكر من ذهني، واستبدلته بما تقوله كلمة الله عن الصلاة المستجابة. قلت لليزا سأهتم أنا بموضوع ابننا.

نهضت ونظرت إلى الساعة وكانت الساعة ١٢,١١ صباحًا. ظننتُ أن هذه مجرد صدفة. أسرعت إلى حجرة طفلنا أديسون، احتضنتُه، أمرتُ الألمَ باسم الرب يسوع أن يذهب وصلَّيت بالروح حتى نام. استغرق هذا الأمرُ ما بين ١٠، ١٥ دقيقة.

في اليوم التالي، كانت ليزا تدهن وجهها ببعض الكريمات وكنت أنا في الفراش، ولليلة الثالثة على التوالي سمعنا بكاء ابننا. هذه المرة راودني تفكير غريب: "جون، لقد صليتُ لأجل أديسون لمدة أسبوعين. لقد صليت في الليلة الماضية. واجه الأمر. لم يتحسن الطفل. صلاتك غير فعالة!" طردت هذه الأفكارَ من ذهني، واستبدلتُها بكلمة الله، ثم نهضتُ من فراشي.

لليلة الثالثة على التوالي في الساعة ١٢,١١ صباحًا، بدأ ابني يصرخ، فتملَّكني الغضبُ. ذهبتُ إلى غرفة ابني، رأيته وهو يتألم، وضعت يدي على صدره. نظرت إلى طفلي الصغير وشعرت أني لست أنا الذي أنظر إليه بل كما لو كان روح الله ينظر إليه من خلال عينيَّ.

بغضبٍ وبسلطانٍ صرختُ وقلت: "يا روح الإعاقة والمغص والمرض، لقد تسببت في عذاب ابني! أنا أكسر هذه اللعنة التي كانت تسري في عائلة ليزا، وآمرك باسم الرب يسوع المسيح أن ترفع يدَك النجسة من على أديسون! عليك أن ترحل الآنَ ولا تعود مرةً أخرى". قد تظن أن هذا الأمر تسبَّب في رعبٍ للطفل، لكن على العكس، توقف الطفلُ عن البكاء في الحال، نظر إليَّ برقة، ثم أغمض عينيه ونام. كانت هذه هي المرة الأخيرة التي بكى فيها بسبب المغص. من هذه الليلة فصاعدًا، كان طفلًا طبيعيًّا سعيدًا. توقف العدو؛ لأنه تعب من الطعن بالسيف. هرب من أديسون ولم يَعُد مرةً ثانيةً.

أنجبنا ابننا الثاني أوستين بعد أقل من ثلاث سنوات من ابننا الأكبر. بعد عدة شهور من مولده، بدأ يعاني من نفس الأعراض التي كان يعاني منها أديسون. كنت أدرك الوضعَ، وكنت على استعدادٍ أن أخوض معركةً ثانيةً. تكلمتُ بسلطانٍ مرةً واثنتين وتوقف بكاء الطفل الشديد. لم يعد أوستين يعاني من المغص بعد ذلك. بعد عدة سنوات، أنجبنا ابننا الثالث أليك، لم يعانِ من مشكلة المغص. لقد تم كسر الدائرة التي يدور فيها إبليس. أتخيَّل أن العدوَّ فكر وقال: "إذا حاولتُ مرةً أخرى، فهذا معناه أن أتلقَّى طعنات شديدة بالسيف – كلمة الله".

عزيزي، كن مثابرًا في مقاومة إبليس. انتهره مباشرةً وبعنفٍ من خلال السلطان المُعطَى لك من الرب يسوع. ينبغي أن يكون تصميمُنا على أن نعتق من القيود، أكبر من تصميم العدو على أن يقيِّدنا ويتسلط علينا.

لا أنسى اختبار هذا المُرسَل العظيم الذي كان يخدم وسط الهنود في المكسيك. كان يعمل في قرى صغيرة فوق الجبل، وكان قد ربح كلَّ سكان إحدى هذه القرى للمسيح من خلال خدمته والفريق المعاون له. ذات يوم، أيقظه سكانُ القرية. كان هناك صوت صخب شديد في القرية. لقد مات طفل لزوجين من أعضاء الكنيسة. طلب أفراد الأسرة من المُرسَل أن يذهب إلى منزلهم ويصلي. في الحال، نهض وذهب إلى بيتهم، وأمر روحَ الموت أن يترك الطفل. في خلال دقائق قليلة، بدأ الطفلُ يسعل، يعطس ويتنفس. لقد قام الطفلُ من الموت! احتفل الجميعُ، وعاد المُرسَلُ إلى بيته ونام.

بعد قليل، أتوا وقرعوا على باب بيته، لقد مات الطفلُ للمرة الثانية. نهض المُرسَل، وذهب إلى حيث الطفل، وانتهر روحَ الموت، وعادت الحياةُ إلى الطفل. قال المُرسَل أنه كان

عليه أن يقاوم روحَ الموت عدة مرات في هذه الليلة قبل أن تترك الولد نهائيًّا.
عاش الطفلُ، وفي وقت كتابة التقارير لإرساليته، أعلن المُرسَل أن هذا الطفل من أكثر الأطفال في القرية الذين يتمتَّعون بصحةٍ جيدةٍ.

تمسَّك

في أحيانٍ كثيرةٍ، شاهدت أشخاصًا عانوا من حالات فقدٍ مؤلمةٍ؛ فقد نال بعضُ الأشخاص بركات، شفاء ومعجزات من الله، لكن في خلال أيام، أسابيع، شهور، أو سنين فقدوا كلَّ ما نالوه. لهذا السبب، يحثُّنا الكتاب على أن "نتمسك بالحسن" (١ تس ٥: ٢١). ينبغي على كل مؤمن أن يتأمل ويتذكر هذا التحريض الذي تعلمته منذ بداية حياتي مع المسيح.

في أثناء فترة المراهقة، كنت أعاني من ألمٍ مزعجٍ في أسفل الظهر. بعد حوالي سنة من قبولي المسيح، حضرتُ اجتماعًا مع أحد أصدقائي. قالت السيدة التي كانت تقود الاجتماع: "هناك شخص حاضر معنا في هذه الليلة يعاني من ألم في الظهر، خصوصًا في المنطقة السفلى".

أدركت على الفور إنها كانت تقصدني، لكن كنت قلقًا من أن أظهر علانيةً في المشهد. لقد قضيتُ أغلب حياتي في الكنيسة الكاثوليكية، ولم أكن معتادًا على هذه الطريقة التي يدعو فيها الخادم أحدًا للتقدم. ظللت جالسًا في مكاني. عندما استمرت السيدة في حديثها، شعرتُ بالارتياح.

بعد عشر دقائق قالت: "أنا متأسفة، الله لا يريد أن يترك هذا الأمرَ. هناك شخصٌ حاضرٌ معنا يحتاج إلى شفاء ظهره".
فكرت ثانيةً وقلتُ لنفسي: "لن أخرك وأذهب إلى الأمام أمام كل هؤلاء الناس". إلا أنه في هذه المرة، كان الروح القدس يدفعني لأخرك، لذلك تخلَّيت عن كل اعتباراتي وقررت أن أستجيب. صلَّت السيدةُ وزوجُها لأجل ألم ظهري، وشُفيتُ في الحال. كنت مندهشًا! كنت أعاني من الألم لسنواتٍ طويلةٍ. كنت مندهشًا لما فعله معي اللهُ في تلك الأمسية.

لم يعاودني ألمُ الظهر لمدة أسابيع. كان الأمر مدهشًا! كنت سعيدًا بأنني أستطيع أن أنحني لأغسل أسناني أو وجهي دون أن أشعر بألمٍ في ظهري. كنت سعيدًا وممتنًّا بما فعله معي الله.

بعد حوالي شهر، كنت مستلقيًا على السرير على وشك النوم، عندما دخل إلى غرفة نومي شيءٌ ما. لم أستطع أن أراه، لكني أحسستُ به. كانت غرفتي مضاءةً بنور القمر، لكن لم يكن هذا الضوء كافيًا ليجعلني أرى بوضوح. فجأة، شعرتُ بنفس الألم الذي كنتُ أعاني منه لسنواتٍ وقد بدأ يعاودني في ظهري. طرأ على ذهني هذا التفكير: "لقد فقدتَ شفاءَك! انتهت الأيام التي لم تكن تشعر فيها بالألم. سيعاودك الألمُ بقية عمرك".

كمؤمنٍ حديث، كنت أنهل من كلمة الله، وكان لدي الإدراك أن هذا هجومٌ من إبليس. كان العدو يريدني أن أصدق هذه الأكذوبة بأن الألم سيستمر على الفور، نهضتُ من على فراشي، سرتُ على الأرض، وصرختُ: "يا إبليس، لقد نلتُ الشفاء منذ أسبوعين، وأنا متمسِّكٌ به! يقول الكتابُ إننا قد شُفينا بجلدة الرب يسوع. لن تضع الألمَ على ظهري مرةً ثانيةً. سأستمر بلا ألمٍ. لذلك، آمرك باسم الرب يسوع المسيح أن تترك جسدي وبيتي الآن!"

أضاءت الحجرة. انقشع الخوفُ الذي صَاحَب الألمَ، وذهب الألمُ على الفور. لم أشعر بألمٍ في ظهري منذ ذلك الحين.

قال الرب يسوع: **"ها أنا آتي سريعًا. تَمَسَّكْ بما عِندَكَ لِئلا يأخُذَ أحَدٌ إكليلكَ"** (رؤ ٣: ١١). علينا أن نثابر في تمسُّكنا بما أخذناه من الله.

علينا أن نثابر في تمسُّكنا بما أخذناه من الله.

إحدى القصص المُحزِنة التي رأيتُها، كانت قصة رجل نال شفاءً معجزيًّا في أمسية إحدى الليالي في خدمة الكنيسة؛ حيث كنت أنا المتكلم. كان الجمع كثيرًا، وبالتالي، في نهاية الاجتماع، صلَّيتُ للجميع. لاحظت رجلًا في وسط هذا الجمع الغفيرينحني، ويبكي. ذهبتُ إليه لأرى ماذا حدث. كان قد أجرى عدة عملياتٍ جراحيةٍ في ظهره، وتَرَكَت لديه عاهات مستديمةً. كان يعاني

من ألمٍ مُزمِنٍ، لكنه الآن شُفي تمامًا. لقد بكى وبكى وبكى من الفرح. لم أَرَ رجلًا يبكي مثله لأجل الشفاء المدهش الذي ناله.

بعد عدة أسابيع، التقينا بالمصادفة في أحد المطاعم. كان مبتسمًا جدًّا، ويتمتع بحيويةٍ. قصَّ لي كيف أنه شُفِي تمامًا من العجز، والآن يتمتَّع بحريته. كنت سعيدًا لما حدث له.

بعد أكثر من سنة، رأيته ثانيةً، لكنه لم يستقبلني بابتسامةٍ كما فعل من قبل. في واقع الأمر، لم يقترب مني. عرفته وسألته عن حاله. قال لي إن مشكلة ظهره عاودته مرةً أخرى. كان يتساءل هل الشفاء الذي ناله في الاجتماع شفاءً حقيقيًّا؟ كان يحاول أن يؤكِّد لي أن عودة المرض بالنسبة له ليست أمرًا سيِّئًا؛ لأن الله يريد أن يعلِّمه بعضَ الدروس من خلال الألم. حاولت أن أشاركه بكلمات الرب أن "يتمسَّك"، لكنه كان غير مهتم بما أقوله. لقد أقنع نفسَه بعكس هذا الكلام.

هذا الرجل يعيش إلى يومنا هذا وهو أب فاضل وزوج رائع، لكنه يحمل حملًا ثقيلًا من الألم، لقد دفع الرب يسوع الثمنَ ليحرِّره منه.

من المستحيل ألَّا تأخذ

أريد أن أقول الآن أمرًا مهمًّا: إن كنت تؤمن وتثابر في مقاومة العدو، ستنتصر دائمًا. دعونا نتمسك بهذا الوعد بشدة **"قاوِموا إبليسَ فيَهرُبَ مِنكُمْ" (يع ٤: ٧).**

جاءت الكلمةُ التي تُرجِمت "يهرب" في اليونانية "pheugo' ومعناها "يختفي من المشهد، أن يجري بعيدًا، أن يهرب، أن يفضِّل سلامتَه فيجري". قال البعضُ إن هذه الكلمة معناها "أن يهرب مذعورًا". هذا أمرٌ رائعٌ! إن كلمة الله لم تَقُل إن إبليس قد يهرب منكم. لا، إن قاومته سوف يهرب بالتأكيد. إنه يكره المواجهة والمقاومة المؤسَّسة على كلمة الله!

عليك أن تدرك أن العدوَّ يخاف منك! عندما ينظر إليك، لا يرى ما يراه صديقُك فيك، لكنه يرى الربَّ يسوع المسيح. أنت جسد المسيح، أنت ممسوحٌ من الله. لقد أصبحتَ مشابهًا لصورة ذاك الذي هزم إبليس، ونزع منه كلَّ أسلحته. أنت مصدرُ تهديدٍ قوي له.

البعض منا يسمح لخيالِه أن يضخِّم من قوة الشيطان، لكنه تحت أقدامنا نحن جسد المسيح. حتى لو كنت تمثِّل أصغر أصابع القدم من هذا الجسد، فكل قوة العدو تحتك. يعلن لنا الكتاب:

"كيفَ سقَطتِ مِنَ السماءِ يازُهَرَةُ، بنتَ الصُّبحِ؟ كيفَ قُطِعتَ إلَى الأرضِ ياقاهِرَ الأُمَمِ؟ وأنتَ قُلتَ في قلبِكَ: أصعَدُ إلَى السماواتِ. أرفَعُ كُرسيِّي فوقَ كواكِبِ اللهِ، وأجلِسُ علَى جَبَلِ الِاجتِماعِ في أقاصي الشَّمالِ. أصعَدُ فوقَ مُرتَفَعاتِ السَّحابِ. أصيرُ مِثلَ العَليِّ. لكنكَ انحَدَرتَ إلَى الهاويَةِ، إلَى أسافِلِ الجُبِّ. الذينَ يَرَوْنَكَ يتطَلَّعونَ إلَيكَ، يتأمَّلونَ فيكَ. أهذا هو الرَّجُلُ الذي زَلزَلَ الأرضَ وزَعزَعَ المَمالِكَ" (إش ١٤: ١٢-١٦).

تاريخيًّا كان إشعياء يكتب عن ملك بابل. إلا أن الأسفار النبوية غالبًا تحمل معنيين – معنًى طبيعيًّا ومعنًى روحيًّا. عندما كتب إشعياء عن الشخص الذي دمر بقوته الأشخاصَ، الأُسَرَ، الأمم، فهو يتكلم من الناحية الروحية عن الشيطان. يخبرنا إشعياء أن مصيره هو وجنوده في الهاوية، في أسافل الجب، في بحيرة النار حيث **"سَيُعَذَّبونَ نهارًا وليلاً إلَى أبدِ الآبِدينَ"** (رؤ ٢٠: ١٠).

إن كنت تؤمن وتقف ضد قوى الشر المعادية، سوف تنال بركات وتحريرًا من الله. قد تكون هذه في مجال المال، الصحة، العمل، الخدمة أو في قدرتك على مساعدة الآخرين. إن كنت تحارب بسيف الروح، سوف تتربع على القمة كل مرةٍ، كما فعل الرب يسوع.

كلمة تحذير

قبل أن نُنهي هذا الفصلَ، أود أن أتحدث عن تجاوزين رأيتهما في جسد المسيح: التجاوز الأول أن ترى الشيطانَ وراء كل أمر، مثل هؤلاء المؤمنين يُصابون بنوعٍ من الوسواس الشيطاني، فيرون الشيطانَ في كل أمر، لدرجة أنهم لم يعودوا يرون سيدهم. هذا الأمر غير صحي.

أما التجاوز الثاني فهو، أن تحب الربَّ لكن تتجاهل العدوَّ تمامًا، مثل القس كين الذي زارني في مكتبي. هؤلاء المؤمنون يفكرون ويقولون: "إن لم أعِر الشيطانَ انتباهًا، سوف

يذهب بعيدًا" إن هذا الفكر بعيد تمامًا عن الحقيقة. لقد أوصانا الربُّ أن نقاوم إبليسَ ونستمر في المقاومة حتى تسود إرادةُ الله. علينا أن ندرك أن الأمور التي لا نواجهها باسم الرب يسوع لن تتغير. لا تخجل من المواجهة! إن هذا هو واجبك كمواطنٍ في الملكوت. إن هذا تعبيرٌ عن طاعتك لله. إن هذا ما ستفعله من خلال قوة الله العظيمة التي أعطاها لك بالنعمة.

إن الكتاب يعلمنا كيف نعيش بسلوكٍ روحي سليمٍ؛ فلقد أوصانا قائلًا: "**وَلْنُحاضِرْ بالصَّبرِ في الجِهادِ المَوْضوعِ أمامَنا، ناظِرينَ إلَى رَئيسِ الإيمانِ ومُكَمِّلِهِ يَسوعَ**" **(عب ١٢: ١-٢)**. إن الحياة المستقيمة هي التي تركِّز البصرَ على الرب يسوع، وتستمر في هذا. إن أتى إبليس أو أحد جنوده أمامك، اطرده! قاومه وسوف يهرب! ثم ركِّز النظرَ مرةً أخرى على يسوع فهو الشخص الذي أعطاك الإيمانَ، وهو الشخص الذي سيتمِّمه فيك.

١٤

أعلى أشكال المقاومة

"فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ، عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ"
(١ بط ٥: ٩).

افترض أن قوى عسكرية شريرة قد غزت بلادك واستعمرتها لسنواتٍ طويلةٍ. لتستطيع أن تحرر بلادَك، تحتاج لا أن تدخل في مواجهةٍ مباشرةٍ مع العدو في معركة فحسب، بل أن تتخلص من كل المعاقل التي أسَّسها العدو، مثل حقول ألغام، أشراك، أو قواعد، داخل البلاد – وأشياء أخرى كثيرة.

إلا أن واحدًا من أكثر المعاقل صعوبةً في مكافحتها هي طريقة التفكير الشريرة والملتوية التي غرسها العدو في عقول شعب تلك البلدة المستعمَرة. هذا النوع من المقاومة لا يمكن مقاومته بطريقةٍ مباشرةٍ؛ لأنها مقاومة على المستوى النفسي وليست مقاومةً تستلزم قوةً جسديةً. إذا لم تستطع أن تكسب هذا الجزءَ الماكرَ من الحرب، ستخسر كلَّ المكاسب التي يمكن أن تكسبها من خلال المقاومة المباشرة.

في هذا الفصل، سوف نتسلح لهذا النوع من المقاومة. يحتاج هذا النوع من المقاومة للثبات والصمود، تمامًا مثل السلاح الذي نحتاجه للمقاومة المباشرة. إذا لم نتسلح بهذا السلاح، ستصبح كل مقاومتنا بلا فائدة. كتب الرسول يعقوب مؤكدًا على هذا الجانب من الأسلحة: **"فَاخْضَعُوا للهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ"** (يع ٤: ٧).

في هذه الآية، يوضح يعقوبُ أن أهم طريقة لمقاومة إبليس هي من خلال الخضوع لله. أي أن نعيش في إيمانٍ ثابتٍ وطاعةٍ لله. إذا فعلنا ذلك، نستطيع أن نُدخِل مبادئَ الله للعالم، وخصوصًا للمناطق الفاسدة والملتوية. الطاعة الكاملة هي الطريقة الأساسية التي بها نستطيع أن نهدم حصونَ العدو ونتغلب عليه، وهكذا، نستطيع أن نختبر مستوًى أعلى من السيادة والسلطان.

"لأَنَّنَا وَإِنْ كنَّا نَسْلُكُ فِي الْجَسَدِ، لَسْنَا حَسَبَ الْجَسَدِ نُحَارِبُ. إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قادِرَةٌ باللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ، وَمُسْتَعِدِّينَ لأَنْ نَنْتَقِمَ عَلَى كُلِّ عِصْيَانٍ، مَتَى كَمِلَتْ طَاعَتُكُمْ" (٢ كو ١٠: ٣ -٦).

تتركز معاقلُ العدوِّ في الأفكار، المنطق، الآراء الفكرية، التخيُّلات أو أية أنماطٍ نفسيةٍ تضاد فكرَ وإرادةَ الله. هذه تشمل الغيرة، الطمع، الأنانية، الاستغلال، الشهوة، الكراهية، النزاع، الإغراء والحسد. مثل هذه الاتجاهات القلبية والفكرية تضاد الحق الإلهي، و تخلق صراعًا روحيًّا حقيقيًّا. إلا أن الرسول بولس أوضح أن طاعتنا تمكِّننا من إخماد هذه الأشكال من عدم الطاعة لله.

النمو في المسيح

كما ذكرتُ في فصلٍ سابقٍ، فإن مستوى السلطان والقوة اللذين نتمتع بهما، يزداد كلما استطعنا أن نتعامل مع الصعاب بنجاحٍ. بكلماتٍ أخرى، نحن نتطور وننمو في مُلكنا. الرجوع إلى تحريض الرسول بطرس أن "نتسلح"، يعطينا فهمًا أعمق:

"فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهذِهِ النِّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ، كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ، لِكَيْ لاَ يَعِيشَ أَيْضًا الزَّمَانَ الْبَاقِيَ فِي الْجَسَدِ، لِشَهَوَاتِ النَّاسِ، بَلْ لإِرَادَةِ اللهِ" (١بط ٤: ١- ٢).

هؤلاء الذين احتملوا الصعاب، كفوا عن الخطية. ماذا كان يقصد الرسول بطرس بهذه الكلمات؟ إنه يتحدَّث عن تحقيق النضوج الروحي. فنصبح رجالًا ونساءً بالغين في المسيح. "المؤمن البالغ" في ملكوت الله لا يعيش لرغباته، لكنه يعيش في التزامٍ وطاعةٍ للرب؛ فهو لا يستسلم لضغوط هذا العالم، لكنه يستطيع أن يهدم حصونَه.

يصف الرسول بولس هذه القوة في (٢ كو ١٠: ٦) قائلًا: "**وَمُسْتَعِدِّينَ لأَنْ نَنْتَقِمَ عَلَى كُلِّ عِصْيَانٍ، مَتَى كَمِلَتْ طَاعَتُكُمْ**".

بغضِّ النظر عن عمرك، تذكَّر أنك قد وُلدتَ طفلًا في عائلة الله، وهو يتوقع منك أن تنمو. فهو يوصينا: "**كَأَطْفَال مَوْلُودِينَ الآنَ، اشْتَهُوا اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشِّ لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ**" (**١بط ٢: ٢**). كما أننا نمر بمراحل مختلفة في نموِّنا الجسدي (رضيع، طفل، شخص بالغ)، كذلك أيضًا في مراحل نموِّنا الروحي. يقول الرسول بولس: "**وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ، بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَال فِي الْمَسِيحِ**" (**١ كو ٣: ١**). كان المؤمنون في كنيسة كورنثوس بالغين في أعمارهم، لكنهم كانوا مثل الأطفال الرضع في نضوجهم الروحي. يا له من موقعٍ مُحزِن يستمر فيه المؤمن!

في رسالةٍ أخرى، يوضِّح الرسول بولس المرحلةَ التاليةَ للنضوج الروحي بمرحلة الطفولة: "**كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ**" (**أف ٤: ١٤**). ويكتب الرسول بولس أيضًا: "**أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لاَ تَكُونُوا أَوْلاَدًا فِي أَذْهَانِكُمْ، بَلْ كُونُوا أَوْلاَدًا فِي الشَّرِّ، وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ**" (**١كو ١٤: ٢٠**). نحتاج أن نكون بسطاء مثل الأطفال عندما يتعلق الأمرُ بالخبث والحقد، أما في الفهم والثبات نحتاج أن نكون مؤمنين بالغين ناضجين.

فالطفل يتجاوب مع التدريب الذي يُقدَّم له، سواء كان تدريبًا جيدًا أو سيِّئًا. كذلك، الطفل حسَّاس ويسهل التأثير عليه، أما الشخص البالغ، ففي أغلب الأحيان لا يهتز تحت المؤثرات الخطأ. لذلك تُقدَّم لنا النصيحةُ أن ننمو في المسيح حتى نستطيع أن نتمسَّك بالحقِّ ونقاوم كلَّ عصيان. أوضح الرسولُ بولس أن الأمر يحتاج إلى إدراكٍ وفهمٍ لنصبح ناضجين. أضاف الرسول بطرس بعضَ الأمور الأخرى التي سنناقشها.

كيف ننمو روحيًّا؟ دعونا نفكر في النمو الجسدي والعقلي أولًا. كيف يحدث النمو الجسدي؟ وما الذي يؤثر فيه؟ الوقت. هل رأيت طفلًا يبلغ من العمر ستة أشهر، ويبلغ طوله ستة أقدام؟ إن الأمر يستلزم خمس عشرة سنةٍ إلى ثماني عشرة سنة ليبلغ طول البالغين. الوقت هو المتحكِّم في النمو الجسدي.

أما النمو العقلي، فهو غير مرتبط بالوقت. لقد قابلتُ أولادًا في الرابعة عشرة من عمرهم أنهوا دراستَهم الثانوية، نطلق على مثل هؤلاء الأطفال "الطفل المعجزة".

كما قابلت أشخاصًا في الخمسين من عمرهم، ولم ينهوا دراستهم الثانوية. لذلك، فإن النمو العقلي أو الذهني غير مرتبطٍ بالوقت، لكنه مرتبطٌ بالقدرة على التعلُّم. فأنت تنتقل من السنة الأولى إلى السنة الثانية، وتستمر في السنة الثالثة، الرابعة والخامسة وهكذا. تستطيع أن تفعل ذلك بالسرعة التي ترغبها.

هل النمو والنضج الروحي مرتبط بالوقت؟ لقد رأيت أشخاصًا مولودين ولادةً ثانيةً منذ سنةٍ واحدةٍ، وقد نموا ووصلوا لدرجة النضوج. وشاهدت مؤمنين آخرين قبلوا الخلاصَ منذ عشرين سنة، لكنهم ما زالوا أطفالًا رضع روحيًّا، ويتسبَّبون في مشاكل مع القادة ومع المؤمنين الآخرين. إذًا، النضوج الروحي غير مرتبط بالوقت.

هل النمو والنضوج الروحي مرتبط بالتعلم؟ كان الفريسي يستطيع أن يتلو أسفار موسى الخمسة غيبًا، لكنه لم يستطِع أن يميِّز ابنَ اللّٰه وهو يراه يشفي المرضى ويأمر الأرواحَ الشريرةَ فتخضع له. لقد كانت حياته ممتلئةً بالرياء، وكان أعمى روحيًّا، فلم يستطِع أن يدرك وصولَ المسيا إلى العالم.

إذًا، كيف يحدث النمو الروحي؟ بأي شيءٍ يرتبط؟ الإجابة هي "الألم". تأمل كلمات الرسول بطرس: **"فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ، كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ" (١بط ٤: ١).** الشخص الذي يكفُّ عن الخطية هو ذلك الشخص الذي اختبر النضوجَ الروحيَّ الكاملَ.

النمو الروحي لا يحدث عندما تكون الشمسُ مشرقةً على حياتنا.

قد يسأل أحدكم: "لقد رأيتُ أشخاصًا تألموا، لكنهم الآن يُعانون من مشاعر مرارةٍ". هذا يحدث. إذًا، هناك عامل آخر يؤثِّر في النضوج الروحي. كاتب الرسالة للعبرانيين يوضح لنا هذا: **"مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب ٥: ٨).**

هذه الآية تخبرنا بأن الرب يسوع لم يأتِ بالطاعة إلى الأرض بطريقةٍ تلقائيةٍ، لكنه تعلَّم الطاعة؛ فهو لم يفعل خطيةً. لقد تعلَّم الطاعةَ من خلال الألم. إذا ربطنا هذه الآية بما قاله بطرس في رسالته، نستطيع أن نرى أن النمو الروحي لا يحدث عندما تكون الشمسُ مشرقةً في حياتنا، أو عندما

يتحدث الآخرون بطريقةٍ إيجابيةٍ عنا ويتعاملون معنا بلطف. لا، نحن ننمو روحيًّا عندما نستمر في طاعتنا له في وسط التجربة. نحن نكتسب قوةً أكبر في خضوعنا لحكمة الله، عندما يُفترَى علينا، تقال علينا شائعات، نُعامَل بطريقةٍ سيئةٍ أو نُجرح من الآخرين... أو ربما عندما نفقد وظيفةً، نتسلَّم تقريرًا سيِّئًا من المحامي أو الطبيب، أو عندما تكون لدينا احتياجات مادية وليست لدينا الإمكانية لتسديدها.

نختار أن نثق في الله، حتى وإن بدا هذا الاختيار أنه ليس هو الأنسب. نختار أن نقاوم الشرَّ الذي يهاجمنا، من خلال طاعتنا لكلمة الله. عندئذٍ، يحدث النمو الروحي. نستطيع أن نرى هذا بوضوحٍ في حياة يوسف ابن يعقوب.

حلم يوسف

لقد قطع اللهُ عهدًا مع إبراهيم. استمر هذا الوعد لابنه اسحق، وحفيده يعقوب. كان ليعقوب اثنا عشر ابنًا، كان يوسف هو الابن الحادي عشر. كان إخوة يوسف يحتقرونه. يوضح الكتابُ السببَ لهذا: كان يوسف ثرثارًا (تك ٣٧: ٢)، وربما متبجِّحًا (تك ٣٧: ٥). كذلك، فضَّله الأبُ عن باقي أبنائه ودلَّله أكثر بأن أعطاه قميصًا ملوَّنًا. كل هذه العوامل خلقت في إخوة يوسف مشاعر سلبيةً تجاه يوسف.

ازدادت حدة التوتر في العلاقات بعد أن أعطى اللهُ ليوسف حلمين؛ في الحلم الأول، رأى يوسفُ حزمًا مربوطةً في حقل. وقفت حزمته منتصبةً بينما انحنت الحزمُ الخاصة بإخوته أمام حزمته. في الحلم الثاني، رأى يوسفُ الشمسَ والقمرَ وأحد عشر نجمًا ينحنون أمامه. شارك يوسفُ ببساطةٍ وحماسٍ هذين الحلمين مع إخوته، كما شاركهم أيضًا بتفسيره للحلمين بأنه سيكون حاكمًا عليهم في يومٍ من الأيام. ليس غريبًا ألا يشارك الإخوةُ أخاهم في حماسه، لكن ازدادت كراهيتهم له.

بعد ذلك، ذهب الإخوةُ العشرة لمكانٍ بعيدٍ ليفتشوا عن مراعٍ جيدةٍ ليرعوا فيها مواشي والدهم. مرت الأيام، فأرسل يعقوبُ ابنَه يوسف ليتفقَّد سلامة إخوته. عندما رآه إخوته قالوا فيما بينهم: "ها هو أخانا الصغير قادم، صاحب الأحلام، القائد، الحاكم اللامع. هيا بنا نقتله! لنرى كيف يمكن أن تتحقَّق أحلامُه!" (صياغة المؤلف).

لذلك، ألقوا به في بئرٍ بقصد أن يتركوه هناك حتى يموت. لكن، بعد عدة ساعاتٍ، مرت قافلةٌ من الإسماعيليين في طريقها إلى مصر. قال يهوذا الابنُ الرابعُ فكرةً ذكيةً: "يا إخوة، إذا تركناه يموت في البئر لن نكسب شيئًا. دعونا نبيعه كعبدٍ ونكسب بعضَ المال. سنتخلَّص منه نهائيًّا وكأنه مات، ولن يزعجنا بعد ذلك، وسنتشارك جميعنا في الغنيمة. كما أننا لن نحمل ذنبَ قتله" (صياغة المؤلف).

أُعجِب الإخوةُ بالفكرة، فباعوا يوسفَ بعشرين من الفضة. قادتهم مشاعرُ الحقد والكراهية لهذا التصرُّف حتى يحرموا يوسف من حقِّه في الميراث وانتمائه للعائلة. تذكروا أن إخوته هم الذين فعلوا هذا!

من الصعب علينا اليوم أن ندرك مقدار الظلم الذي تعرَّض له يوسفُ. كان بيعه كعبدٍ أمرًا قاسيًا جدًّا، ربما بنفس قسوة القتل. في تلك الأيام، كان إنجاب الأبناء أمرًا مهمًّا جدًّا؛ لأن الأبناء يحملون اسمَ الأب ويرثونه. لقد سلب إخوةُ يوسف من أخيهم هذا الامتيازَ. لقد محوا اسمَه، وجرَّدوه من هويته. أيضًا، كان الشخص الذي يُباع كعبدٍ يظل عبدًا طوال عمره، وتصبح زوجته وأبناؤه عبيدًا. أما بالنسبة ليوسف، فقد خسر كلَّ شيءٍ عزيزٍ لديه. كان الأمر في غاية الصعوبة عليه، لا أن يظل عبدًا طوال عمره فحسب، لكن أن يتجرَّد من كل امتيازاته كوريثٍ لأبٍ غني – والأصعب جدًّا أن يحدث له كل ذلك عن طريق إخوته! كان يبدو وكأنه "شخص ميت". أتخيل أن يوسف كان يتمنَّى أن يموت عن أن يُبَاع كعبد. إن ما فعله إخوةُ يوسف كان في غاية الوحشية والشر.

عندما وصلت القافلة إلى مصر، بيع يوسف لرئيس الشرط فوطيفار. أصبح يوسف الآن مِلْكًا لفوطيفار. نستطيع أن نقرأ هذه القصة في الكتاب المقدس بعد آلاف السنين من حدوثها، لذلك نحن نعرف نهايتها. لكن، لاحظوا أن يوسف لم يكن لديه سفر التكوين ليقرأه. لم يكن يرى ما يحمله له المستقبل إلا عبودية في أرضٍ غريبة. إن ما بدا له هو أنه لن يرى والده، أصدقاءَه ولا أرضَه أبدًا. كما أنه كان يرى أنه لن يرى أحلامه تتحقَّق. كيف يمكن لأحلامه أن تتحقَّق في مثل هذه الظروف؟ لقد أصبح عبدًا في مصر، مرتبطًا بشخصٍ آخر باقي أيام حياته.
لكننا نسلك بالإيمان وليس بالعيان.

خدم يوسفُ فوطيفارَ لمدة عشر سنوات. لم يسمع أيَّ أخبارٍ من بلاده. كانت كل سنة تمر، تؤكِّد له تلك الحقيقةَ المُزِنةَ: أن إخوته قد أعلنوا أنه مات. كان متأكدًا أن يعقوب قد حزن جدًّا على فقده، لكن الحياة استمرت بعد ذلك. لم يَعُد لديه أي أمل في أن ينقذه والده ويجتمعا مرةً أخرى.

مع مرور الوقت، وجد يوسفُ نعمةً في عيني فوطيفار، فعيَّنه مسؤولًا على كل بيته. لكن، كان هناك شيءٌ فظيعٌ يحدث في الخفاء. كانت زوجة فوطيفار معجبةً بيوسف ولم تخجل من إعلان ذلك الأمر، بل كانت في إصرارٍ تحاول معه كلَّ يوم. كانت سيدةً غنيةً تستطيع أن تمتلك كلَّ ما تشتهيه. لم يكن لديها التصميم فقط، لكنها كانت تحاول إغراء يوسف من خلال ملابسها ورائحة العطور التي تستخدمها.

إلا أن يوسف قاوم محاولاتها بحكمة: **"لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟" (تك ٣٩: ٩)**. بالرغم من أن حياته بدت أنها قد تحطَّمت من خلال خيانة إخوته، إلا أن يوسف كان رجلًا مستقيمًا، خاضعًا لإلهه.

ذات يومٍ، كان يوسف وزوجة فوطيفار في البيت بمفردهما. حاولت إغراءَه، فأمسكت بملابسه وطلبت منه: "زوجي غير موجود، تعالَ معي إلى غرفة نومي، لن يعرف أحدٌ، نستطيع أن نستمتع معًا بممارسة الجنس" (صياغة المؤلف).

مرةً أخرى، رفض يوسفُ الجنسَ اللا أخلاقي وهرب من البيت. لقد اندفع بسرعة إلى خارج البيت، حتى أنه ترك ملابسَه في يدها. شعرت المرأةُ بالغضب فصرخت، "اغتصاب!"

بلا تردُّد، ألقى فوطيفار بيوسف في السجن، وتكرَّر ما حدث يوم أن باعه إخوتُه، في يومٍ، فقد كلَّ شيءٍ جميل في حياته.

الحرب في السجن

لا يمكن مقارنة السجون في الولايات المتحدة بسجن فرعون. لقد خدمت في عدة سجون، وبالرغم من أنها أماكن كريهة، لكنها تُعتبر فنادق جميلةً بالمقارنة بالسجون في الشرق الأوسط. لقد زُرتُ عدة سجونٍ قديمةٍ في هذه المنطقة، فهي باردة، رطبة، موحشة، لا تدخلها الشمسُ، خالية من الدفء. ليس بها تليفزيونات، مطاعم، حمامات،

أحواض، أو حتى مراتب للنوم. إنها مجرد غرف محفورة في الصخر. معظم الغرف يبلغ ارتفاعها ٤- ٥ أقدام وهي غير آدمية.

في تلك الأيام، كان يُقدَّم للمسجونين الماءَ والطعام الذي يكفي ليظلوا أحياءً؛ لأن الموت بالنسبة لهؤلاء المسجونين كان أملًا يترجونه (انظر ١ مل ٢٢: ٢٧). وفقًا لما جاء في (مز ١٠٥: ١٨)، لقد جُرِحت رجلا يوسف بالقيود، وفي الحديد دخلت نفسه. لقد وضعه فوطيفار في هذا السجن ليموت. لو كان مصريًّا، لكان من الممكن أن تُتاح له الفرصة ليُفرَج عنه، لكن كعبدٍ غريبٍ متَّهم باغتصاب زوجة أحد الضباط المقرَّبين لفرعون، لم يكن ليوسف أيُّ أملٍ. لقد وصل يوسفُ لأسوأ وضعٍ يمكن أن يصل إليه إنسانٌ دون أن يموت.

هل تتخيَّل الأفكار التي كان يوسف يحاول أن يدفعها بعيدًا عنه في هذا السجن الرطب المظلم؟ أنا متأكد من أن العدو كان يهاجم فكرَه بكل ضراوةٍ، بلا رحمةٍ. هل تستطيع أن تسمع ما يدور في فكر يوسف؟ "لقد خدمتُ فوطيفار وبيته بكل أمانةٍ واستقامةٍ لأكثر من عشر سنوات. لقد كنتُ مخلصًا له أكثر من زوجته. لقد احتفظتُ بأمانتي لله ولسيدي من خلال هروبي اليومي من كل تجربةٍ جنسيةٍ. ما هي مكافأة طاعتي؟ السجن! لماذا لم أتصرَّف مثل أي رجلٍ آخر وأستمتع بعلاقةٍ جنسيةٍ مع تلك المرأة؟ لو أنني تجاوبت معها ومارست الجنسَ معها عندما كنا في البيت معًا، ما كنت قد وصلت إلى هذا السجن".

لو أن يوسف صدَّق هذه الأكاذيب، لكانت قد انفتحت أمامه الأبوابُ ليذهبَ بفكره إلى مستوياتٍ أدنى: "إذًا، هذا هو أسلوب الله الأمين المحب في اهتمامه بالذين يطيعونه؟ لماذا يكون الله غير أمين لخُدَّامه، بل ربما يستغلُّهم؟ لقد سمح للأشرار أن يغتنوا ويزدهروا، لكني أنا أتعذَّب بسبب طاعتي. ما الفائدة من طاعة الله؟ لقد أعطاني حلمًا بأني سأصبح قائدًا، وببساطة شاركت هذا الحلمَ مع إخوتي. ما الذي جنيتُه من هذا؟ البئر والعبودية! ثم أطعتُ الربَّ وهربتُ من التجربة الجنسية. ماذا كانت مكافأتي؟ السجن! يبدو أنه كلما أطعتُ أكثر، كلما ساءت ظروف حياتي. يبدو أن خدمة الله ما هي إلا خدعة!"

لم يتمتع يوسفُ بالحرية داخل السجن، لكنه كان يستطيع أن يختار ردود أفعاله لكل ما حدث له. هل يمتلئ بالمرارة والرفض؟ أم يصبح مُنهَكَ القُوَى وساخرًا؟ هل يزدري بكلمة الله؟ هل ينمِّي داخله مشاعر الانتقام؟ هل يمتلئ بالكراهية في قلبه؟ أم إنه يقاوم بثبات الأفكار والمشاعر السلبية التي اجتاحته؟

أعتقد أن يوسف لم يتخيَّل أن كل هذه الظروف الفظيعة ما هي إلا إعداد الله له للحكم. كان يوسف يتعلَّم الطاعة من خلال الألم. لقد تمدَّدت عضلاتُ الطاعة لدى يوسف إلى أقصى مدى. كان مثل لاعب ألعاب القوى الذي تُزاد له الأثقال، وعند مرحلة معيَّنة، يصرخ داخله ويقول: "كفا!" هل سينتبه يوسفُ لنداء السماء المشجِّع: "ارفع الأثقال! ارفع! ارفع!"؟ أم سيستمع لصوت المنطق البشري ويختار الطريقَ الأسهل للانتقام، والانحناء أمام ثقل الضغوط؟
ألم يستطِع اللهُ أن يحميه؟

بالنسبة ليوسف، كانت المشكلة تكمن في إخوته. إذا لم يفعلوا ما فعلوا، ما كان قد وصل لهذا المكان الفظيع. في خلال السنتين اللتين عاشهما في السجن، بالتأكيد فكر يوسف مرات عديدة كيف يمكن أن يكون الحال لو أن إخوته لم يخونوه.
كم من المرات التي نحارب فيها نفسَ هذه الأفكار التي تبدأ بكلمة "لو"؟

- لو كنت أطعت مديري، لحصلت على ترقيةٍ بدلًا من طردي من العمل.
- لو لم يكن قد حدث ما حدث لزوجي الأول، لما كنت أعاني من المشاكل المالية التى أعاني منها الآن.
- لولا افتراء ذلك الشخص في العمل، ما كنت فقدت وظيفتي، وتعرضت للتهديد بالطرد من شقتي.
- لو لم يُطلَّق والداي، لكنت قد عِشتُ حياةً طبيعيةً.

من السهل أن نوجِّه اللومَ للآخرين على المتاعب التي نواجهها، ونتخيَّل أن الحال كان من الممكن أن يكون أفضل لولا تدخُّل الآخرين. لكن الحقيقة هي أن مثل هذه الأفكار تُضعِف قدرتنا على مقاومة ما قد يؤذينا. التهديد الحقيقي ليس في المواقف الصعبة التي نواجهها، بل في المعتقدات الخطأ التي تتسرَّب إلى أذهاننا في وسط الضغوط. يجب أن نكون ثابتين في إيماننا بخطة الله المطلقة، وأن نكون راسخين ضد أي منطقٍ لا يتفق مع كلمة الله.

في النهاية، يجب أن يترسَّخ هذا الحقُّ في قلوبنا: لا يوجد رجل، امرأة، أو حتى شيطان يستطيع أن يُخرِجنا من دائرة مشيئة الله! الله وحده هو الذي يمتلك مصائرنا. لقد حاول إخوةُ يوسف أن يدمِّروا الرؤيا التي أعطاها له الله. لقد ظنوا أنهم نجحوا في ذلك. قالوا لبعضهم البعض: **"فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ. فَنَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُهُ"** (**تك ٣٧: ٢٠**). لقد أصرُّوا أن يدمروا حياته. لم تكن مجرد حادثة، لكنه كان أمرًا مدروسًا! كانوا يريدون أن يمنعوا تحقيقَ أحلامه بكل الوسائل.

هل تعتقد أن الله لم يستطِع أن يحميه عندما باعوه عبدًا؟ هل تتخيَّل اللهَ الآبَ ينظر إلى الابن والروح القدس مرتبكًا ويقول: "ماذا سنفعل الآن؟ انظروا ما فعله إخوة يوسف! لقد دمَّروا خطتنا لحياته. الأجدر بنا أن نفكر في أمرٍ آخر بسرعة! هل لدينا خطة بديلة؟"

إذا راجعنا ردَّ فعل مؤمنين كثيرين في الأزمات، يبدو أن هذا هو ما يحدث في السماء. هل تستطيع أن ترى الآبَ يتحدَّث للرب يسوع ويقول له: "لقد طُرد القس بوب من طائفته لأنه صلى طالبًا الشفاء لشخصٍ ما! بالتأكيد لم أتوقع ذلك! هل لديك كنيسة أخرى ليصبح راعيًا لها؟" أو قد يقول هذا: "يا يسوع، سارة وأولادها ليس لديهم أيُّ دخل؛ لأن زوجها قد طلقها، كما أنه لا يدفع النفقةَ ومصاريفَ الأبناء. ما يزيد الأمر سوءًا، الحالة الاقتصادية السيئة، مستوى تعليمها محدود وكذلك أيضًا مهاراتها! ماذا سنفعل؟"
قد يبدو الأمر مضحكًا، لكن ردَّ فعلنا تجاه التجارب ينبئ عن طريقة رؤيتنا لله.

الاختبار الأعظم ليوسف

ماذا عن الانتقام؟ إذا كان يوسف مثل الكثيرين منا، هل تعرفون ماذا كان يعمل؟ التخطيط للانتقام. كان سيواسي نفسَه بأفكارٍ مضادةٍ لكلمة الله (انظر رو ١٢: ١٩). "إذا خرجتُ من هذا السجن، سأجعلهم يدفعون ثمنَ كل ما فعلوه معي. سأتَّفق مع أفضل محامٍ، وسأرفع عليهم قضيةً وسآخذ حقي كاملًا! أو ربما حل أفضل:بدلًا من تضييع الوقت والمال، سأقتلهم. سأجعل الجميعَ يشعرون بأنها مجرد حادثة، كما فعلوا معي".

لكن، إذا كان تفكير يوسف هكذا، كان الله سيتركه في السجن. لماذا؟ لأنه إذا كان قد حقَّق خطتَه، كان سيقتل عشرةً من رؤساء الأسباط الاثني عشر! كان سيقتل يهوذا الذي سيأتي من نسله يسوع المسيح. نعم، هؤلاء الذين تعاملوا مع يوسف بالشر هم آباء إسرائيل!

كان يوسف عليه أن يقاوم ـ بثباتٍ ـ المنطق، الأفكار والتخيُّلات التي عَلَت على طرق الله. كان يجب أن يستمر راسخًا في إيمانه بوعود الله؛ لأن أكثر الاختبارات حسمًا لم يأتِ بعد.

وصل سجينان جديدان إلى السجن، وهما الخبَّاز والساقي العاملان لدى فرعون. بعد فترةٍ، حلم كلٌّ منهما حلمًا مزعجًا، وقصَّا أحلامهما على يوسف. ما هو الاختبار الذي مرَّ به يوسف؟ هل يستطيع أن يعلن عن أمانة الله لهذين الرجلين في حين أنه لم يرَ أيَّ بصيصٍ من أمانة الله في حياته لأكثر من عشر سنوات؟ فكِّر معي: حلم يوسف حلمًا بأنه سيصبح قائدًا على إخوته وأنهم سيخدمونه. لكن شيئًا من هذا الحلم لم يحدث. إذا كان يوسف مثل الكثيرين اليوم، كان سيقول للرجلين: "إذًا، لقد حلمتما أحلامًا الليلة الماضية. أنا أيضًا حلمتُ حلمًا منذ فترةٍ. اتركوني وشأني".

إذا كان هذا هو رد فعله، لكان قد قضى الباقي من عمره في السجن، وهو يشعر بالمرارة ويقول: "الله غير أمين؛ فهو لا يحفظ وعودَه!" كان سيدمِّر خطةَ الله لحياته. بعد سنتين، أخبر الساقي فرعونَ عن قدرة يوسف في تفسير الأحلام، وأخيرًا، خرج يوسفُ من السجن ليفسِّر حلمَ فرعون. لقد نقل هذا الموقفُ يوسفَ من أعماق السجن إلى أن يصبح الرجل الثاني في المملكة – وبعد تسع سنواتٍ، سجد له إخوته كما وعده اللهُ في حلمه القديم.

لم يَرَ يوسفُ حلمَه يتحقق لمدة واحد وعشرين عام. لكنه في النهاية، تحقَّق؛ لأن الله أمينٌ في تحقيق وعوده. كم منا يستسلم عندما لا تُستجاب صلاته لمدة ثلاث سنوات؟ ثلاثة شهور؟ ثلاثة أسابيع؟

إذا كانت طرق الله وتوقيتاته تختلف عن طرقنا وتوقيتاتنا، فإننا نميل إلى توجيه الانتقاد له. الله لا يُجهِض أحلامَنا، لكننا نحن الذين نفعل ذلك! نحتاج أن نكون ثابتين

في الإيمان والطاعة، ونستطيع أن نستمدَّ القوةَ التي تساعدنا في ذلك من خلال نعمة الله. إنها عطيته المجانية المتاحة لنا. نحتاج أن نثق في كلمته ونثبت في الإيمان في شخصه. سنحصد إن كنا لا نكل.

كما قلت سابقًا: لا يوجد إنسان أو شيطان يستطيع أن يُوقِف خطةَ الله لحياتك. إذا ترسَّخت في داخلك هذه الحقيقة، ستصبح قوةً ضاربةً في ملكوت الله. إلا أن هناك استثناءً واحدًا لتلك الحقيقة تحتاج أن تعرفه: هناك شخص واحد يمكن أن يدمِّر غايتك، إنه أنت!

لا يوجد إنسانٌ أو شيطانٌ يستطيع أن يُوقِف خطةَ الله لحياتك!

فكِّر معي في شعب إسرائيل: لقد أرسل اللهُ موسى ليعتقهم من العبودية في أرض مصر ويقودهم إلى أرض الموعد. لقد كانت خطته لهم أن يدخلوا كنعان بعد سنةٍ من خروجهم من مصر. إلا أنه بسبب عدم إيمانهم، أفكارهم الخاطئة، التذمُّر وإلقاء اللوم على موسى، لم يصلوا لغايتهم. بدلًا من ذلك، مات كلُّ هذا الجيلِ في البرية ما عدا كالب ويشوع. كانوا يشتكون باستمرار من أن الله غير أمين، لكن في الواقع هم الذين كانوا غير أمناء. بسبب عدم ثباتهم في الطاعة والإيمان، خرَّبوا غايتَهم.

الشخصية التي تملك

بدأ يوسفُ كشخصٍ ثرثارٍ ومتبجِّحٍ، بل ومتعجرف، لكنه لم يستمر هكذا. لقد تعلم الطاعةَ من خلال الضيق، وهكذا تغيَّرت شخصيتُه ليصبح قادرًا على أن يحكم بكفاءةٍ. لقد أصبح ثاني أقوى رجل في العالم. لو أنه احتفظ بمشاعر مرارةٍ، استياء، عدم غفران وكراهية تجاه إخوته، بالتأكيد كان هذا سيقوده للانتقام. لقد أتى إخوتُه إلى مصر أثناء المجاعة التي سادت العالمَ بأكمله. كان يمكنه أن يلقي بهم في السجن مدى الحياة، أو يعذِّبهم، أو حتى يقتلهم. إلا أن يوسف عمل عكس ذلك. أعطاهم قمحًا بلا مقابل، وأعطاهم أفضل منطقة في مصر ليسكنوا فيها مع عائلاتهم. لقد أكلوا أفضلَ طعام. لقد أعطى يوسفُ لإخوته الذين لا يستحقون أفضلَ ما في مصر. لقد نَمَت وترسَّخت داخل يوسف شخصيةٌ ناضجةٌ – شخصيةٌ تشبه المسيحَ – فقد بارك

إخوته الذين لعنوه وأحسن للذين أبغضوه (انظر مت ٥: ٤٤ – ٤٥).

تأمَّل مرةً أخرى ـ بعمق ـ ذلك التحريض الذي كتبه الرسول بطرس:
"فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ، عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ. وَإِلهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِي دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِيِّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيرًا، هُوَ يُكَمِّلُكُمْ، وَيُثَبِّتُكُمْ، وَيُقَوِّيكُمْ، وَيُمَكِّنُكُمْ" (١ بط ٥: ٩- ١٠).

ليت إله كل نعمة... يكمِّلك، يثبِّتك، يقوِّيك ويمكِّنك. هذه أربعة وعود قوية لك ولي. دعني أقدم لك التعريفات التي كتبها جيمس ستروخ لكلٍّ من هذه الأفعال:

١- يكمِّل – يرمِّم أو يتمِّم من خلال الإصلاح والتنظيم.
٢- يثبِّت – يعيِّن سريعًا – تصميم على تغيير الاتجاه – يوطِّد.
٣- يقوِّي – يعزِّز في المعرفة والقوة الروحية.
٤- يمكِّن – يضع أساسًا لشيءٍ ما أو يشيِّد أو يُنشِئ.

يصف كلٌّ من هذه الأفعال ما فعله اللهُ في حياة يوسف ليُعدَّه للمُلك. لقد تم إصلاحه وترميمه، فلم يعد ثرثارًا، متبجِّحًا أو متغطرسًا. أصبح قويًّا، مرفوعًا بنعمة الله العجيبة ليستطيع أن يحقِّق مقصدَه. كما أنه أصبح قويًّا روحيًّا، فاستطاع أن يبارك إخوته بدلًا من أن يلعنهم. طاعته الثابتة في وسط ظروف تدعو لليأس، صاغت في شخصيته حكمةً وشجاعةً.

في الفصل السابق، ناقشنا أهمية المواجهة المباشرة مع العدو من خلال استخدامنا لكلمة الله. إلا أن استخدام كلمة الله ليس السلاح الأقوى. أقوى سلاح نستطيع أن نواجه به العدو هو الثبات في طاعتنا لكلمة الله. إنه التفكير، التحدُّث وممارسة كلمة الله في حياتنا. يقول اللهُ من خلال إرميا النبي: "أين هؤلاء الشجعان الذين يدافعون عن الحق في الأرض؟" (انظر إر ٩: ٣). يبحث اللهُ عن أشخاصٍ مثل يوسف في جيلنا. إذا كنا ثابتين في طاعتنا، وأعلنَّا كلمة الله بشجاعةٍ، سنحصد حصادًا وفيرًا نراه في وعودٍ تتحقق، شخصيات تنضج، سلطان أعظم، نصرة على العدو. الأشخاص الذين في محيط تأثيرنا سيستفيدون استفادةً عظيمةً من ثباتنا في الإيمان والطاعة.

يا لها من حياةٍ يدعوك إليها اللّهُ! لقد أعدَّ خطتَه لك من قبل أن تتكون في رحم أمك. إنه يدعوك لحياةٍ عظيمةٍ تمامًا مثل يوسف. يلخص الرسول بطرس في خاتمة تحريضه:

"كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ وَاعِظًا وَشَاهِدًا، أَنَّ هذِهِ هِيَ نِعْمَةُ اللهِ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي فِيهَا تَقُومُونَ" (١بط ٥: ١٢).

نستطيع أن نحصل على القوة التي تجعلنا ثابتين في الطاعة من خلال نعمة الله. أرجو ألا تحدَّ نعمة الله العجيبة في غفران خطاياك وذهابك للسماء فقط. إنها أكثر من ذلك بكثير! من خلال نعمته نستطيع أن نكون مميَّزين بمجد الرب يسوع المسيح.

١٥

الصـــلاة المثابـــرة

"الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ:
إنَّ كُلَّ ما طَلَبتُمْ مِنَ الآبِ باسمي يُعطيكُمْ"
(يو ١٦: ٢٣).

لا تكتمل دراساتنا عن المثابرة دون أن نتطرَّق إلى الحديث عن علاقتنا الشخصية بالله ذاته. كيف نقترب منه ونتوسَّل إليه؟ هل نأتي إليه مرتعبين ومرتعدين؟ هل نطلب منه "الأمور الكبيرة" فقط، ونحن "آملين" أن يستجيب لنا، حتى لا نُصاب بإحباطٍ عندما لا نراه يستجيب لنا؟ هل نتوقع نسبة استجابة كبيرة أم متوسطة أم صغيرة لصلواتنا؟

قد تبدو هذه الأسئلة مضحكةً لك، لكن بعد حوالي عشرين سنة من الذهاب إلى أماكن كثيرة في العالم، وصلاتي مع الكثيرين من القادة والمؤمنين، أجد أن مثل هذه الأسئلة ليست بعيدةً عن الواقع. لقد عاصرتُ صلوات كثيرةً عاديةً لم ألمس فيها أية قوةٍ ولم أشعر أنها كانت تنبع من قلبٍ مُثقَل. لقد حضرتُ اجتماعات للصلاة ووجدت الناسَ يتلفَّتون يمينًا ويسارًا، أو يقرأون الكتابَ المقدس، أو يستمعون إلى موسيقى وترانيم في الوقت الذي ينبغي أن يُقضَى في الصلاة والتشفع. كنت أتساءل: "هل يتوقع هؤلاء المؤمنون أن الله سوف يستجيب لهم لمجرد حضورهم اجتماع الصلاة، أم أنهم منذ فترةٍ تخلوا عن الصلاة بلجاجة، وعن الإيمان الثابت والثقة في الله في كل الأمور؟"

في أحيانٍ كثيرةٍ، كنت أشعر بالألم عندما أستمع إلى قادةٍ يصلون صلوات سطحية غير هادفة. الفكر الذي طرأ على ذهني هو أنه إذا كنا نذهب إلى مسؤولٍ ونطلب منه الطلبات بنفس الطريقة التي نطلب بها من الله، ربما يقول لنا هذا الشخص: "ما الذي حضرت لأجله؟ أنت تضيِّع وقتي!" إنه يبدو كما لو أن هؤلاء القادة المؤمنين قد اختاروا كلماتهم لتكون كلمات مقبولةً روحيًّا، ويريدون أن يملأوا قلوبَ الناس بالرجاء لا أن يحبطوهم. إن هذا الأمر محزنٌ؛ لأنه يوضِّح عدمَ صدق الأمور الروحية في مسيحيين كثيرين في هذه الأيام.

كن واثقًا وحارًّا

لقد دعانا إلهُ الكون دعوةً قلبيةً **"لنتقَدَّمْ بثِقَةٍ إِلَى عَرشِ النِّعمَةِ" (عب ٤: ١٦).** أن تكون واثقًا، فهذا معناه أن تكون شجاعًا، مقدامًا، قويًّا، صامدًا بل وحاسمًا. على النقيض من "الواثق" نجد الجبان، المتردِّد، الخجول. فكِّر في هذا، لقد دعاك اللهُ أن تأتي إليه بثقةٍ، بقوةٍ، بثباتٍ لكي تنال منه كلَّ ما تحتاج إليه. إن هذه هي رغبته!

يقول يعقوب: **"إن الصلاة الحارة التي يرفعها البار لها فعالية عظيمة" (يع ٥: ١٦ ترجمة كتاب الحياة).** كلمة "حارة" معناها "أن يكون لديك قوة عظيمة في روحك ومشاعرك وأن تكون متحمِّسًا". أما مرادفاتها كما يوضحها لنا القاموس فتشمل: صادر من القلب – متَّقد بالعاطفة. يريد يعقوب أن يقول إن الصلاة المقتدرة هي الصلاة الحارة. على الجانب الآخر، الصلاة غير المقتدرة هي الصلاة الفاترة، التي لا تصدر من القلب.

عندما تسمع كلمة "بحرارة"، هل تسمع أيضًا كلمة بإلحاح؟ ينبغي أن تربط الكلمتين معًا. يؤكِّد يعقوبُ هذه الحقيقةَ من خلال ما حدث مع النبي إيليا.
"كان إيليا بشرًا مثلنا فصلى طالبًا بإلحاح ألا ينزل المطر، فلم ينزل على الأرض ثلاث سنوات وستة أشهر، ثم عاد إلى الصلاة فمطرت السماء وأخرجت الأرض غلتها" (يع ٥: ١٧-١٨ الترجمة اليسوعية).

صلَّى إيليا بإلحاح - بمثابرةٍ - واختبر نتائج معجزيةً. إن كلمة إلحاح مرادفة لكلمة حرارة، ومعناها "الجدية في النوايا - الغرض أو الجهد، أو أن تكون غيورًا مخلصًا". هل استوعبت ما جاء في كلمة الله عن كيفية الصلاة باقتدار؟ من الواضح أن الله يريد منا أن نتقدَّم إليه بقلوبٍ يملأها الحبُّ والمثابرةُ ونضع أمامه احتياجاتنا وطلباتنا.

بعد وقتٍ من طلبة إيليا أن لا تمطر، بدأ يصلِّي لعودة المطر. يقول الكتاب: **"وأمّا إيليَّا فصَعِدَ إلَى رأسِ الكَرمَلِ وخَرَّ إلَى الأرضِ، وجَعَلَ وجهَهُ بَينَ رُكبَتَيهِ" (١ مل ١٨: ٤٢).** أتخيَّل أن إيليا خرَّ على الأرض وبدأ يصرخ إلى الله بعاطفةٍ جيَّاشة. كان يضع وجهَه بين ركبتيه ويصرخ ويقول: "يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لقد قلت لي إن رغبتك هي أن ترسل المطر. أنا أصلِّي لك لترسل الغيوم والمطر لكي تثمر الأرض. لا تتوانَ، لكن أرسل المطر حتى يفرح الشعبُ بجودك!" كانت طلبته صريحةً، قلبيةً، بروح المثابرة. ثم قال إيليا لغلامه: **"اصعَدْ تطَلَّعْ نَحوَ البحرِ" (١مل ١٨: ٤٣).**

الله يريد منا أنت نتقدَّم إليه بعاطفةٍ جياشة وقلوب يملأها الحبُّ والمثابرةُ، عندما نضع أمامه احتياجاتنا و طلباتنا.

في سنواتٍ سابقة، كانت هناك أمطار منتظمة تسقط على شعب الله، كانت تأتي من البحر الأبيض من اتجاه الغرب. طلب إيليا من غلامه أن يذهب ويتطلَّع في هذا الاتجاه ليرى الغيوم. لقد عبَّر عن إيمانه بخطواتٍ عمليةٍ. عندما نؤمن بصدق، فإن هذا هو الذي سوف نفعله. أتي خادم إيليا وقال له: "لا يوجد أي شيء".

قد يتوقف كثيرون منا عند هذا الأمر. أليس كذلك؟ قد نقول: "ربما سمعت الرسالة خطأ. أعتقد أن الله يريد أن يستمر في عقاب الشعب لأجل سلوكه المعوج. طالما أن أخآب هو الملك لن تنزل أمطار". أما نحن، فما كنا لنقف ثابتين في الإيمان، بل ربما نتوقف عن التوسُّل أمام الله، وبالتالي نحيد عن إرادته. إلا أن إيليا لم يفعل هذا.

كان إيليا يدرك إرادة الله، ولم يَحِد عنها. لقد صلى مرةً أخرى، بلجاجة وبحرارة، شاكرًا الله؛ لأنه بالإيمان استمع إلى صلاته. أرسل الخادمَ مرةً ثانيةً ليصعد إلى قمة جبل الكرمل.

إن الصلاة والإيمان دون أن يكون هناك أي موقف عملي، ليست إلا طقس ديني ومضيعة للوقت. أن تكون حارًّا في صلاتك، فهذا معناه أن هناك تصميمًا قلبيًّا، ذهنيًّا، نفسيًّا بل وجسديًّا على نوال الاستجابة، وبالتالي ستعمل وفقَ هذا الأمر. إذا كنت واثقًا أنك تطلب بحسب إرادة الله، فبلا شك سترفض أن تكون استجابة صلاتك هي "لا". أنت تعلم أن الظروف والأحوال من الممكن أن تتغير بل وينبغي أن تتغير.

إلا أن خادم إيليا أتى بنفس الإجابة: "لا يوجد مطر".

أغلبنا، لم ييأس في المرة الأولى، لكن سيصاب بالإحباط في المرة الثانية. قد نجد لأنفسنا تفسيرًا لاهوتيًّا عن سبب عدم استجابة الله هذه الطلبة بالذات في هذا الوقت. إلا أن إيليا لم يفعل هذا! لقد هزَّ عرشَ السماء من خلال صلاته، ثم أرسل خادمه للمرة الثالثة، إلا أن الرد لم يتغيَّر. وفعل نفسَ الشيء للمرة الرابعة، والخامسة، والسادسة والسابعة! (يا له من خادمٍ ممتاز! لقد طلب منه إيليا أن يذهب سبع مرات ويتسلَّق قمة جبل الكرمل وأطاع. لم يكن إيليا فقط هو الذي كان يصلي بحرارة بل كان خادمه أيضًا حارًّا) بعد المرة السابعة، قال الخادم: **"هوذا غيمَةٌ صَغيرَةٌ قدرُ كفِّ إنسانٍ صاعِدَةٌ مِنَ البحرِ!"**

إن غيمةً بمقدار كف الإنسان لا يحدث منها هذا النوع من المطر الغزير، لكن كان هذا ما يحتاجه إيليا ليُوقِف الصلاة ويذهب للعمل. لقد كان يدرك أن صلاته سوف تُستجاب.

"فقالَ: «اصعَدْ قُلْ لأخآبَ: اشدُدْ وانزِلْ لِئلا يَمنَعَكَ المَطَرُ». وكانَ مِنْ هنا إلَى هنا أنَّ السماءَ اسوَدَّتْ مِنَ الغَيمِ والرِّيحِ، وكانَ مَطَرٌ عظيمٌ" (١مل ١٨: ٤٤ -٤٥).

لقد صلى سبع مرات، وأرسل غلامَه سبع مرات. كان إيليا مثابرًا في طلباته، مُصِرًّا على أن ينال الاستجابة. هذا هو المثل الذي يشير إليه يعقوبُ عندما كان يتحدث عن الصلاة المقتدرة، الفعَّالة، الحارة. إنها حارةٌ ومقتدرةٌ في إيمانها، وكلماتها، وإصرارها بل وعملها.

سحابةٌ صغيرةٌ صاعدةٌ

تشير هذه الغيمة الصغيرة الصاعدة إلى تأكيد الاستجابة عندما نصلِّي بمثابرةٍ؛ فالروح القدس يشهد لأرواحنا (انظر رو ٨: ١٦). هناك غيوم صغيرة قد تظهر لنا. أحيانًا

تكون عبارة عن كلمة، أو فرح داخلي، أو قد تكون ثقةً في قلوبنا بأن ما نسأل اللّهَ لأجله سوف يتحقَّق. بمجرد أن نرى صعودَ السحابة الصغيرة، علينا أن نتصرف بموجبها كما فعل إيليا.

أتذكر عندما أتى وقتُ ولادة ابننا الرابع، كان الوقت قد تخطَّى موعد الولادة المُنتَظَر بخمسة أيام، إلا أنها كانت معتادةً على هذا. شعرت ليزا في هذه المرة بأن هناك أمرًا غريبًا؛ بدأ الطفلُ يتحرَّك بشدة في رحمها. اتَّصلت بالطبيب لتخبره بما هو حادث، فقال لها: "تعالي إلى المستشفى صباح الغد وسوف أقوم بتوليدك".

في صباح اليوم التالي، بدأ الطبيب إجراءات توليدها. ثقب كيس الماء الذي حول الطفل وخرجت المياه، وقال لنا إنها ستضع الطفل دون أي تأخير. ثم طلب منها أن تبدأ في المشي حتى يساعد الرحم على الانقباض. فعلت ليزا كما طلب منها الطبيب لكن بلا أي تقدُّم. عند الظهر، بدأت تشعر بالتعب، فذهبت إلى غرفتها بالمستشفى للراحة. قالت ليزا: "جون، من فضلك اخرج وصلِّ. إن لم ألد الطفل الآن، سيأخذون إجراءات أشد ليولِّدوا الطفل، وأنا لا أريد أن يحدث هذا".

من ضمن هذه الإجراءات هي أنهم سيعطونها دواء "سينتيسينون" وسيتم حقنها في العمود الفقري. لقد اختبرت هذه الأمور في ولادة طفلنا الأول، الأمر الذي سبَّب لها مضاعفات في ظهرها عانت منها لفترة طويلة. لكن، كان هناك عامل آخر، وهو أن هذه الإجراءات مكلِّفة جدًّا، ولأن إرساليتنا كانت في بداياتها، فلم يكن لدينا تأمين صحي. كان دخلنا ضعيفًا ولم يكن لدينا من المال سوى ما يكفي للإجراءات العادية في الولادة الطبيعية.

تركت المستشفى عند الظهر، ووجدت مكانًا منعزلًا فيه أستطيع أن أرفع صوتي عاليًا نحو السماء. صلَّيت بحرارة. بعد خمس وأربعين دقيقة، عدت إلى غرفة ليزا، ولم أجد أيَّ تقدُّم. مكثت مع ليزا ساعة، ثم ذهبت لأصلِّي للمرة الثانية. كان توسُّلي للّه أقوى. ذهبت بعد ذلك على غرفة ليزا ولم أجد أيَّ تقدُّم في حالتها.

قضينا ساعةً أخرى معًا. كان قلق ليزا يتزايد لأسبابٍ كثيرة، لكن أهمهم هو قلقها على الطفل. توسَّلت إليَّ وقالت: "جون، من فضلك استمر في الصلاة، أنا قلقة جدًّا".

ذهبت للمرة الثالثة إلى المكان الذي كنت أصلِّي فيه. في هذه المرة، طلبت بكل عواطفي وبإلحاح. كانت صلاتي بصوتٍ عالٍ. كنت مُصِرًّا على أن يستجيب الله لطلبتي. رأيت علامات الخوف على وجه ليزا، وكنت أريد أن أطمئنها. صلَّيت بالإنجليزية مذكِّرًا الله بوعوده ثم صلَّيت بحرارة في الروح.

بعد عدة دقائق، سمعت صوتًا واضحًا في قلبي يقول: "سيولد طفلك اليوم، وسيعود كلٌّ من الطفل والأم إلى المنزل في مثل هذا الوقت من الغد وهما بصحةٍ جيدةٍ". لقد شهد الروحُ القدس لروحي بأن صلاتي قد استُجِيبَت، من خلال ما كلمني به في قلبي. لقد أعطاني "غيمة قدر كف إنسان". كنت الآن على استعداد للعمل.

عدت إلى غرفة ليزا في الساعة الخامسة مساءً وقلت لها: "سيولد آردن اليوم، وسترجعان إلى المنزل في الغد وأنتما تتمتعان بصحةٍ جيدةٍ" استراحت ليزا عندما سمعت هذه الكلمات. لكن لم يحدث بعد ذلك أي تغيير، وأصبح من المستحيل تحقيق هذا الوعد. لم تكن هناك أية انقباضات في الرحم. كيف يمكن أن يولد الطفل بهذه السرعة؟ إلا أنني رأيت غيمةً صغيرةً!

أتى المساء، وبدأ الطبيب والممرضات يتناقشون في الخطوات التي ينبغي أن يتخذوها. سألتني ليزا أكثر من مرة: "جون، ألا يجب أن تذهب وتصلِّي مرةً أخرى؟" قلت لها: "ليست هناك حاجة، سيولد الطفلُ قبل منتصف الليل".

مع مرور الوقت، كانت تزاحمني الأفكارُ التي توحي لي باليأس والتي تجعلني أتخلَّى عن الصوت الذي سمعته في داخلي. إلا إنني كنت واثقًا أن الله قد استمع لي ورفضتُ أن أستسلم.

أخيرًا بعد الساعة الحادية عشرة مساءً بقليل، بدأت ليزا تشعر بانقباضات في الرحم، ووضعت آردن في الساعة ١١,٥١ مساءً. عندما خرج، كان الحبل السُّرِّي ملفوفًا حول رقبته بشدة. أتذكر أن لون رأسه كان مغايرًا تمامًا للون جسده؛ كان مختنقًا. بسرعة، قطع الطبيبُ الحبلَ السُّرِّي، وسلَّم آردن سريعًا لطبيب الأطفال لكي يعتني به.

في اليوم التالي، تركنا المستشفى في الساعة ٣,٣٠ بعد الظهر. وصلت ليزا وآردن للمنزل الساعة ٤,٣٠ مساءً. في نفس الوقت الذي همس به اللهُ في أذني.

اطلب واستمر في الطلب

أعتقد أن معظمنا يعرف كلمات الرب يسوع: "**اسألوا تُعطَوْا. اُطلُبوا تجِدوا. اِقرَعوا يُفتَحْ لكُمْ**" (**لو ١١: ٩**). إلا أنه في ترجمة(the Amplified Bible translation) يأتي هذا الجزء:

"فأقول لكم: "اسألوا واستمروا في السؤال، ستعطوا. اطلبوا واستمروا في الطلب ستجدوا. اطرقوا على الباب واستمروا في الطرق وسيُفتح لكم. لأن كل من يسأل ويستمر في السؤال ينال، ومن يطلب ويستمر في الطلب يجد، ومن يطرق على الباب ويستمر في الطرق سوف يُفتح له"" (لو ١١: ٩ – ١٠).

لعلك تلاحظ أن الرب يسوع يشجِّعنا أن نثابر في السؤال والطلبة والطرق. لماذا؟ هل الله لا يسمع بسرعة؟ بالطبع لا! إن الأمر يتعلق بإيماننا الحقيقي. شاهدت أشخاصًا مصرِّين أن يأخذوا، بينما هناك البعض يتوق أن يأخذ. هناك فرق شاسع بين الاثنين. إن كان هناك شخص مصرٌّ، فإنه يكون متماسكًا متحمِّسًا بل ومقدامًا. يرفض أن يخرج خاوي اليدين. على الجانب الآخر، إذا كان الشخصُ يتوق، فهو معرَّض للاستسلام بسهولة. إن كنا نؤمن بصدق، سنستمر في السؤال، ونكون جادين مهما مر الوقت.

تعالوا بنا نتأمل المثل الذي قدَّمه لنا الرب يسوع:

"**وقالَ لهُمْ أيضًا مَثَلاً في أنَّهُ يَنبَغي أنْ يُصَلَّى كُلَّ حينٍ ولا يُمَلَّ، قائلاً: «كانَ في مدينةٍ قاضٍ لا يَخافُ اللّهَ ولا يَهابُ إنسانًا. وكانَ في تِلكَ المدينةِ أرمَلَةٌ. وكانَتْ تأتي إليهِ قائلَةً: أنصِفني مِنْ خَصمي! وكانَ لا يَشاءُ إلَى زَمانٍ. ولكن بَعدَ ذلكَ قالَ في نَفسِهِ: وإنْ كُنتُ لا أخافُ اللّهَ ولا أهابُ إنسانًا، فإنِّي لأجلِ أنَّ هذِهِ الأرمَلَةَ تُزعِجُني، أُنصِفُها، لِئلا تأتيَ دائمًا فتقمَعَني!» وقالَ الرَّبُّ: «اسمَعوا ما يقولُ قاضي الظُّلمِ. أفلا يُنصِفُ اللّهُ مُختاريهِ، الصّارِخينَ إليهِ نهارًا وليلاً، وهو مُتَمَهِّلٌ علَيهِمْ؟ أقولُ لكُمْ: إنَّهُ يُنصِفُهُمْ سريعًا! ولكن مَتَى جاءَ ابنُ الإنسانِ، ألَعَلَّهُ يَجِدُ الإيمانَ علَى الأرضِ؟»**" (**لو ١٨ :١-٨**).

لاحظوا معي كلمات الرب يسوع "لا يمل... لا ييأس". إنها ليست مجرد فكرة جيدة، لكنها إرادة الله لك ألا تيأس.

في هذه القصة، كانت المرأة مثابرةً في طلبتها لدرجة أنها أزعجت القاضي. ببساطة، أصابته بالجنون من خلال إلحاحها. وقف القاضي الظالم بجانبها ليتخلَّص

من إلحاحها. ما أدهشني هو أن الرب يسوع ضرب هذا المثلَ لتلاميذه ليتعلموا اللجاجة في الصلاة. ثم تحدَّث عن هؤلاء الذين يصرخون إلى الله نهارًا وليلًا وسأل: "هل يتوانى عنهم؟" إن الله ليس بالشخص غير العادل. إنه يسرع بالاستجابة لهؤلاء المُصرِّين، الذين يسلكون مثل المرأة التي ذكرها الرب يسوع.

هناك أمر يحتاج إلى توضيح: أحيانًا يطبق البعضُ هذا المثلَ بطريقةٍ خاطئةٍ، فتجدهم يصلُّون صلوات روتينية مكرَّرة ليلًا ونهارًا. لقد حذَّر الربُّ يسوعُ من هذا حينما قال: **"وحينَما تُصَلُّونَ لا تُكَرِّروا الكلامَ باطِلاً كالأُمَمِ، فإنَّهُمْ يَظُنُّونَ أنَّهُ بكَثرَةِ كلامِهِمْ يُستَجابُ لهُمْ" (مت ٦: ٧).** إن الهدف ليس هو كثرة الصلاة، أو تكرار الصلاة. إن التركيز هو على المثابرة، عدم الملل، والتأكُّد من أن الله سيستجيب عندما نضع طلباتنا أمامه. نحن نتقدَّم إليه بثقة؛ لأننا ندرك أن طلباتنا تتفق مع إرادته، وبالتالي، سوف يستجيب لنا. إن إيليا لم يتلقَّ "لا" على طلبته. كان مُصِرًّا على أن يرى التغيير طبقًا لما طلبه في صلاته. لقد استمر مصلِّيًا إلى أن تمت الاستجابة.

البحث الجاد والطَّرْق

يدعونا الرب يسوع لا أن نستمر في الطلب فقط، بل أن نستمر في البحث والطَّرْق؛ فالصلاة بحرارة لا تقتصر على مخادعنا، لكنها تشمل أيضًا السؤالَ الجاد والطرق.

هناك العديد من القصص، أستطيع أن أرويها من خبرتي في هذا الجانب للصلاة. هنا بعض الأمثلة الحديثة:

أُتيحَت لنا الفرصة أنا وليزا أن نقضي يومين في ماوي، هاواي، قبل المشاركة في أحد المؤتمرات. كان التوقيت رائعًا؛ لأننا لم نقضِ فترةً للاستجمام منذ وقتٍ طويل، كما أن والدها كان قد انتقل منذ فترةٍ قصيرةٍ. لقد خططتُ لهذه الفترة بعناية.

قبل سفرنا بعدة أيام، كنا نتابع النشرة الجوية التي كانت تعلن: "أمطار غزيرة!" بالتأكيد، سيؤثر الجو السيِّئ سلبًا على خططنا، لذلك صلَّيت من كل قلبي أن يتوقف المطر.
استمرت ليزا تقول: "إنها ستمطر! إنها ستمطر!"

كنت أجيبها: "سيكون الجو رائعًا. كل شيء سيكون رائعًا".

وصلنا إلى هاواي في المساء، كان الجو مظلمًا كئيبًا. أشارت تقارير الأرصاد إلى أن الأمطار مستمرةٌ وأن هذا الجو السيِّئ يسود على كلِّ جزر هاواي.

في الصباح، فتحت الستارةَ لأرى سحبًا قاتمةً وأمطارًا غزيرةً. لم أستطع أن أرى أيَّ جزءٍ صافٍ في السماء. كان الوضع تمامًا كما أنبأت الأرصادُ الجويةُ. لكني رفضت أن أطلب شيئًا مختلفًا عمَّا طلبته من قبل. صرخت بصوتٍ عالٍ وقلت: "أشكرك أيها الآب السماوي على يومٍ مُشمِسٍ جميل. أريد أن أرى زوجتي في ملابس البحر وهي تستلقي تحت أشعة الشمس".

ضحكت ليزا على تصرُّفي السخيف. ضحكت معها، لكني كنت جادًّا فيما قلت. لن ألين. ذهبنا لتناول طعام الإفطار. بسبب الأمطار الغزيرة، اضطر العمالُ في المطعم أن ينقلوا نصفَ الموائد من الفناء الخارجي إلى داخل القاعة بالفندق.

بمجرد أن قدَّموا لنا طعام الإفطار، رفعت عينيَّ إلى السماء المُلبَّدة بالغيوم وصلَّيت: "يارب، أشكرك من أجل هذا الطعام، بارك هذا الطعام في اسم الرب يسوع. كما أشكرك من أجل يومٍ مُشمِسٍ جميل".

ابتسمت ليزا وقالت مداعبةً: "جون، لم لا تصلِّي لأمرٍ نعرف أنه يمكن أن يُستجاب؟"
ضحكنا معًا؛ فهي دائمًا تقول تعليقات طريفةً.
قلت: "يا حبيبتي، أنا جاد جدًّا. سيكون يومًا جميلًا".

جاء النادل إلى مائدتنا وسأل: "هل تريدان أن أحضر لكما أيَّ شيء آخر؟"
أجبت: "نعم، أرجوك أن توقف الأمطار".

ضحكنا جميعًا. لكن، قبل أن ننتهي من تناول طعام الإفطار، كانت الأمطار قد توقفت، اختفت السحب القاتمة، ظهرت سماء زرقاء صافية وبدأت الشمس تسطع. لم تمطر ثانيةً طوال فترة إقامتنا في ماوي.

بعد ذلك، سافرنا إلى منطقةٍ أخرى في هاواي – أواهو – لحضور المؤتمر. أخبرنا أهالي المدينة أنهم غرقوا من شدة الأمطار في نفس الوقت الذي كانت فيه الشمس تسطع في ماوي. في الواقع، كنا في الجزء الجاف من أواهو، لكن الشواطئ أُغلقت بسبب

الأمطار الغزيرة التي جرفت فضلات خطيرة إلى مياه المحيط. استغرب أهالي المدينة من حالة الجو في ماوي.
أعتقد أن إلهنا العظيم قد سمع لتوسُّلاتي المتواصلة وغيَّر حالة الجو.

كُتب لمن في احتياج

لقد شاركتكم بهذه القصة لأمحو ذلك المفهوم الخاطئ أن الله لا يهتم إلا "بالطلبات الكبيرة". إنه يهتم بكل تفاصيل حياتنا. إنه أبونا! لكن دعوني أشهد عن استجابته لطلبةٍ أكثر أهمية: الصلاة من أجل المحتاجين.

أنا وليزا نؤمن أن الكتب التي نكتبها هي رسائل من الله لكنيسته العامة. في تقديمي لهذه الكتب، أذكر دائمًا أن سبب كتابة اسمي على هذه الكتب هو أنني أول شخص قرأها. في ضوء هذا، فقد اؤتمنَّا على وكالةٍ خطيرةٍ. فأنا وليزا مسؤولان عن الصلاة من أجل الطريقة التي تصل بها هذه الرسائل حول العالم.

في وقت كتابة هذا الكتاب، كانت كتبي قد تُرجِمت إلى أكثر من ستين لغة. كانت صلاتنا هي أن نقدِّم هذه الكتب هديةً للرعاة والقادة في دولٍ ناميةٍ ومجتمعات مغلقة. في الواقع، نحن نريد أن نوزِّع الجزءَ الأكبر من الكتب، لا أن نبيعها.

الله يهتم بكل تفاصيل حياتنا.

في السنوات العشر الأخيرة، قمنا بتوزيع حوالي ٢٥٠,٠٠٠ كتاب لقادة في الصين، إيران، باكستان، الهند، فيدجي، تانزانيا، رواندا، أوغندا وبلاد أخرى. مازلنا لم نحقق هدفنا بالكامل؛ أن نوزِّع أكثر ممَّا نبيع من الكتب؛ فقد بعنا عدة ملايين من النسخ من الكتب.

في بداية عام ٢٠١١، عندما اجتمعت مجموعة القادة لوضع خطط للمستقبل، اكتشفتُ أننا وزعنا ٣٣,٠٠٠ كتاب فقط في ٢٠١٠. بعد مناقشاتٍ طويلةٍ، أعلنت: "خطتنا في هذا العام أن نوزِّع ٢٥٠,٠٠٠ كتاب للقادة في أنحاء العالم".
حدث صمتٌ في غرفة الاجتماعات، ثم قال أحد الأعضاء: "أعتقد أن هذا التقدير أعلى مما يجب؛ فالزيادة لا تُقارَن بحجم التوزيع في العام الماضي. نحتاج أن نُشرك اللجنة

المالية في الحسابات الخاصة بهذه الزيادة. نحتاج لمزيدٍ من الوقت. هل يمكن أن يكون هدفنا ١٠٠,٠٠٠ كتاب لهذا العام ونصل لهذا الرقم في السنوات القادمة؟"

أجبت: "لا، إننا نحتاج أن نثق في دعم الله لنا، لنستطيع أن نصل إلى هؤلاء الرعاة ونسدِّد احتياجاتهم. إن رقم ٢٥٠,٠٠٠ ليس رقمًا كبيرًا كي نسعى لتحقيقه".

ازدادت حدة النقاش. قدَّم هذا العضو أسبابًا إضافيةً ليؤكِّد أن هذا الهدف أكبر من إمكانياتنا. في النهاية، أعلن صراحةً أن هذا الهدف غير واقعي. لقد كان دقيقًا ومنطقيًّا في تقييمه، لكنه لم يضع نعمة الله في الاعتبار.

قلت بإصرار: "يا إخوة، لا توجد خدمة أخرى تمتلك هذه الكتب، لقد ائتمننا اللهُ عليها. نحن الجهة الوحيدة التي تستطيع أن تقدِّم هذه الكتب: "فخ إبليس"، "الغطاء الإلهي"، "فوق العادي"، "حياة دافعها الأبدية"، "Lioness arising" وكتب أخرى. مسؤوليتنا هي أن نثق في أن الله يستطيع أن يعطينا الدعمَ، لذلك نعلِّي الهدف.

استمرت المقاومة. عند هذه النقطة، أصبحت قاطعًا وصلبًا: "لا أريد أن نقف أمام كرسي المسيح لنحاول أن نجد تبريرًا لطلباتنا المحدودة. لا أريد أن أسمع الرعاة يسألوننا هذا السؤال في يوم الدينونة: "لماذا لم تعطونا هذه الكتب التي ائتمنكم عليها الربُّ؟" لن تعطي خدمات أخرى حسابًا عن هذا – نحن فقط سنعطي حسابًا عمَّا ائتمننا اللهُ عليه!"

حدثت حالة من التوتر الشديد، انتهى الاجتماع ونحن في خلاف. لقد شعرت بالأسف بسبب تطور الأمر لهذه الدرجة، وبسبب زيادة حدة المناقشة لهذه الدرجة. أنا متأكد أن رؤساء القطاعات أشخاصٌ مخلصون وروحيون، يهتمون بمصلحة الخدمة. لكني كنت مقتنعًا بما قلت، لذلك، لم أقدر أن أتراجع عن رأيي. كان يجب عليَّ أن أقف في الثغر من أجل هؤلاء الرعاة الجوعى، وتلك الكنائس المحتاجة الموجودة في كل أنحاء العالم.

بعد أيامٍ قليلةٍ، جاء إليَّ المدير الإداري وقال: "چون، سنتمِّم ما على قلبك. نحن هنا لنحقِّق رؤيتك أنت وليزا. أرجوك أن تؤكِّد لي. إذا كنت مقتنعًا بأننا يجب أن نوزع ٢٥٠,٠٠٠ كتاب. إذا صليت واقتنعت بهذا، سندعمك في تحقيق هذا الهدف، سنصلي وسنعمل بجدِّيةٍ في هذا الاتجاه".

طلبت وجهَ الرب مرةً أخرى، لكني تيقَّنت أن هدف الله هو أن نوزع ٢٥٠,٠٠٠ كتاب. لقد انفتحت لنا أبواب لنوزع الكتبَ لقادةٍ في فيتنام، ليبريا، الصين، إيران، تركيا، غانا، طاجيكستان، لبنان، بورما ودول أخرى. كما أننا متأكدون أننا سنتلقَّى طلبات أخرى. لطبع وتوزيع هذا العدد من الكتب، نحتاج حوالي من ستمائة ألف إلى سبعمائة ألف دولار. هذا مبلغٌ ضخم بالنسبة لنا، لكنه ليس كذلك بالنسبة لله.

بعد أسبوعين، اتَّصل بي بعض من فريق العمل في فلوريدا وأخبروني بكل حماس: "جون، لقد استلمنا شيكًا قيمته ٣٠٠,٠٠٠ دولار لطباعة وتوزيع الكتب على القادة حول العالم". في شرفة الغرفة التي كنت أقف فيها صرخت بصوتٍ عالٍ من شدة الفرح.

لقد شارك أحد الموظفين بالإرسالية تلك الرؤيا لأحد رجال الأعمال من تكساس، فكتب هذا الشيك. كانت أكبر تقدمة تلقتها إرساليتنا على مدى العشرين سنة الماضية ٥٠,٠٠٠ دولار. إنها بحق معجزة! هذا المبلغ يكفي لطبع ١٥٠,٠٠٠ كتاب. الحقيقة المذهلة أننا لدينا نصف ما يحقق هدفنا لسنة ٢٠١١ – ولم نكن سوى في شهر فبراير! هذه المكالمة ملأتنا بالفرح، فبدأنا نحتفل.

قبل أن أنهي المكالمةَ سألت: "هل تفهمون الآن لماذا كنت ممتلئًا بالإصرار في اجتماعنا منذ أسبوعين؟"

أجاب المدير الإداري، الذي كان أكثر المعارضين لي، مداعبًا وقال: "كنت أتوقع أن تقول: "اهرب عني يا إبليس"". فضحكنا جميعًا.

قالت ليزا بعد ذلك: "لم يَرِد اللهُ أن نثق فيه في الأمور الممكنة، لكنه كان يريدنا أن نثق فيه في الأمور المستحيلة. إذا لم نلتزم بهذا الهدف، ما كنا قد استلمنا هذا الشيك". كنت أتفق معها تمامًا.

بنهاية هذا العام، وزَّعنا أكثر من ٢٥٠,٠٠٠ كتاب على قادة من واحدٍ وأربعين دولة. ما كان يمكن أن يحدث هذا، إلا بدعم وصلوات شركائنا، كذلك بالجهود الجادة لكل المسؤولين. إذا سجلت اختباراتنا في هذا الأمر، ستحتاج لعدة مجلدات.

كان هذا الحدث سببًا في تقوية إيمان كل أعضاء فريق الخدمة. لقد استلزم مثابرةً في الطلب. السؤال والطَّرْق لنرى هذا الباب يُفتَح للتأثير في حياة الكثيرين. نحتاج أن نتذكر دائمًا أن الله هو **"الْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا" (أف ٣: ٢٠)**. لا نستطيع أن نسمح لعقولنا المحدودة أن تحُدَّ الله. إذا كنا نؤمن بحق، سنسأل بمثابرةٍ ونستمر قارعين حتى نرى مجدَه يُعلَن في أرضنا.

ماذا تنتظر؟

إن امتداد الملكوت لا يحدث في المجال الأرضي إلا بعد أن يكون مضمونًا في المجال الروحي. يوجه الرسولُ بولس تلميذَه تيموثاوس قائلًا: **"جَاهِدْ جِهَادَ الإِيمَانِ الْحَسَنَ، وَأَمْسِكْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي إِلَيْهَا دُعِيتَ أَيْضًا، وَاعْتَرَفْتَ الاعْتِرَافَ الْحَسَنَ أَمَامَ شُهُودٍ كَثِيرِينَ" (١تي ٦: ١٢)**. الإمساك بالحياة الأبدية يعني أن تتمسَّك بدعم الرب يسوع، وبالتأكيد، هذا لا يمكن أن يحدث إلا بقلبٍ كاملٍ. فالله يتجاوب عندما يرى مثلَ هذا التصميم في أولاده.

"بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ" لقد أخبرنا كاتب الرسالة للعبرانيين في **(عب ١١: ٦)**. أنه **"لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ"**. فلم يخبرنا أن الله يجازي الذين يطلبونه أحيانًا، لكنه يجازي الذين يتمسَّكون بطلب وجهه. يتجاوب الله مع الطلبات الجادة، الثابتة، التي تنبع من القلب.

بنفس هذا المنطق يتحدث الله من خلال النبي إرميا:

"لأَنِّي عَرَفْتُ الأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَفْكَارَ سَلاَمٍ لاَ شَرّ لأُعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً. فَتَدْعُونَنِي وَتَذْهَبُونَ وَتُصَلُّونَ إِلَيَّ فَأَسْمَعُ لَكُمْ. وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ. فَأُوجَدُ لَكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَرُدُّ سَبْيَكُمْ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَمِنْ كُلِّ الْمَوَاضِعِ الَّتِي طَرَدْتُكُمْ إِلَيْهَا، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَرُدُّكُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي سَبَيْتُكُمْ مِنْهُ" (إر ٢٩ : ١١ - ١٤).

إن خطة الله لحياتك صالحةٌ دائمًا. إلا أنك تستطيع أن تقبل هذه البركات الغزيرة من خلال الطلب المستمر من كل القلب. هذا هو الإيمان الحقيقي.

هل تذكر كلمات الرب يسوع في مَثَل المرأة وقاضي الظلم؟ عندما يأتي ابنُ الإنسان على الأرض، هل سيجد الإيمانَ على الأرض؟ يا له من سؤال! هل سيجد ذلك الإيمانَ الدنيوي، الإيمانَ من قلب منقسم، والإيمان الحذر – أم إنه سيجد إيمانًا حقيقيًّا؟ هذه الرسالة تعني "كم من الإيمان الحقيقي سيجده ابنُ الإنسان عندما يأتي ثانيةً على الأرض؟" نوع الإيمان الذي يتحدث عنه يشبه تلك المرأة التي أنهكت القاضي بطلبها المستمر.

لا تخجل في الاقتراب من الله

لذلك لا تخجل في الاقتراب من الله. لا تخجل من طلباتك. كن شجاعًا، قويًّا، مثابرًا ومحدَّدًا. إصرارنا في طلباتنا من الله لا يأتي من يأس، بل من ثقةٍ كاملةٍ بأنه أبونا المحب وأنه سيعطينا إذا طلبنا بإصرار في اسمه.

ماذا تنتظر؟ الاحتياجات من حولك كثيرة؛ فهناك الكثيرون يحتاجون أن تتشفَّع بالنيابة عنهم بشأن احتياجاتهم. كن نورًا لهم! اقترب إلى الله الآن بإصرار!

١٦

اركض لتنال الجعالة

"هَكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا(الجعالة)" (١ كو ٩: ٢٤).

مـن خلال دراستا لهذا الكتاب، تعلمت أنا وأنت أننا في حلبة سباق. من خلال رسالة الرسول بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، نستطيع أن ندرك أن السباق شخصيٌّ. إنه سباقك وسباقي.

إن التنافس في هذا السباق ليس مع بعضنا البعض، لكن مع القوى التي لا تريدنا أن نأخذ الجعالة. أنا وأنت نعيش في عالم ساقط، الذي ـ بلا شك ـ يقاومنا. نحن نجاهد. يقول الكتاب: **"اركض بالطريقة التي تجعلك تأخذ الجعالة"** (**١ كو ٩: ٢٤ ترجمة** The New King James).

لاحظ معي ما كتبه الرسول بولس "بالطريقة". تُرى ما هي الطريقة التي نركض بها؟ علينا أن نركض بمثابرةٍ. يعلن كاتبُ الرسالة إلى العبرانيين هذا: **"فلنطرح جانبا كل ثقل يعيقنا عن التقدم، ونتخلص من تلك الخطيئة التي نتعرض للسقوط في فخها بسهولة، لكي نتمكن، نحن أيضًا، أن نركض باجتهاد في السباق الممتد أمامنا" (عب ١٢: ١ ترجمة كتاب الحياة).**

طوال حياتي كنت رياضيًّا، وكان كثيرون من أصدقائي إما هواة أو محترفين. كان الجادون منهم يتدرَّبون جيدًا ويصمدون أمام العقبات، ويحتملون التدريبَ الشاق. يخبرنا الرسولُ بولس بأن كلَّ متسابق يخضع لتدريبات شاقة كثيرة، فيقول: **" وكُلُّ مَنْ يُجاهِدُ يَضبُطُ نَفسَهُ (يقوم بتدريبات شاقة كثيرة) في كُلِّ شَيءٍ" (١كو ٩: ٢٥).** لماذا يفعل الرياضيُّون هذا؟ يقول الرسول إنهم يفعلون هذا "لكي يأخُذوا إكليلًا يَفنَى".

بالنسبة للاعب كرة القدم المحترف، قد تكون الجائزة هي كأس البطولة. بالنسبة للاعب الجولف، قد تكون الجائزة هي أن تكسب بطولة الأساتذة أو إحدى البطولات الأخرى المهمة. بالنسبة للاعب الهوكي، فالجائزة عبارة عن كأس ستانلي، أما بالنسبة للاعب الأولمبياد فالجائزة هي ميدالية ذهبية. إن التطلُّع للجائزة هو الحافز للاعبين. فهؤلاء الذين يمتلكون الرؤية ويركزون أعينهم على الجائزة، سوف يتدرَّبون باستمرارٍ وبمثابرةٍ، ويحتملون كل المصاعب، بطريقةٍ أكثر من هؤلاء الذين ليس لديهم الدافع لنيل الجائزة.

أن تبدأ السباق جيدًا هذا أمر مهم... لكن كيف تنهيه هو أمر أكثر أهمية.

رأيت لاعبًا لكرة الهوكي وهو يحتمل الكسر الذي أصيب به في قدمه، وهو يتوسَّل لمدربه أن يضع رباطًا على الإصابة ليستمر في اللعب ليحصل على كأس ستانلي. استمر في اللعب بالرغم من الألم الذي لا يتحمله كثيرون من الناس ويمنعهم حتى من مجرد السير. رأيت لاعب كرة قدم وهو يربط أنفه التي تعرضت لإصابةٍ شديدةٍ واستمر في اللعب. لقد تغلَّب تطلُّعه للجائزة على كلِّ ما أصابه من ألم لا يُحتمَل. بلا شك، لقد رأينا هذا في مناسبةٍ أو أكثر سواء كانت في الألعاب الرياضية أو في مجالاتٍ أخرى. الرؤيا هي الحافز العظيم. إنها هي التي تجعل بعضَ الأشخاص يثبتون دون غيرهم. إنها هي التي تجعل منهم أبطالًا. هؤلاء الذين يركزون أعينهم على الجائزة سيحتملون كلَّ المصاعب والمقاومات.

كأولاد الملكوت، نحارب كل يوم قوى العدو المدمِّرة. علينا أن نعرف ما الذي نجاهد لأجله. ما هو الدافع الذي يدفعنا لننهي السباقَ بنجاح؟ لماذا يجب أن نستمر أمناء؟ كأولادٍ لله ما الذي من الممكن أن تضيفه حياتنا الشخصية؟ لماذا المهمة الموضوعة أمامنا هي بهذه الأهمية لاكتمال صورة الملكوت الكبيرة؟

يقول لنا الرسول بولس إن الإجابة على هذه الأسئلة هي نفس الإجابة التي يجيب بها الرياضي. نحن نجاهد لنأخذ الجعالة: "... هكذا اركضوا أنتم لكي تمسكوا بالجعالة وتجعلوها لكم". في سنواته الأخيرة، يكتب الرسول يوحنا ويقول:

"فانتبهوا لأنفسكم، لكي لا يضيع الجهد الذي بذلناه في سبيلكم، بل لتنالوا أجركم كاملا" (٢يو ١: ٨ ترجمة كتاب الحياة).

لقد حَرَم سليمانُ نفسَه من التأهُّل للجائزة؛ لأنه لم يُنهِ السباقَ بقوةٍ. لم يكن الهدف هو محور تركيزه.

إن بداية المهمة بداية جيدة أمر مهم، لكن في تقدير الله كيف نُنهي المهمةَ هو أمر أكثر أهمية. إن النهاية الجيدة، وبالتالي، نوال الجعالة أمرٌ يتطلَّب المثابرةَ بإصرارٍ وصبرٍ، ولا يمكن أن يحدث هذا إلا من خلال طاقةٍ ننالها من خلال الدافع. لعلَّ المكان هنا يكون مناسبًا لنسأل سؤالًا مهمًّا: "ما هي المكافآت التي نعمل لأجلها – الجعالة التي ينبِّهنا الكتابُ إليها ويحذِّرنا كي لا نفقدها؟"

نستطيع أن نرى الجعالة في مستويين. سأتحدث عن المستوى الأول هنا وفي الفصل التالي سوف أتحدث عن الثاني.

المكافأة الأولى

تدور المكافأة أو الجائزة الأولى حول فكرة أن مسيرة حياتنا تتعلق بطريقةٍ مباشرةٍ ببناء بيت الله – البيت الذي سيسكن فيه للأبد[1].

الله يبني لنفسه بيتًا – بيتًا مخصَّصًا لمجده. إنه البيت الذي يشتاق أن يسكن فيه، وهو الهدف الذي كان يركِّز عليه لآلاف السنين، وهو متشوِّق إليه!

كان لي أنا وليزا امتياز أن نبني بيتًا مخصَّصًا لنا. في أواخر الثمانينات من القرن الماضي، عندما كنا نعيش في أورلاندو – فلوريدا، تقدم لنا مكتب استشاري هندسي لشخصٍ يدُعَى روبرت وقال لنا: "أنا أحب خدمتكم، أنا أريد أن أبني لكم منزلًا". في هذا

(١) للمزيد من الدراسة حول موضوع بيت الله انظر إلى كتابي بعنوان:(حياة دافعها الأبدية، PTW ٢٠١١).

الوقت، كنا نعيش في منزل صغير، متوسط، وكنا نشعر أن ثمن هذا البيت سيكون غاليًا بالنسبة لنا. لكن عندما لم نتمكن من ذلك، قال لنا روبرت: "أنا سأعمل هذا الأمر "لأجل الله"". ولم يأخذ مليمًا واحدًا كمكسبٍ من هذا الأمر.

قبل ذلك، كنت أنا وليزا نمتلك بيتين؛ كان كلٌّ منهما صغيرًا ولم تكن لدينا أية حرية في تغيير أي شيء في هذين البيتين. كنا معتادين على أن نختار بيوتًا بسيطة ولم تكن لنا حرية في اختيار الألوان أو المواد، ولم تكن لدينا الحرية لنأخذ قرارات كبيرة. لذلك، ففكرة بناء بيت مخصَّص لنا، لم تكن تطرأ على بالنا.

لا أنسى عندما جاء روبرت إلينا في منزلنا المتواضع بعد عدة أيام، وجلس معنا على طاولة المطبخ، ووضع عليها ورقة بيضاء وقال بكل حماس: "ارسما منزل أحلامكما!"

أصابنا الذهولُ. لم نكن نتوقَّع أننا سنفعل هذا الأمرَ بسرعة، بدأت ليزا ترسم على الورقة، كما لو كانت قد فكرت في هذا الأمر منذ فترةٍ طويلةٍ (في واقع الأمر، لقد كانت). كنت أبطأ في الاستجابة، وكانت أفكاري تتضمَّن مكانًا لدراستي، وجراج لسياراتنا، أما زوجتي فقد قامت بأغلب المهام. كنت سعيدًا، وازدادت سعادتي أكثر وأكثر عندما بدأت أكتشف أننا سوف نستطيع أن نخطِّط لمنزلنا الجديد طبقًا لكلِّ ما نتمنَّاه. لم تكن هناك أية حدود أو موانع.

ذهبت كل هذه الأحلام التي وضعناها على هذه الورقة بعشوائية إلى المهندسين والمصمِّمين، وبعد عدة أيام، جاء إلينا روبرت ليعرض علينا الرسومات، كانت بديعةً. بعد ذلك، بدأوا في العمل في بناء البيت.

كنت أذهب أنا وزوجتي إلى موقع العمل يوميًّا، وأحيانًا كنا نذهب مرتين في اليوم. كان لدينا شغف لرؤية البناء وهو يتقدم كل يوم. مرت علينا هذه الشهور وكأنها سنوات، والأيام كأنها أسابيع. كنا مندهشين عندما رأينا أن أحلامنا التي رسمناها على ورقةٍ بيضاء تصبح واقعًا أمام عيوننا!

أعتقد أن التوقع بفرح، الذي كنا نشعر به ونحن ننتظر اكتمال بناء بيتنا، يشبه عواطف الله وهو يتوقع وينتظر البيت الذي يحلم به. إلا أن انتظاره لهذا الأمر تعدَّى مجرد عدة شهور، ففي واقع الأمر، الله ينتظر اكتمال البيت من وقت أن أسَّس العالم.

أحيانًا نعطي أسماءً لبعض البيوت الخاصة. على سبيل المثال، بيت ملكة إنجلترا يُدعَى "قصر باكنجهام". في أمريكا يعيش الرئيس في "البيت الأبيض". يسمَّى بيت الممثل مايكل دوجلاس في برمودا "لوجلاند". إن ما لا يعرفه الكثيرون أن الله بدأ عملية تسمية هذا البيت قبل أن نفعل نحن هذا هنا على الأرض. لقد سمَّى بيته الأبدي، الذي مازال تحت الإنشاء "صهيون" كما كتب المرنِّم:

"لأنَّ الرَّبَّ قد اختارَ صِهيَوْنَ.
اشتَهاها مَسكَنًا لهُ:
«هذِهِ هي راحَتي إلَى الأبدِ.
ههنا أسكُنُ لأنِّي اشتَهَيتُها»"
(مز ١٣٢: ١٣-١٤).

لاحظوا أن الله اشتهى منزلَه. بكلمات أخرى، لقد كان ينتظره بلهفةٍ. كما كنت أنا وليزا ننتظر منزلنا الجديد. نقرأ في كلمة الله أن البيت الذي يُدعَى صهيون كان في فكر الله منذ الدهور.

"الرب بنى صهيون وتجلى في مجده" (مز ١٠٢: ١٦ ترجمة كتاب الحياة).
"رَنِّموا للرَّبِّ السّاكِنِ في صِهيَوْنَ" (مز ٩: ١١).
"من صهيون الكاملة الجمال أشرق مجد الله" (مز ٥٠: ٢ ترجمة كتاب الحياة).

عندما تبني منزلًا، تبدأ بالأساس. نقرأ هنا كلمات إشعياء: **"لذلكَ هكذا يقولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: "هأنذا أؤَسِّسُ في صِهيَوْنَ حَجَرًا، حَجَرَ امتِحانٍ، حَجَرَ زاوِيَةٍ كريمًا، أساسًا مؤَسَّسًا" (إش ٢٨: ١٦).** تُرى ما هو حجر الزاوية ـ أو بلغة أفضل ـ من هو حجر الزاوية؟ ليس هو إلا ابن محبة الآب، الرب يسوع. لقد أوضح إشعياء أن الرب يسوع هو جزء من مواد بناء بيت الله الأبدي، صهيون. في واقع الأمر، إنه هو حجر الزاوية. إنه أهم جزء فيه.

ثم يأتي العهد الجديد ويعلن: **"كونوا أنتُمْ أيضًا مَبنيِّينَ -كَحِجارَةٍ حَيَّةٍ- بَيتًا روحيًّا" (١بط ٢: ٥).** إن البيت الذي يشير إليه الرسول بطرس هو صهيون. يُشار إلى الرب أنه حجر، ويُشار إلينا أننا نحن أيضًا أحجار حية. أما الرب يسوع فهو حجر الزاوية. بالاشتراك مع الرب يسوع، يمثل المؤمنون جزءًا من مواد بناء البيت الذي سيسكن فيه الله إلى الأبد!

الله يبني بيتًا. إنه يستخدمنا كلنا – بغضِّ النظر عن أصلنا – في ما يبنيه. لقد استخدم الرسلَ والأنبياءَ لوضع الأساس. الآن هو يستخدمكم أنتم، يضعكم حجرًا مع حجرٍ ويكون الربُّ يسوع هو حجر الزاوية الذي يربط الأجزاء معًا. ويرتفع البناء يومًا بعد يومٍ، ونكون كلنا جزءًا منه، ويكون هو الهيكل الذي هو مسكن الله. (أف ٢: ١٩ –٢٢ ترجمة MSG).

المقاولون الفرعيون

نحن لا نمثِّل مواد بناءٍ فحسب، لكن الكتاب يقول إننا شركاء في العمل مع الله (١كو ٣: ٩). أو طبقًا للمفهوم العصري، نكون "مقاولين فرعيين". من هم المقاولون الفرعيون؟ هم الذين يقومون بأعمال النجارة، الكهرباء، الحدادة، السباكة، بناء الأعمدة والحوائط... إلخ. هؤلاء هم الأشخاص الذين يبنون البيت. عندما بنى روبرت بيتنا، لم يضع مسمارًا بيده، لم يقطع أية قطعة خشبٍ، لكن كلَّ من اشترك في عملية البناء كانوا من المقاولين الفرعيين.

إن كان المقاولون الفرعيون هم الذين يبنون البناء، إذًا ما هي وظيفة البنَّاء الأساسي (المهندس)؟ أجيب عن هذا السؤال من خلال ثلاثة محاور. أولًا: هو يصمِّم المنزل. الله كبنَّاء لبيته صمَّم بيتَه منذ أمدٍ بعيدٍ. يكتب الرسولُ بولس ويقول: **" كما اختارَنا فيهِ قبلَ تأسيسِ العالَمِ" (أف ١: ٤).** ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: **"فإن أعمال الله قد أُنجزت منذ إنشاء العالم" (عب ٤: ٣ الترجمة البولسية).** لقد أتمَّ اللهُ خطةَ إنشاء البيت قبل أن يخلق آدم. يا له من أمر مدهش!

ثانيًا: المهندس هو الذي يحدِّد نوعية المواد التي ستُستخدَم في البناء ويطلبها. ألا يسعدنا أن الله يطلبنا؟ لهذا السبب يقول: **"قبل أن أصوِّرك في البطن اخترتك، وقبل أن تخرج من الرحم كرستك" (إر ١: ٥ ترجمة الأخبار السارة).** يقول الرسول بولس: **"كما اختارَنا فيهِ قبلَ تأسيسِ العالَمِ" (أف ١: ٤).**

أما المسؤولية الثالثة للمهندس، أنه يختار المقاولين الفرعيين ويضع لهم خطةً وتوقيتًا للتنفيذ. إن هذا الأمر مهمٌّ وخطيرٌ بالنسبة للمشروع؛ لأنه ليس ممكنًا أن يأتي الكهربائي قبل أن نضع الحوائط، ولا يمكن أن نضع السجاجيد قبل أن ندهن الحوائط. إن لم يكن هناك تنسيق لعمل المقاولين الفرعيين، فسيحدث تشويش للعمل.

لعلَّ إنشاء بعض البيوت في هذه الأيام لا يحتاج إلى مثل هذا المهندس، لكن بيت الله يحتاج إلى هذا المهندس. تُرَى في فكرك من هو هذا المهندس الرئيسي في بناء بيت الله؟ هل أدركت من هو: إنه الرب يسوع المسيح. يقول الكتاب في **(غل ٤: ٤) "ولكن لَمَّا جاءَ مِلءُ الزَّمانِ، أرسَلَ اللّهُ ابنَهُ"**. الله البنَّاء أرسل الربَّ يسوعَ "في الوقت المعيَّن" ليكون مهندسًا رئيسيًّا في إنشاء صهيون.

أما بالنسبة لعمله كمهندسٍ رئيسي، فقد أتمَّ الربُّ يسوعُ مهمتَه على أكمل وجه. بلا شك، لقد أنهى العملَ بنجاحٍ! في العشاء الأخير، استطاع أن يقول لأبيه بكلِّ اتضاعٍ: **"العَمَلَ الذي أعطَيتَني لأعمَلَ قد أكمَلتُهُ" (يو ١٧: ٤)**. لقد أنهى الربُّ عملَه كمهندس رئيسي لبناء صهيون.

ماذا عني وعنك؟ ما الذي تقوله كلمة الله عن دورنا كمقاولين فرعيين في عملية بناء بيت الله؟

يقول الكتاب: **"لأنَّنا نَحنُ عَمَلُهُ، مَخلوقينَ في المَسيحِ يَسوعَ لأعمالٍ صالِحَةٍ، قد سبَقَ اللّهُ فأعَدَّها لكَيْ نَسلُكَ فيها" (أف ٢: ١٠)**. لاحظ أننا خُلِقنا في المسيح "لأعمالٍ صالحةٍ". بكلماتٍ أخرى، نحن لم نُخلق لنكون شيئًا، لكن خُلقنا في المسيح لنعمل شيئًا. دعونا ننتبه أكثر لهذا في وقتنا الحاضر: في السنوات الأخيرة، أستطيع أن أرصد أن هناك عدم اتِّزان بخصوص التعليم عن جسد المسيح؛ فإننا نركِّز على "من نحن في المسيح"، الأمر الذي له أهمية قصوى، لكننا ركَّزنا على هذا الأمر وأهملنا أمرًا آخر، وهو دورنا الذي علينا أن نعمله لأننا خُلِقنا في المسيح. إن عدم الاتِّزان في هذا الأمر قد خلق مشكلتين جوهريتين.

أولًا، لقد خلق كنائس فاترةً في الغرب. أغلب المؤمنين يحضرون الكنيسةَ مرةً واحدةً في الأسبوع، والكثيرون قد لا يحضرون إلا نادرًا. انشغلنا بأعمالنا، بتوفير حياةٍ اجتماعيةٍ راقيةٍ، شراء بيت، تربية الأولاد، توفير نفقات تعليمهم وتوفير مبلغٍ كبيرٍ يعيننا عند التقاعد. وهكذا، أصبح دافعنا هو أن نتمِّم كلَّ هذه الأمور لا أن نتمِّم رسالتنا الشخصية التي أخذناها من الله. الكثيرون منا يجهلون حقيقة أن هناك "عملًا" أبديًّا علينا أن نتمِّمه.

فكِّر في هذا: كيف استطاع الرسول بولس أن يقول: **"أكمَلتُ السَّعيَ" (٢ تي ٤: ٧)**. إن لم يكن يعرف طريقه؟ دعني أشرح لك. إن كنت تشترك في مسابقةٍ للجري للمسافات الطويلة في المدينة، فعليك أن تدرك أنه ينبغي على كل المتسابقين أن يدرسوا الخريطةَ التي تحدِّد المسارَ قبل أن يبدأ السباقُ. إن كنت تشترك في سباق المسافات الطويلة دون أن تعرف المسارَ المخطَّط لك، سوف تجري وتجري إلى أن تسقط ويحملك زملاؤك ويذهبون بك إلى البيت، دون أن تدرك أنك لم تُنهِ السباقَ. إن الطريقة الوحيدة التي بها تستطيع بأمانةٍ أن تقول إنك قد أنهيتَ السباق هي عندما تنهي المسار المخطط لك. لعل الرسول بولس قال كما قال الرب يسوع: **"العَمَلَ الذي أعطَيتَني لأعمَلَ قد أكمَلتُهُ"**.

كيف يمكن أن ننهي السباقَ إن كنا نركِّز فقط على أمور حياتنا اليومية وننشغل بها؟ كيف يمكن أن نعرف خطة الله لأجلنا عندما تكون علاقتنا الأساسية معه مقتصرةً على حضور اجتماع يوم الأحد من كل أسبوع؟ كيف يمكن أن نعرف خطته لنا إن لم نطلب وجهَه باجتهادٍ كل يوم؟

أما المشكلة الثانية التي تنشأ نتيجة عدم التوازن في العمل هو أنه يتولد لدى كثيرين من المؤمنين انطباع بأن المتفرِّغين للخدمة هم الذين لهم دعوة في حياتهم. هذا هراء! كل ابن من أولاد الله، سواء كان كبيرًا أم صغيرًا، له دعوة سماوية، وهذه الدعوة هي أن تكون مقاولًا فرعيًّا أمينًا لبناء بيت الله. تلقي ترجمة (the Amplified bible) الضوء على كلمات الرسول بولس وتؤكد على أننا قد خُلقنا في المسيح يسوع: **"لنقوم بالأعمال الصالحة التي أعدها الله (خططها من قبل) لنا من قبل (سائرين في الطريق الذي أعده لنا) لنسلك فيها (أن نحيا الحياة الصالحة التي سبق ورتبها لنا لنحياها)" (أف ٢: ١٠)**.

أعطانا اللهُ الامتيازَ لنخدمه كأعضاءٍ في فريق المقاولين الفرعيين لبناء صهيون، مسكنه الأبدي. إنه ليس بيتًا مبنيًّا بحجارةٍ. إنه بيتٌ غير مصنوع بأيادٍ. إنه بيتٌ حي مصنوع من أبناء وبنات الملك. لعلك مثل أغلب المقاولين الفرعيين لا تستطيع أن ترى (بعد) كيف أن دعوتك سوف تتمِّم جزءًا من الصورة النهائية لبيته؛ لأنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يراها باعتباره المهندس الرئيسي. إن مشاركتنا ستظهر في يومٍ من الأيام في المستقبل عندما يتم بناء البيت، ونستطيع أن نستمتع معًا بحضوره إلى الأبد.

عندما حدد روبرت المقاولين الذين سيعملون في بناء البيت، حدَّد لكلٍّ منهم الجزءَ المخصَّص له في خطة البناء. لقد وضع أمامهم بدقة ما الذي يريده من كلٍّ منهم. لم يأتِ أيٌّ منهم إلى الموقع وفعل ما يحلو في عينيه. كانوا يتبعون الخطة التي سبق وأعدَّها المهندس.

لقد أعد اللهُ مسبقًا أفضل طريق لك ولي، ولكل واحدٍ يثق في الرب يسوع المسيح كمُخلِّص (أف ٢: ١٠). وكما أن هناك دورًا محددًا لكل مقاول من المقاولين الفرعيين الذين يبنون المنزل، هكذا لكل واحدٍ فينا دور خاص ومهم في بناء بيت الله الأبدي. لا يوجد عمل أكثر أو أقل أهمية من الآخر. إن الله يريد أن ينتهي العمل من بناء بيته بحسب الخطوات التي وضعها منذ الأزل. وهذا يستلزم أن يكون لكل واحدٍ منا دور، ويقوم به على أكمل وجه.

مكاسب البنَّاء أو الخسارة

الآن، تستطيع أن تفهم بأكثر وضوحٍ لماذا يشير إلينا الكتاب كبنَّائين. يقول المرنِّم: **"الحَجَرُ الذي رَفَضَهُ البَنَّاؤونَ قد صارَ رأسَ الزَّاوِيَةِ" (مز ١١٨: ٢٢).** وكما ذكرت من قبل، قال الرسول بطرس إن كل المؤمنين هم حجارةٌ في بيت الله، ثم انتقل مِن "مَنْ نحن؟" إلى "ما الذي دُعينا لنفعله في بيت الله؟" – أي كبنَّائين (أو مقاولين فرعيين) لبيت الله. **"كونوا أنتُمْ أيضًا مَبنيِّينَ -كَحِجارَةٍ حَيَّةٍ- بَيتًا روحيًّا، كَهَنوتًا مُقَدَّسًا، لتقديمِ ذَبائحَ روحيَّةٍ مَقبولَةٍ عِندَ اللهِ بيَسوعَ المَسيحِ... فلكُمْ أنتُمُ الذينَ تؤمِنونَ الكَرامَةُ، وأمّا للذينَ لا يُطيعونَ، «فالحَجَرُ الذي رَفَضَهُ البَنَّاؤونَ، هو قد صارَ رأسَ الزَّاوِيَةِ»" (١بط ٢: ٥، ٧).**

نرى في كلمات بطرس أن الشخص الأمين والمطيع هو البنَّاء الحقيقي الذي يبني بيتَ الله، في حين أن هؤلاء الذين لا يطيعون الكلمة (خطة الله) هم يعملون ضد إرادته.

بينما نتأمَّل في هذه الكلمات، تعالوا بنا ندرس وصفَ الرسول بولس للجعالة:
"فالغارس والساقي سواء، إلا أن كلًّا منهما سينال أجرته بالنسبة إلى تعبه. فإننا نحن جميعًا عاملون معًا عند الله، وأنتم حقل الله وبناء الله (صهيون). وبحسب

نعمة الله الموهوبة لي، وضعت الأساس كما يفعل البناء الماهر (مقاول فرعي)، وغيري يبني عليه. ولكن، لينتبه كل واحد (كل واحد مقاول فرعي) كيف يبني عليه. فليس ممكنًا أن يضع أحد أساسًا آخر بالإضافة إلى الأساس الموضوع، وهو يسوع المسيح" (١كو ٣: ٨-١١ ترجمة كتاب الحياة).

أول وأهم كل شيء، لاحظ في الجملة الأولى أن الله يتكلم عن الجعالة. ضع هذا في اعتبارك وأنت تتأمل في هذا الجزء.

لقد وضع الرسولُ بولسُ الأساسَ؛ فقد كتب هذه الرسالة منذ ألفي عام، ومازلنا نستخدم هذه الكلمات كأساسٍ ثابتٍ لكيفية الحياة في المسيح. إن أول مقاول فرعي عمل في بيتنا في فلوريدا هو من وضع الأساسَ. بمجرد أن انتهى من هذا العمل، بدأ بقية المقاولين في البناء على هذا الأساس الذي وضعه المقاول الأول.

يكمل الرسول بولس حديثه ويقول: **"ولكن إنْ كانَ أَحَدٌ يَبني علَى هذا الأساسِ: ذَهَبًا، فِضَّةً، حِجارَةً كريمَةً، خَشَبًا، عُشبًا، قَشًّا" (١ كو ٣: ١٢)**. يشير الذهب، الفضة والحجارة الكريمة إلى ما هو دائم وأبدي أما الخشب، القش والعشب فيشيرون إلى ما هو مؤقت وزائل. في كل لحظة من لحظات حياتنا، لدينا الخيار: نستطيع أن نبني إمَّا الأبدي أو المؤقت. عندما تكون دوافعنا هي أن نجمع المال أو نحصل على الشهرة، فإننا نساعد الناسَ فقط لمنفعتنا الشخصية، نصعد على درجات النجاح لنثبت أهميتنا، وكل الأمور التي تركز على الذات، هنا نحن نبني الأمور الزائلة. لكن إن كنا نركِّز على بناء ملكوت الله، وعلى بناء بيته بأن نقدِّم كلمةَ الله الحية للمحتاجين، فإننا نبني الأمورَ الأبديةَ.

يكمل الرسول بولس حديثة ويقول: **"فإن عمل كل واحد سيكون بيِّنًا، لأن يوم الرب، سيظهره، إذ إنه يستعلن بالنار، والنار ستمتحن قيمة عمل كل واحد" (١كو ٣: ١٣ الترجمة البولسية).**

ستمتحن النارُ أعمالَنا، لكنها أيضًا ستمتحن الدوافعَ والنوايا وراء هذا العمل (راجع ١ كو ٤: ٥). عندما تضع النارَ تحت الخشب، العشب والقش ستلتهمهم النار، لكن إن وضعت النار تحت الذهب، الفضة أو الحجارة الكريمة، سيكونون أكثر نقاءً وجمالًا؛ فهم يُمتَحنُوا ويُنَقَّوا. هنا يأتي دور الجازاة: **"فمن بقي عمله الذي بناه نال أجره، ومن احترق عمله خسر أجره. وأما هو فيخلص، ولكن كمن ينجو من خلال النار" (١كو ٣: ١٤-١٥ ترجمة الأخبار السارة).**

لاحظ أنك ـ كبنَّاء ـ ستنال الجعالة إذا أنهيت المهمَّة نهايةً جيدةً! لكن إذا فعلت عملًا لا يتفق مع كلمة الله – إن كانت دوافعك أنانيةً، وهناك عدم طاعة وكبرياء– عندئذ سيحترق عملك. كمؤمنٍ بالمسيح ستذهب للسماء، لكن لن تكون هناك مكافآت للعمل. إن هذه كلمات قوية لتحذيرنا.

في دراستنا لهذا الجزء، دعونا نتذكر أن الرسول بولس يتحدث لا للأفراد بل لكل الكنيسة.

"ألا تعرفون أنكم هيكل الله وأن روح الله ساكن فيكم؟ فإن دمر أحد هيكل الله، يدمره الله، لأن هيكل الله مقدس، وهو أنتم. حذار أن يخدع أحد منكم نفسه" (١كو ٣: ١٦ -١٨ ترجمة كتاب الحياة).

نجد هنا أيضًا كلمات قوية! إن هذا ينبغي أن يولِّد خوفًا مقدسًا داخل كل شخصٍ يسيء معاملة أو قيادة بيت الله أو عروس المسيح، الكنيسة. انتبه إلى هذا التحذير الموجَّه إلى كل من يسيء معاملة أصغر "حجر" في بيت الرب، أو من قد نطلق عليه "أصغر القديسين".

مكافأة المقاولين الفرعيين

يستكمل الرسول بولس حديثه ويقول: **"لا يَخدَعَنَّ أَحَدٌ نَفسَهُ" (١كو ٣: ١٨).** للأسف، لا يُنهِي بعضُ المؤمنين السباقَ بقوةٍ؛ لأنهم انحرفوا عن المسار الذي كان ينبغي أن يسيروا فيه، وذهبوا وراء رغبة إرضاء الذات. لقد تحوَّلوا من بناء بيت الله بغرض تمجيد الله وذهبوا وراء المجد الذي يفنى – ساعين وراء نوال رضا الناس الفاني أو غنى هذا العالم الذي سيحترق بالنار.

لا تكن أحمقًا. استمر مركزًا. لديك مهمة عليك أن تعملها في المسيح. ينبغي أن تتمِّم العملَ كما رسمه اللهُ، وإلا سيتمِّم شخصٌ آخر العملَ الذي كان من المفترض أن تقوم به. إن الرسالة واضحة تمامًا:

ليت كل شخص يأتي ليعمل أن يبني على الأساس! تذكَّر أن هناك أساسًا واحدًا، الأساس الذي سبق ووضعه الله: أي يسوع المسيح. اهتم بنوعية مواد البناء؛ ففي النهاية ستُمتحن. إن استخدمت موادًا رخيصةً، ستكُتشف. إن الامتحان سيكون دقيقًا وصارمًا. إن نجحت في الامتحان، سيكون هذا جميلًا. لكن إن لم تنجح، فسيحترق الجزء الذي عملته في البناء، وستخسر أجرك لكنك ستخلص كمن ينجو من النار. (١كو ٣: ١٠–١٥ صياغة المؤلف).

إذا كان عملنا لا يرتقي إلى المقاييس التي يتطلبها الامتحان "فسيحترق هذا الجزء من البناء وسيبدأ شخصٌ آخر في عمله". لا يريد أحد أن يُعاد عمله – خصوصًا عندما يكون هذا العمل قد عمله لخالق الكون!

أتذكر عندما لم يقم أحد المقاولين الفرعيين بأداء مهمته بإتقان في بيتنا، ولم ينفِّذ تعليمات روبرت بدقة. كنت أنا وليزا نتابع العمل بالموقع كل يوم، وكنا أول من لاحظ المشكلة. اتصلت بروبرت، وتقابلنا في الموقع، كان غاضبًا. لم يكن هذا المقاول من ضمن الفريق الذي يعمل معه بصورةٍ دائمةٍ، ولهذا طرده روبرت فورًا من الموقع. لقد خسر الرجلُ مكافأته. إلا أنه لم يخسر المال فقط، لكن خسر أيضًا سمعته بين الذين يعملون في هذا المجال.

رأيت روبرت وهو يهدم ما فعله هذا الرجل، ثم عيَّن مقاولًا آخر ليقوم بالعمل تمامًا كما رسمه روبرت. هذا الشخص نال مكافأته – المادية وأيضًا السمعة الطيبة أنه شارك في بناء هذا البيت الجميل.

يخبرنا الكتاب المقدس أن هذا المبدأ ينطبق بجدية على بناء بيت الله. هناك من لا ترقى حياتهم أو عملهم إلى المستوى المطلوب، وسوف يُحرَق عملهم ولا يكونوا جزءًا من البيت الأبدي.

دعني ألقي الضوءَ على خطورة هذا الأمر. حيث إني كنت أزور موقع بيتنا كل يوم، فكان المقاولون يعرفونني جيدًا. كانوا يطلقون عليَّ "الواعظ". عندما كنت أذهب إليهم كل يوم، كنت أسمع دوي أغاني الروك الصادرة من موقع منزلنا من بعيد، لكن بمجرد ما يروني، يسرع واحد من المقاولين ويغلق هذه الأغاني. كنت أبتسم في داخلي لأني أشعر أنهم يوقرون ما يخص أمور الله. ثم كنا نتحدث لفترةٍ قصيرةٍ. كانت لديَّ فرصة لأجري حوارات رائعة مع هؤلاء الناس – بل كانت لديَّ فرص مباركة لأقدم من خلالها الرسالة.

أتذكر ذات يوم عندما تحدَّث معي هؤلاء المقاولون عن عظمة البيت الذي يشاركون في بنائه. كانت وجوههم تشع بالفرح وهم يتحدثون عن أنهم الذين شاركوا فيه، وكنت تستطيع أن تلاحظ مدى الرضا لكونهم جزءًا من هذا العمل الرائع.

دعونا نأخذ خطوةً أبعد. هل تستطيع أن تتخيَّل شعور المقاولين الفرعيين الذين شاركوا في بناء البيت الأبيض؟ تخيَّل اليوم الذي عاد فيه أبناؤهم من المدارس وكانوا قد أعلنوا لهم عن رحلة سيقومون بها لزيارة أشهر بيت في تاريخ الأمة. هل تستطيع

أن تتخيَّل مدى السعادة والرضا التي يشعر بها أب عندما يخبر أولادَه بأنه اشترك في بناء هذا البيت المميَّز؟ هل تتخيل ما هو شعور الأب عندما يرافق زملاءَ ابنه في الفصل شارحًا لهم دوره في بناء البيت الأبيض؟ هل تتخيَّل مدى الفخر الذي يظهر على ملامح هذا الطفل عندما يكتشف زملاؤه أن أباه هو الذي اشترك في بناء البيت الذي يسكن فيه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية؟

إن هذا ينطبق أيضًا على بيت الله! صحيح أننا لا نعمل في بيتٍ سوف يُهدم ويُجدَّد بعد فترةٍ من الزمان طالت أو قصرت، لكننا نعمل في بيتٍ سيكون محطَّ أنظار كل الكون للأبد. تعالوا بنا نسمع كلمات النبي ميخا:

"ويكون في آخر الأيام أن جبل هيكل الرب يصبح أشهر الجبال، ويعلو فوق كل التلال، فتتقاطر إليه شعوب عديدة، وتقبل إليه أمم كثيرة قائلة: تعالوا لنصعد إلى جبل الرب، إلى هيكل يعقوب ليعلمنا طرقه فنسلك في سبله، لأن من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم تذاع كلمة الرب" (مي ٤: ١-٢).

نحن نعمل في البيت الذي سيكون محط أنظار كل الكون!

سيكون هذا البيت مركزًا لكل أمور الكون. ستنساب من قادته كلُّ منابع الحكمة بل والقوانين العادلة التي تحكم كل الخليقة. الحقيقة المدهشة هي أن جمال هذا البيت في اليوم الأول سيكون مثل جماله بعد بلايين البلايين من السنين.

كان هناك خادم للإنجيل، كان أمينًا لله حتى نهاية حياته. كان يخدم بكفاءةٍ لمدة ستين عام، وذهب إلى المجد قبل نهاية القرن الماضي. بعد عامٍ أو أكثر من رحيله، ذهبت إلى كنيسةٍ كبيرةٍ في الوسط الغربي للولايات المتَّحدة الأمريكية حيث قال لي قائد فترة العبادة إن الله أعطاه حلمًا عجيبًا. في هذا الحلم، كان في السماء، ورأى هذا الخادم العظيم الذي انتقل للمجد، وقد أنهى سعيه بنجاح. قال له الخادم وهم يبتسم ابتسامةً عريضةً: "هنا أفضل بكثير جدًّا ممَّا كنت أتخيل". تحدَّثا معًا لبضعة دقائق، ثم التفت الخادم وأشار إلى الجزء الذي صنعه في صهيون. كان جزءًا كبيرًا. إن تأثير هذا الخادم الأمين امتد لأكثر ممَّا كان يحلم عندما كان على الأرض، والآن هو يرى هذا التأثير أمام عينيه. كان قادرًا على توضيح عمله تمامًا كما كان يخبرني المقاولون عمَّا يفعلونه في بناء بيتنا الذي كانوا يشاركون فيه. يا لها من جعالة! يالها من جائزة!

هل تستطيع أن تتخيل، أنه طوال الأبدية، تستطيع أن توضح للشعوب ولأعداد لا تُحصَى من الناس الذين يأتون ليروا بيت الله المجَّد، الجزءَ الذي شاركت به في هذا البناء؟

يا لها من فكرةٍ مجيدةٍ! أليس كذلك؟ يا لها من مكافأةٍ تتطلَّع إليها! يا له من حافز يجعلنا ننهي السعيَ بنجاح!

لكن تعالوا بنا نرى الصورة الأخرى. هل تستطيع أن تتخيل أنك لا تمتلك أيَّ شيءٍ من العمل الذي عملته في صهيون لتعرضه أمام الناس؛ لأنك فشلت في أن تنهي السعيَ بنجاح؟ هل تتخيَّل أصدقاءَك وأقاربك وشعوبًا كثيرةً أتوا ليروا ما قد فعلته، لكن ليس لديك طوال الأبدية ما تعرضه وما تقوله؛ لأن الجزء الخاص بك تم حرقه وأتى شخصٌ آخر أمين وقام بالعمل بدلًا منك؟ يا لها من خسارةٍ تستمر معك طوال الأبدية كما تحدَّث عنها الرسول بولس في (١كو ٣).

عزيزي القديس، لا أريد لك هذا الوضع. الله لا يريد لك هذا الوضع. إن الحقيقة المُحزِنة، أن هذا سوف يحدث لمؤمنين كثيرين. إلا أنه بإمكانك أن تقرر الآن أنك لن تكون من بين هؤلاء الخاسرين. استمع بعناية إلى كلمات الرسول يوحنا:

"فانتبهوا لأنفسكم، لكي لا يضيع الجهد الذي بذلناه في سبيلكم، بل لتنالوا أجركم كاملا" (٢ يو ١: ٨ ترجمة كتاب الحياة).

لقد هيَّأ الربُّ بنفسه لكلِّ واحدٍ من أولاده الفرصةَ لينال الجعالة وأن يكون شريكًا في تأسيس بيت الله الأبدي. لن يذبل عملك، لن يشيخ، لن يُستبدل. إنه سيكون موضعَ إعجاب بلايين الناس والملائكة إلى الأبد.

إن ما تحدثت عنه هو المكافأة الأولى للإيمان الصامد وللطاعة للرب. وإن كان هذا الأمر دافعًا لنا، إلا أن هناك مكافأة أخرى أكثر عظمة، سوف نكتشفها في الفصل التالي.

١٧

بالقـرب مـن المـلك

"اُنْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ نُضَيِّعَ مَا عَمِلْنَاهُ، بَلْ نَنَالُ أَجْرًا تَامًّا"
(٢ يو ١: ٨).

المقاومة أمر حتمي، لكن الدافع الصحيح يجعلنا نُكمِل السباقَ بمثابرةٍ. أما هؤلاء الذين لا يمتلكون الدافع، فسوف يترنَّحون أو ينسحبون. إن الدافع هو أمر محوري لكي نستطيع أن ننهي السباقَ بنجاح.

إن المكافأة الأولى التي ننالها هي أن نرى ثمرَ تعبنا في شهادتنا وخدمتنا للرب. هذا العمل سيكلَّل بهذه الكلمة "نَعِمَّا". إلا أن المكافأة الثانية وهي أوضح قليلًا من الأولى، وهي مدى وجودنا بالقرب من الرب يسوع طوال الأبدية.

علاقةٌ حميمةٌ مع الملك

طوال المدة التي كنت أسافر فيها وأتواصل مع المؤمنين حول العالم، كنت أحيانًا أتساءل هل أغلب المسيحيين في الغرب يؤمنون أن الرب يسوع شخص اشتراكي. كثيرون من المؤمنين يعتقدون أن الرب يسوع سيكافئ كلَّ المؤمنين بالتساوي، وسيكون لكلٍّ منا نفس المسؤوليات والسلطات والتقدير في السماء الجديدة والأرض الجديدة.

لقد أخطأوا عندما لم يدركوا هذه الحقيقة: إنه بالرغم من أن الفداء هو مُقدَّم للجميع بالتساوي، وهو غير مؤسَّس على أعمالنا، إلا أن الرب يكافئ أمانتنا طبقًا لمقدار طاعتنا له، ومثابرتنا وأمانتنا تجاه كلمته.

إن أعظم مكافأة لنهاية السباق بكفاءة – المكافأة الأعظم من التي تحدثتُ عنها في الفصل السابق – هي مقدار قربنا من الرب يسوع طوال الأبدية. لا يوجد أمر أكثر أهمية من أن نوجَد بالقرب من هذا الشخص الذي نحبه ونعبده ونوقِّره. يقدم لنا الكتاب دليلًا واضحًا على هذا، فيتحدث عن هؤلاء الذين انتصروا وتمتَّعوا بامتياز أنهم **"يتبَعونَ الخَروفَ حَيثُما ذَهَبَ"** (رؤ ١٤: ٤). يا له من امتياز بل وشرف – أن نتبع الرب يسوع طوال الأبدية أينما ذهب!

نستطيع أن نرى هذه الحقيقة أيضًا بوضوح في الأناجيل. فقبيل نهاية خدمة الرب يسوع على الأرض، تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها، وسجدت له، والتمست منه شيئًا: **"أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هَذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ"** (مت ٢٠: ٢١).

بالطبع، أعظم مكان هو ذلك المكان الذي يوجد بجوار الرب يسوع الذي بدوره يجلس عن يمين الآب. لا يمكن أن يوجد مكان أعظم من هذا! لقد حدَّد الكتابُ المقدس مكانَ الملائكة التي تدعى السَّرافيم بالقرب من عرش الله (إش ٦: ١-٦). هذه الملائكة تنادي الواحد الآخر وتقول: **"قُدّوسٌ، قُدّوسٌ، قُدّوسٌ رَبُّ الجُنودِ"**. إننا نرنِّم في هذه الأيام ترنيمةً مُقتَبَسةً من هذه الكلمات. لم يتغنَّ السرافيم بهذه الكلمات لكي يجعلوا السيد يشعر بالزهو من جهة نفسه، لكنهم كانوا يتغنون بها كرد فعل لما رأوه! في كل لحظةٍ، كانوا يرون لمحةً جديدةً من عظمته، ولا يسعهم إلا أن يصرخوا قائلين: "قدوس!" كان هتافهم يصدر من الأعماق لدرجة أن أبواب وعتب القاعة التي كان يجتمع فيها بلايين الملائكة والقديسين في السماء اهتزت من صوتهم.

لم يستاء هؤلاء الملائكة من وقوفهم في هذا المكان هذه المدة الطويلة. لم يتطرق إلى ذهنهم هذا الفكر وتحدثوا إلى أنفسهم قائلين: "لقد قمنا بهذا العمل لبلايين السنين، لقد مللنا بعض الشيء. هل تظن أن الله من الممكن أن يحضر ملائكةً غيرنا

حتى نأخذ بعضَ الراحة، وربما نستطيع أن نأخذ بعض الجولات فيها نكتشف بقية الأماكن التي في السماء أو في الكون؟"

هذا مستحيل! إن ملائكة السماء لن يريدوا أن يذهبوا إلى أي مكانٍ آخر. لا يوجد مكان في كل الكون أفضل من الوقوف بجانب الله، يعاينون عظمته، ويستمعون إلى حكمته. باختصار، لا يوجد في كل الخليقة ما هو أروع من الخالق. علينا أن نتذكر أن كل الأشياء مكشوفةٌ أمام عينيه، لذلك عندما تكون قريبًا منه تستطيع أن ترى كلَّ الأشياء من خلال رؤيته المتميزة. أقدم لك تشبيهًا باهتًا؛ تخيل أنك تنظر إلى الفضاء من خلال تليسكوب وأنت جالس بجوار ألبرت أينشتين ونيل أرمسترونج وإسحاق نيوتن. يا لها من فرصةٍ عظيمةٍ فيها تنال بصيرةً عن أمورٍ عديدة! أدرك أن رؤيتك للأشياء من خلال منظور الله، وأنت جالس بالقرب منه لا تُقارن بالتشبيه السابق. لكني متأكد أنك فهمت ما أقصده.

أعرف خادمًا أُخذ إلى السماء. كان له شغف أن يكون في غرفة العرش، وكان هذا هو شعور كل شخص في السماء – الكل كان يريد أن يكون بالقرب من الله. لقد أعلن صديقي أن السماء هي أجمل بما لا يقاس من أي مكان قد تتخيَّله، لكن لا يوجد شيء تشتهيه هناك أكثر من الرب ذاته.

دعونا نرجع إلى الطلبة التي طلبتها أم يعقوب ويوحنا من الرب يسوع. أجاب الرب يسوع: **"وأَمَّا الجُلوسُ عن يَميني وعَنْ يَساري فليس لي أنْ أُعطيَهُ إلا للذينَ أُعِدَّ لهُمْ مِنْ أبي" (مت ٢٠: ٢٣)**. علينا أن نسأل الآن، هل هناك أماكن مميَّزة تُقدَّم للبعض في السماء كنوعٍ من المكافأة؟ أم أن يسوع يريد أن يقول: "لا تشغلوا تفكيركم بأماكن مميزة. لماذا تفكرون فيمن سيكون بالقرب مني أو من أبي؟! عليكم أن تحيوا أنتم وأولادكم لله. في يوم من الأيام سوف يعطي اللهُ كلَّ المؤمنين أماكن امتياز متساويةً. إن كل هذا يؤسَّس على عملي لأجلكم، لا على ما فعلتموه أنتم، لذلك لا تعيروا هذا الأمر انتباهًا"؟

لكي نجيب عن هذا السؤال دعونا ننظر إلى سؤال آخر وجَّهه بعضُ الأشخاص إلى الرب يسوع بخصوص الحياة الآتية. ذات يوم، جاء إليه بعض الصدوقيين الذين كانوا يريدون أن يضعوا الربَّ في مأزقٍ لاهوتي. سألوه قائلين: **"كان هناك سبعة إخوة، اتَّخذ أولهم زوجةً ثم مات دون أن يكون له ولد. فتزوج الثاني بالأرملة ثم مات دون أن ينجب أولادًا، وهكذا تكررت القصة وأخذها الثالث، وباقي السبعة، ولم يخلفوا أولادًا وماتوا"**

(لو ٢٠: ٢٨-٣١ ترجمة كتاب الحياة). ثم سأله الصدوقيون: "ففي القيامة لمن منهم تكون المرأة زوجةً؟"

كان رد الرب يسوع يختلف عن رده على أم التلميذين. فقال: **"أَبْنَاءُ هَذَا الدَّهْرِ يُزَوِّجُونَ وَيُزَوَّجُونَ"** إلا أن هذا لن يكون الحال في الدهر الآتي. **"أما الذين حسبوا أهلًا للمشاركة في الزمان الآتي والقيامة من بين الأموات، فلا يزوِّجون ولا يُزوَّجون، إذ لا يمكن أن يموتوا أيضًا بعد ذلك، لأنهم يكونون مثل الملائكة، وهم أبناء الله لكونهم أبناء القيامة" (لو ٢٠: ٣٥-٣٦ ترجمة كتاب الحياة).**

عندما رد الرب يسوع على سؤال الصدوقيين، صحَّح لهم المفاهيم، إذ عرَّفهم النظرة الصحيحة للزواج في السماء. لم يصحِّح الربُّ يسوعُ محتوى السؤال الذي سألته أم يعقوب ويوحنا، لكنه أكَّد أن هناك مراكز مميَّزة في السماء لهؤلاء الذين سوف يكونون بالقرب منه. هذه المراكز هي مكافأة الله الآب في يوم الحساب. هناك بعض الشواهد الكتابية الأخرى توضِّح أن هناك أماكن مميزة للذين يكملون السعي بنجاح، للمؤمنين الصامدين المثابرين.

نمط الأمور الآتية

نرى هذه الحقيقة في سفر حزقيال. بالرغم من أن الحديث هنا عن الكهنة إلا أن حزقيال يضفي على هذا الحديث نظرةً نبويةً، نرى فيها ظلالًا لنوعية الحياة التي ستكون في هيكل صهيون، مسكن الله الأبدي.

من خلال حزقيال النبي، يناقش اللهُ موضوعَ اللاويين – كهنة العهد القديم. تُرَى كيف تتعلَّق هذه الأمور بنا؟ يخبرنا الرسول يوحنا ويقول:
"الذي أَحَبَّنا، وقد غسَّلَنا مِنْ خطايانا بدَمِهِ، وجَعَلَنا مُلوكًا *وكهنةً* للهِ أبيهِ، لهُ المَجْدُ والسُّلطانُ إلَى أبدِ الآبِدينَ. آمينَ" (رؤ ١: ٥-٦).

لاحظ كيف ركزت على كلمة "كهنة"؟ المؤمنون الذين وُلِدوا من الروح هم الآن كهنة لله إلى الأبد. تعالوا بنا نستمع إلى كلمة الله.
"حتى اللاويون (الكهنة) الذين ابتعدوا عني حين ضل إسرائيل وراء أصنامه يحملون عقاب إثمهم. فيكونون خدامًا في الهيكل وكحراس لأبوابه وخدام له. هم يذبحون المحرقة والقربان للشعب ويخدمونهم" (حز ٤٤: ١٠-١١ ترجمة كتاب الحياة).

إن كلمة "أصنامه" تعبِّر عن الوثنية التي كانت تعيشها إسرائيل. تأخذ عبادة الأوثان في أيامنا هذه أشكالًا تختلف عن الأشكال التي كانت في أيام حزقيال، لكنها أمر رهيب في عيني الله. قال لنا الكتاب: **"فأميتوا أعضاءَكُمُ التي علَى الأرضِ:... االطَّمَعَ - الذي هو عِبادَةُ الأوثانِ" (كو ٣: ٥).** عندما تكون لدينا الشهوة الجامحة للأمور الجذَّابة في الحياة، فهذا نوعٌ من عبادة الأوثان. في العالم الغربي، أعتقد أن عبادة الأوثان هي أن أضع أولوياتي بل وأسعى جاهدًا للحصول على المال، الأمور المادية، المركز، الشهرة، المتعة أو أي مظهرٍ من مظاهر الجشع أو الطموحات الأنانية. الوثن هو أي شيء نحبه أو نشتهيه أكثر من محبتنا أو اشتياقنا لله. إنه الشيء أو الشخص الذي نستمد منه قوتنا أو نعطيه كلَّ قوتنا.

قد تظهر الوثنيةُ في أي مجالٍ من مجالات الحياة!

قد تظهر الوثنية في أي مجال من مجالات حياتنا – حتى في الأمور الأساسية مثل الطعام. هناك مؤمنون كثيرون لديهم نهم للطعام. عندما يحزنون يتناولون الطعام، عندما يكونون سعداء يأكلون، إذا كان الطعام لذيذَ المذاق يأكلون – بغضِّ النظر عن احتياجهم لهذا الطعام، أو قيمته الغذائية. يتناولون أنواعًا كثيرةً من الأطعمة الضارة ليُشبِعوا شهوة التذوق. هم يرفضون أن يضعوا وقودًا أو زيتًا فاسدًا لسياراتهم، إلا أنهم لا يطبِّقون هذا المبدأ عندما يتعلق الأمر بنوعية وكمية الطعام الذي يتناولونه. هؤلاء جعلوا الطعام وثنًا؛ لأنهم يستمدون قوَّتهم من الإحساس المؤقَّت لحاسة التذوق والشعور بامتلاء المعدة، لذلك يوجِّهون قوَّتَهم لهذا الإحساس.

إلا أن الوثنية قد تظهر في رغبة الإنسان للشهرة؛ فهناك أشخاصٌ يفعلون أيَّ شيء للحصول على مراكز "الشرف" في الكنيسة، في العمل أو في المجتمع. نراهم يروِّجون الشائعات، يخدعون، يكذبون، يشوِّهون سمعةَ الغير، بل قد يُهادِنون في المبادئ وذلك ليصلوا إلى المراتب العالية والسلطة. حتى لو لم يستخدموا مثل هذه الأساليب، لكن سعيهم للمراكز هو أولويتهم الأولى. إنهم يستمدُّون قوَّتَهم من الشهرة، المركز الأدبي والشعبية، ونتيجةً لهذا، يوجِّهون كلَّ قوتهم في هذا الاتجاه.

إن الوثنية ستسلب منك أمانة المثابرة. قد تحرمك من القوة التي تحتاجها لتكمل مسيرة السباق إلى النهاية.

في الجزء الذي ذكرته من قبل في سفر حزقيال، تحدث اللّهُ إلى هؤلاء المؤمنين الذين تركوا السعي لأجله، من أجل الأمور التي لا تُعطي شبعًا دائمًا. مثل هذه الأوثان قد ترضينا لوقتٍ قصير، لكنها لن تشبعنا على المدى البعيد. قال الله إن عبدة الأوثان سوف يدفعون ثمنَ كل ما ارتكبوا من أخطاء. قد يدفعون هذا الثمن عندما يرون مكافأتهم وقد احترقت، سيخلصون كما بنار. نعم إنهم من أهل بيت الله، لكنهم مثل العبيد الذين يعملون الأعمال الوضيعة في البيت ويساعدون في المهام الشاقة البغيضة.

علينا أن نتذكر أن الله يتحدث إلينا هنا. إنه لا يريد منك أو مني ألا ننعم بكل الغنى الذي أعدَّه لنا. إن السماء ستكون أفضل من أي مكان نتخيَّله، ولا يوجد مكان في الأرض يضاهي عظمة السماء. إلا أنه يوجد مراكز في السماء – أماكن أكثر عظمة وأماكن أقل. أي مكان في بيت الآب أفضل من أي مكان على الأرض. فيقول داود: **"لأَنَّ يومًا واحِدًا في ديارِكَ خَيرٌ مِنْ أَلفٍ. اختَرتُ الوُقوفَ علَى العَتَبَةِ في بَيتِ إلَهي علَى السَّكَنِ في خيامِ الأشرارِ" (مز ٨٤: ١٠).** في ترجمة (Message Bible) تأتي هذه الآية:"يوم واحد في ديارك، مكان العبادة البديع، خير من ألف يوم أقضيه على شواطئ جزر اليونان. أحسن لي أن أكون بوابًا في بيت إلهي، من أن أكون مكرَّمًا كضيف شرف في مساكن الأشرار".

يقول داود: "أن أكون عبدًا في بيت الله أفضل من أكون في أي مكانٍ آخر". لا يوجد في هذا الكون مكان أحلى وأشهى من بيت الله، المكان الذي يسكن فيه. أي مكان في صهيون أفضل من أي مكان آخر.

أرجو ألا تمرَّ مرورَ الكرام على هذا الأمر الذي يركز عليه الله. فلأن الله يحبنا كثيرًا، يريد أن ينبِّهنا إلى الأسى الذي قد نجتاز فيه إذا لم نكن في المكان الأفضل في السماء: المكافأة بأن نكون بالقرب من الله وأن نعمل بالقرب منه طوال الأبدية. ستكون هناك دموع أمام كرسي المسيح، لكني أريد أن أؤكد لكم ما قاله الكتاب: **"وسَيَمسَحُ اللّهُ كُلَّ دَمعَةٍ مِنْ عُيونِهِمْ" (رؤ ٢١: ٤).** إلا أن إدراكي أني أسأتُ استغلالَ حياتي القصيرة، الأمر الذي حدَّد مكاني طوال الأبدية، لن ينتهي. سندرك أن هذا الأمر قد فاتنا؛ لأننا كنا نسعى وراء الأمور الوقتية. إن هذه هي الخسارة التي ستستمر معنا طوال الأبدية التي تحدثت عنها في الفصل السابق (انظر ١ كو ٣: ١٢-١٥).

لكن على الجانب الآخر، دعونا نستمع إلى ما قاله الله: **"أما الكهنة اللاويون من نسل صادوق الذين واظبوا بحرص على حراسة مقدسي حين ضل عني بنو إسرائيل فهؤلاء فقط يتقدمون لخدمتي ويمثلون في حضرتي ليقربوا لي الشحم والدم يقول السيد الرب" (حز ٤٤: ١٥ ترجمة كتاب الحياة).**

كان الله يشير بطريقةٍ خاصة إلى كهنة العهد القديم، في هذه الآية، لكننا ندرك أن هذه الأمور: **"هي ظِلُّ الأُمورِ العَتيدَةِ" (كو ٢: ١٧).** وأن **"هذه الأمور كلها حدثت لهم لتكون مثالا" (١كو ١٠: ١١ ترجمة كتاب الحياة).** في كثير من الأحيان، تكون كلمات وأحداث العهد القديم ظلالًا أو رموزًا أو تفسيرًا للأمور التي سوف تحدث. لاحظ معي كلمة "لخدمتي" أن تكون خادمًا في البيت (تقوم بعمل الأمور الوضيعة) كما كان داود على استعداد أن يكون. لكن أن تخدم الله هذا شيء مختلف تمامًا.

كنت عضوًا في كنيسة كان عدد أعضائها ٨٠٠٠ عضو، عندما بدأت خدمتي كمتفرِّغ في عام ١٩٨٣م. كانت هذه الكنيسة مشهورةً، لا في البلد التي أسكن فيها فقط، لكن على المستوى العالمي. كان هناك حوالى ٤٥٠ خادمًا متفرغًا في هذه الكنيسة. تم اختياري لأكون المساعد الخاص للراعي ولزوجته، وكان لي امتياز أن أخدم معهما. كما كان لي امتياز أكثر من باقي فريق الخدمة؛ لأن مكتبي كان يقع بجوار مكتب الراعي وزوجته، فكنت أذهب إلى بيتهم كثيرًا، وكنت ـ في كثير من الأحيان ـ أُدعَى لتناول طعام الغذاء أو العشاء معهم في حضور خدام عظماء من شتَّى أنحاء العالم. في ذلك الوقت، كنت أجلس بخشوع، والدموع تملأ عيني وأنا أتأمل ذلك الامتياز، أن أكون قريبًا من هؤلاء القادة العظماء.

كنت أستمع إلى كلمات الحكمة، وكثير من الآراء والأفكار التي لم تكن لباقي أعضاء فريق العمل في الكنيسة فرصة ليستمعوا إليها. لقد حصلت على خُلاصَة خبرات هؤلاء، الأمر الذي مازال يساعدني حتى يومنا هذا. كان مركزي، أكبر مركز في فريق الخدمة وكان يحسدني عليه الكثيرون. كان بعض أعضاء الفريق يقولون: "أنت محظوظ بأن تخدم في موقعك هذا" البعض كان يسأل في حقد ويقول: "كيف استطعت أن تحصل على هذا المركز؟ ما الذي فعلته لتحصل عليه؟" البعض كان يتناقش حول "من سوف يحل محلي إذا تركت هذا المركز في يومٍ من الأيام؟" أعلم أنهم كانوا على صواب، فمركزي كان أفضل مركز في كل فريق العمل.

هل استطعت أن تدرك مقدار الامتياز عندما تكون بالقرب من الله؟ المؤمنون الصامدون المثابرون الذين يعملون العمل بأمانةٍ، ويستمرون في السباق حتى النهاية، هؤلاء هم الذين سيكونون بالقرب من الله في الأبدية. هؤلاء سيجلسون في الأماكن المميَّزة كما قال الله: **"ولا يكون لهم ميراث. لأني أنا ميراثهم" (حز ٤٤: ٢٨ ترجمة كتاب الحياة).**

هل هناك مكافأة أو جعالة أفضل من هذا؟ هؤلاء الذين يعيشون بالقرب منه، يستمعون لصوته ويطيعون وصاياه ويسيرون وفق رؤيته، يخططون معه ما يخص أمور القيادة والمستقبل. هؤلاء الذين يسعون باجتهاد وبأمانة سوف يجلسون ويملكون معه إلى الأبد، وسيخدمونه باستمرار، يا له من وعدٍ مدهش!
تعالوا بنا نستمع إلى ما يحثُّنا عليه الرسول بولس: **"وكُلُّ مَنْ يُجاهِدُ يَضبُطُ نَفسَهُ في كُلِّ شَيءٍ. أمّا أولئكَ فلكي يأخُذوا إكليلاً يَفنَى، وأمَّا نَحنُ فإكليلاً لا يَفنَى. إذًا، أنا أركُضُ هكذا كأنَّهُ ليس عن غيرِ يَقينٍ" (١كو ٩: ٢٥-٢٦).**

إن الرياضيين المحترفين يبذلون كلَّ الجهد في التدريبات ليأخذوا الجائزة سواء كانت كأس ستانلي أو الميدالية الذهبية أو أي نوع من الجعالة طبقًا لنوعية الرياضة. لكن كل هذه الجوائز هي لا شيء بالمقارنة بالجعالة التي تنتظرنا! لذلك يحثُّنا الكتاب ويقول: **"لنُحاضِرْ بالصَّبرِ في الجِهادِ المَوْضوعِ أمامَنا" (عب ١٢: ١).** إن الرسالة التي لنا هنا هي: "السباق – لا تقف ولا تستسلم!" في مكانٍ آخر يقول: **"هكذا اركضوا أنتم حتى تفوزوا!" (١كو ٩: ٢٤ ترجمة كتاب الحياة).**

الآن اسأل نفسك: "هل فهمت هذه الكلمات عن الجعالة التي تنتظرني بطريقةٍ أعمق من ذي قبل؟"

أعتقد أنني أعرف إجابتك.

١٨

لا تستسلم أبدًا!

"لا تستسلم. لا تنهار. إن النهاية ستكون رائعة"
(مت ١٠: ٢٢ ترجمة MSG).

لا يستطيع أحدٌ أن يجبرك على الاستسلام؛ فأنت وحدك صاحب هذا القرار.

لذلك أرجو ألا تقرِّره.

إن مكافأة الانتصار، سواء في هذا العالم أو في الحياة الآتية، أعظم بكثير من كل المقاومات والصعوبات التي تواجهها. قال الرب يسوع: **"الذي يَصبِرُ إلَى المُنتَهَى فهذا يَخلُصُ"**.

لقد سبق وأعلن الرب يسوع، هذه الحقيقة المُحزِنة عندما قال في (مت ٢٤: ١٠): **"حينَئذٍ يَعثُرُ كثيرونَ"** أعتقد أنه عندما كان يتفوَّه بهذه الكلمات كان يقولها بقلبٍ منكسر. تخيَّلوا معي أن الأشخاص الذين أحبهم بعمق، وأسلم نفسه لكي يعطيهم الحرية والنجاح سيعثرون ويستسلمون.

لكن الحقيقة المحزنة، أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى الاستسلام. لقد أعطانا اللهُ نعمته القوية لا لترفعنا في وقت الضيق، لكن لتجعلنا نخرج من هذه الأزمة ونحن أكثر قوةً وحكمةً وإثمارًا من ذي قبل. يستسلم الكثيرون لأن ليس لديهم الإدراك الصحيح، فهم ليسوا مُسلَّحين.

يأخذ الاستسلام صورًا عديدةً، في أغلب الأوقات يكون على صورة مهادنة، وهي صورة تناقض فكرة المثابرة. من الرؤية التي ذكرتها في الفصل الأول، نحتاج أن نتشابه مع الشخص الذي يقود سفينته ضد التيار. لنسير مع الله، ونُظهِر ملكوته، ونعيش لكي نمجِّده، هذا يستلزم منا أن نسبح ضد تيار العالم.

علينا أن نثابر في التصاقنا بالله وبحكمته، ولا ينبغي أن تكون المهادنة إحدى اختياراتنا.

من الصعب أن تكون مؤمنًا

لقد رأى الرسول بولس قبل استشهاده التيارات الصعبة في الأيام الأخيرة، فقال **"ولكن اعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستكون من الصعب عليك أن تكون مسيحيًّا مؤمنًا" (٢تي ٣: ١ ترجمة TLB)**. لقد تلقى الرسول بولس تسعًا وثلاثين جلدة خمس مرات، رُجِم وعانى لسنوات في السجن. واجه الرسول بولس اضطهادًا ومقاومةً في كل مكان ذهب إليه. لكنه تنبَّأ وقال إنه في أيامنا سيكون من الصعب على الشخص أن يعيش لله! كيف يمكنه أن يقول هذه الكلمات بعد أن اختبر هو كلَّ هذه الأمور الصعبة في حياته؟ ثم أكمل حديثه وقال:

"إذ يكون الناس محبين لأنفسهم، محبين للمال، متكبرين، مباهين بأنفسهم، شتامين، غير مطيعين لوالديهم، ناكرين للجميل، دنسين، متحجري العواطف، غير صفوحين، نمامين، جامحي الأهواء، شرسين غير محبين للصلاح، خائنين، وقحين، مدعين، محبين للذات أكثر من محبتهم لله" (٢تي ٣: ٢-٤ ترجمة كتاب الحياة).

للوهلة الأولى، قد نتساءل: "ما هي وجهة نظر الرسول بولس؟ كيف يمكن أن تقدِّم لنا هذه القائمة من هذا السلوك نبوةً عن أن أيامنا ستكون أصعب من أيامه؟" فهذه الصفات كانت موجودة في المجتمع في أيام الرسول بولس. كانوا الناس محبين لأنفسهم، ومحبين للمال، كما كانوا غير صفوحين، وجُسين. كانت هذه القائمة تمثل صفات كثيرين من الناس. لقد أنذر الرسولُ بطرس في يوم الخمسين الناسَ لكي ينقذوا أنفسهم من شر الجيل الفاسد فقال: **"اخلُصوا مِنْ هذا الجيلِ المُلتَوي" (أع ٢: ٤٠)**.

إذًا لماذا اختص الرسول بولس جيلنا؟ لماذا اختص هذه الصفات عندما تكلم عن أصعب وقت في التاريخ للسير مع الله؟ الإجابة نراها في الآية التالية التي يقول فيها إن الناس سوف يتمسكون بقشور التقوى ،لكنهم يرفضون جوهرها وقوتها الفعَّالة. **"لهُمْ صورَةُ التَّقوَى، ولكنهُمْ مُنكِرونَ قوَّتَها" (٢تي ٣: ٥).**

إن أعظم صعوبات يتحدث عنها الرسول بولس تنبع من "المؤمنين" الذين يهادنون في الحق. لقد سبق وحذَّر الرسول بولس، كما حذَّر أيضًا بعض كُتَّاب العهد الجديد من أنه في الأيام التي نعيش فيها، سيكون هناك الكثيرون من المدَّعين بأنهم "ولدوا من فوق". لكنهم لم يثبتوا في نعمة الله. هم يتمسَّكون بحقيقة أنهم وُلِدوا بالنعمة، إلا أنهم يرفضون قوةَ النعمة التي ستجعلهم مثابرين مُنتصرين في الملكوت.

هؤلاء هم الذين رفعوا المجدافين داخل القارب. لعل قاربهم يتَّجه عكسَ اتجاه التيار، لكنهم الآن يندفعون في تيار هذا العالم. ولكي يكون المشهد أكثر سوءًا، شاهدتُ في الرؤية كثيرًا من السفن تمتلئ بهؤلاء الناس. إن تمسُّكهم الظاهري بالإيمان كجماعةٍ، يجعل الخدعة أقوى وأكثر إقناعًا. إنهم لا يخدعون أنفسَهم فحسب، لكنهم يضللون الآخرين ويتسببون في تعثُّر الكثيرين من المُخلِصين. هذه هي الصعوبة التي يتحدث عنها الرسول بولس.

عندما أنظر للماضي على مر التاريخ، أجد أن أكبر معركة خاضتها الكنيسة الأولى كانت ضد الناموسية، التي كانت تريد أن تعود بالمؤمن إلى الوراء مناديةً بأنه لكي يخلص عليه أن يخضع للناموس، بدلًا من أن يضع ثقته في نعمة الله.

الآن، نحن نحارب حربًا مختلفةً تمامًا. أعتقد أن أعظم حرب نواجهها في هذه الأيام هي التمرد على القانون، الإباحية. إن مثل هذا الاتجاه يقدِّم للناس فكرة الخلاص دون أن يُحدِث تغييرًا في أسلوب الحياة. فحياتنا كمؤمنين لا تختلف عن الحياة التي كنا نحياها قبل حصولنا على الخلاص. الآن، نحن ننتمي لجماعة المؤمنين، ونرتدي ما يميزهم، نتحدث بلغة تلك الجماعة، بينما تسير السفينة في اتجاه التيار. لم نعد ثابتين في طاعتنا لله وثقتنا فيه.

يحذرنا الرب يسوع أنه في آخر الأيام: **"إذ يعم الإثم، تبرد المحبة لدى الكثيرين. ولكن الذي يثبت حتى النهاية، فهو يخلص" (مت ٢٤: ١٢-١٣ ترجمة كتاب الحياة).**

لكن انتظر! لقد كانت الخطية متفشيةً عندما تحدث الرب يسوع بهذه الكلمات. ما الذي يجعل أيامنا مختلفةً؟ إن الحقيقة الصادمة هي أن الرب يسوع لم يكن يتحدث عن المجتمع بصفةٍ عامةٍ، لكنه يتحدث عن هؤلاء الذين يدَّعون أنهم يتبعونه. إنه يتحدث عن الفساد الذي يعم في المسيحية الاسمية في هذه الأيام. وإلا، ما كان ليكمل حديثه بهذه الكلمات: "ولكن الذي يثبت حتى النهاية، فهو يخلص" إنك لا تتحدث إلى شخص غير مؤمن وتقول له: "إن كنت تكمل السباق سوف تخلص"؛ لأنه بالطبع هو أو هي ليسوا في السباق من الأساس. لكن تستطيع أن تقول لشخصٍ في الإيمان، وبالتالي هو قد بدأ مرحلة السباق: "إن كنت تثبت..."

أعتقد أن أعظم معركة نواجهها في هذه الأيام هي الإباحية (التمرد على القانون).

الكلمة المفتاحية التي يستخدمها الرب يسوع هي كلمة "يصبر - يثبت" إن معناها أنه سوف تكون هناك مقاومات، صعوبات في التمسُّك بالحق، ولكي نُنهِي الرحلةَ بنجاحٍ، فعلينا أن نثبت.

حان الوقتُ

على ضوء هذا، نريد أن نركِّز قليلًا على كلمات الرسول بولس في رسالته الثانية إلى تلميذه تيموثاوس. بعد أن تحدَّث عن الصعوبات، قدَّم الرسول بولس العلاج: **"أما الناس الأشرار والدجالون المحتالون، فيتقدمون في الشر، مضللين الآخرين وهم أنفسهم مضللون! إنما أنت فاثبت على ما تعلمته وتيقنته بالتمام، إذ تعرف على يد من تعلمت ذلك" (٢ تي ٣: ١٣-١٤ ترجمة كتاب الحياة).**

إن الحق لا يتغيَّر. بل يبقى ثابتًا لا يؤثر فيه الزمن أو البيئة أو آراء الناس. لاحظوا معي أن الرسول بولس يحثُّ تلميذه على الثبات على المبادئ التي تعلمها وآمن بها. فالدواء المضاد هو الثبات في الحق.

إن الإغراء الجذَّاب هو أن تتبع اتجاهات العالم، إلا أنها تقودك إلى الخداع. لأجل هذا، يكمل الرسول بولس حديثَه ويقول: **"وأنَّكَ منذُ الطُّفوليَّةِ تعرِفُ الكُتُبَ المُقَدَّسَةَ، القادِرَةَ أنْ تُحَكِّمَكَ للخَلاصِ، بالإيمانِ الذي في المَسيحِ يَسوعَ. كُلُّ الكِتابِ هو موحًى بهِ مِنَ اللهِ، ونافِعٌ للتَّعليمِ والتَّوْبيخِ، للتَّقويمِ والتّأديبِ الذي في البِرِّ، لكَيْ يكونَ إنسانُ اللهِ كامِلاً، مُتأهِّبًا لكُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ"** (**٢تي ٣: ١٥ - ١٧**).

في هذا الجزء، أود أن أقف أمام عبارتين: الكتب المقدسة، منذ الطفولية. لقد أوحى الله بكل الكتاب؛ إنه الحق الذي يتخطى الزمن والحضارات، إنه الأساس الذي نبني عليه حياتنا، إنه يسلِّحنا بالمعرفة والقوة التي نرضي بها اللهَ في كلِّ شيءٍ.

عندما انتهى الأصحاح الثالث من الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، اعتقد الكثيرون منا أن الرسول بولس قد أنهى حديثَه بهذه الفكرة الخاصة. لم تكن الرسائل مُقسَّمةً إلى أصحاحات أو أعداد حتى عام ١٢٢٧م، لكن هذه التقسيمات أضافتها الكنيسة. كانت الرسالة الثانية إلى تيموثاوس عبارة عن قطعة واحدة مستمرة، وبالتالي، لم ينهِ الرسول بولس فكرته بنهاية الأصحاح الثالث. واستمرت كلمات بولس تسير على نفس النهج.

"أنا أُناشِدُكَ إذًا أمامَ اللهِ والرَّبِّ يَسوعَ المَسيحِ، العَتيدِ أنْ يَدينَ الأحياءَ والأمواتَ، عِندَ ظُهورِهِ وملكوتِهِ: اكرِزْ بالكلِمَةِ. اعكُفْ علَى ذلكَ في وقتٍ مُناسِبٍ وغيرِ مُناسِبٍ. وبِّخ، انتَهِرْ، عِظْ بكُلِّ أناةٍ وتعليمٍ. لأنَّهُ سيكونُ وقتٌ لا يَحتَمِلونَ فيهِ التَّعليمَ الصَّحيحَ، بل حَسَبَ شَهَواتِهِمُ الخاصَّةِ يَجمَعونَ لهُمْ مُعَلِّمينَ مُستَحِكَّةً مَسامِعُهُمْ، فيَصرِفونَ مَسامِعَهُمْ عن الحَقِّ، ويَنحَرِفونَ إلَى الخُرافاتِ" (**٢ تي ٤: ١-٤**).

"أنا أُناشِدُكَ إذًا أمامَ اللهِ والرَّبِّ يَسوعَ المَسيحِ" لم يستطع الرسول بولس أن يعطي تلميذه وصيةً أعظم من هذه. بماذا كان يناشده؟ أن يكرز ويعلم بكلمة الله. لم

يناشده أن يعلم الفلسفة، أو مبادئ القيادة العالمية، أو أية أمور مادية تتفق مع العصر. المهمة الرئيسية هي أن يكرز بالكلمة.

كان الرسول بولس قد أنهى الحديثَ عن أن الكتاب موحى به من الله ونافع لتوجيه حياتنا. ثم ناشد تيموثاوسَ أن يكرز ويعلم به. لماذا؟ لأن الوقت سيأتي (وأعتقد أنه قد أتى) عندما لا يتحمَّل هؤلاء الخادعون والمخدوعون التعليمَ الصحيحَ. ما هو التعليم الصحيح؟ إنه ليس مجرد تعليم، لكنه عصب وأساس تعليم كلمة الله. إنه التعليم الذي يربط كلَّ الأمور معًا.

من المُحزِن أن أرى الناس وقد انحرفوا عن هذا التعليم الصحيح ليجاروا العصرَ واتجاهاته. لقد وصل هذا الانحرافُ لدرجة أن أحد خدام كنيسةٍ من الكنائس الكبرى، وقف أمام الجموع، وأعلن أنه شاذ جنسيًّا. شخص آخر أعلن أن الله لن يعود يشفي، وعلى كل الشعب أن يؤمنوا بهذا الخادم بدلًا من إيمانهم بكلمة الله. شخص آخر كتب كتابًا يقول فيه إن كل الجنس البشري سوف يذهب في النهاية إلى السماء – ولا يوجد شخص سيظل في الجحيم إلى الأبد. وأصبح هذا الكاتب نجمًا ساطعًا في عالم المسيحية. هناك من شكَّك في ميلاد المسيح العذراوي، ومجيء المسيح الثاني، ومازال الناس يعتبرونه رائدًا في الإيمان المسيحي. في كل يوم، نسمع ونرى كثيرًا من هذه الأنماط.

لعل بعض الإحصائيات الحديثة توضِّح لنا هذا التغيُّر السخيف؛ فطبقًا لإحصائيةٍ حديثةٍ، هناك ٤٦٪ فقط من "المؤمنين المولودين ثانيةً" يؤمنون بالحق الكتابي المُطلَق، وأكثر من ٥٠٪ من "المؤمنين الإنجيليين" يؤمنون بأنه من الممكن الدخول إلى السماء بواسطة مجهودهم لا من خلال ذبيحة المسيح. كما أن هناك ٤٠٪ فقط من المؤمنين يؤمنون أن الشيطان هو قوة حقيقية[1].

كيف يكون هذا؟ نجد الإجابة في كلمات الرسول بولس إلى تلميذه تيموثاوس "**وقتٌ لا يَحتَمِلونَ فيهِ التَّعليمَ الصَّحيحَ**" – نحن لا نظل ثابتين في الحق.

(١) إحصائية بارنا العالمية التي أجريت على مدى ١٣ عامًا عن التغيير في وجهات نظر المؤمنين. www.barna.org/transformation-articles/252-barna-survey-examines-changes-in-worldview-amongchristians-over-the-past-13-years.

نسمع كثيرًا في هذه الأيام عن إنجيلٍ لا يحمل قوةً للتغيير. لقد حادت رسالته عن التعليم الجوهري لكلمة الله. يقول أصحاب هذا الإنجيل: "إن الرب يسوع مات عن خطايانا ليدخلنا إلى السماء، إلا إننا بشر، والله يدرك نقائصنا المختلفة، وميولنا الجنسية". هناك تعليم بدأ ينتشر في هذه الأيام، وهو أننا لسنا في حاجةٍ إلى التوبة عن الخطية. إنهم يتحدثون إلى جماهير من الناس الذين يشعرون بالسعادة عندما يستمعون إليهم وهم ينادون ويقولون إنه ليست هناك حاجة إلى التوبة أو الاعتراف بخطايانا إلى الله؛ لأن الله قد سبق وغطاها بالنعمة. سمعت رجالًا ونساءً ممَّن اعتنقوا هذا التعليم، وهم يثنون على بساطة ونضارة وتحرر الرسالة. لكن، إن كانت البساطة والنضارة والحرية هم دلائل الحق، لذلك فسيكون أي تعليم يعظم دور الجسد هو حقًّا! إن كان التعليم الصحيح لا يتطلَّب من الإنسان توبةً، فيكون الرب يسوع بذلك، قد حاد عن التعليم الصحيح عندما طلب من خمس كنائس من الكنائس السبع الذين في سفر الرؤيا أن يتوبوا (رؤ ٢: ٥، ١٦، ٢١، ٢٢؛ ٣: ٣، ١٩).

إن الحق لن يتغيَّر ليستوعب هؤلاء الذين يريدون أن يعيشوا في الخطية. إن الحق لن يتشكَّل ليساير شهوات الناس، وقناعاتهم، بل على العكس، يعلن ابن الله ويقول: **"ما أضيَقَ البابَ وأكرَبَ الطريقَ الذي يؤَدِّي إلَى الحياةِ" (مت ٧: ١٤).**

هناك الآن من يتَّخذون لأنفسهم معلِّمين منحرفين عن الحق: هؤلاء يحدِّثونهم بما يُطرِب آذانهم ويقدِّمون لهم إنجيلًا يتماشى مع ثقافاتهم وانحلالهم الأخلاقي. لم يعد الحق يشكِّل حياةَ هؤلاء الناس، لكن يُعَاد تشكيل الحق وتفسيره ليناسب البيئة الشريرة. لماذا؟ لأن آذانهم تريد أن تسمع ما يطربها، فيندمجوا مع أهل العالم بدلًا من أن يتجاوبوا مع هذه الكلمات: **"لذلكَ اخرُجوا مِنْ وسطِهِمْ واعتَزِلوا، يقولُ الرَّبُّ" (٢ كو ٦: ١٧).**

يشعر مؤمنون كثيرون بصوت الروح القدس داخلهم عندما يبدأون في مهادنة العالم. لكن بسبب وجود عدد كبير من السفن تسير مع التيار، يتجاهل الكثيرون صوتَ الروح القدس داخلهم، ويسدون آذانهم، ويصمون آذانهم عن الحق.

جيل الأبطال

لماذا نتعجب من هذا؟ لقد أخبرنا الكتاب أنه في آخر الأيام سيحدث الارتداد والعصيان (راجع ٢ تس ٢: ٣).

لكن على الجانب الآخر، لقد أخبرنا الكتاب أيضًا أنه في هذا الوقت سيظهر جيلٌ من الأبطال. هذا الجيل يشمل رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا (راجع أع ٢: ١٧-١٨). يصف الأنبياءُ والرسلُ هؤلاءَ الناس بأنهم ثابتون في الحق. إن جنود الظلام والخداع سوف ينصبون شباكَهم لهؤلاء المقاتلين. إلا إنهم لن يتقهقروا، ومن خلال إيمانهم الثابت وعملهم المستمر، سوف يعملون على امتداد ملكوت الله. سوف يضيئون كأنوارٍ ساطعةٍ في وسط الظلام. سيبرزون في كل مجالات الحياة – ليس من خلال المهادنة، لكن مثلما حدث مع دانيال، يغمر اللهُ خائفيه بحكمته وبقوة نعمته.

عزيزي القارئ، أرجو أن تكون واحدًا من هؤلاء الأبطال. أصلِّي لتؤسِّس هذه العظمة بأن تلبس منطقة الحق، وتتسلَّح بدرع البر. أرجو أن تحمل ترسَ الإيمان وتسعى بمثابرةٍ في الجهاد الموضوع أمامك، وتقاوم أية مقاوماتٍ تقف ضدك بثقةٍ حتى النهاية. أنت منتصرٌ! أنت تحمل صفات ذاك الذي تحمَّل أكبر مقاومة من الممكن أن تتخيَّلها. إن قوته لك! إن طبيعته فيك. أنت لم تُخلَق لتنسحب أو لتستسلم أو تتقهقر أو تترنح أو تهادن. لقد نلت بركة نعمة الله العجيبة.

بغضِّ النظر عن مدى المقاومة التي تواجهها، انظر إليها على أنها خطوة لتوصلك لمستوى أعلى من السلطة. تعلَّم من الصعوبات كما فعل الرسول بولس:

فإننا لا نريد، أيها الإخوة، أن لا تجهلوا أمر الشدة التي ألمت بنا في آسية، فثقلت علينا جدًّا وجاوزت طاقتنا حتى يئسنا من الحياة نفسها، بل شعرنا أننا محكوم علينا بالإعدام. إن هذا هو أفضل ما حدث. فبدلًا من أن نتكل على أنفسنا، لم نجد أمامنا إلا أن نتكل على الله وحده الذي يقيم الموتى! وهو الذي أنقذنا من هذا الموت الداهم، وسينقذنا؛ «**أجل، إنا لواثقون أنه سينقذنا أيضًا**» (**٢كو ١: ٨-١٠ ترجمة MSG**).

إن الصعوبات التي واجهت بولس والمجموعة التي كانت معه كانت شديدةً جدًّا وكادت تقضي على حياتهم. إلا أنه يقول: "إنها أفضل ما حدث لنا". من خلال الصعوبات، ارتفع الرسول بولس إلى مستوى أعلى من القوة والسلطة. إن نعمة (قوة) الله دائمًا كافية. إن الله سوف يرفعنا مرةً ومرات.

كل ما نحتاج أن نعمله هو أن نصمد، ولا نتزعزع عن إيماننا؛ لأنه من الجانب الآخر سنجد النصرة والشبع. يكتب يعقوب ويقول: **"هنيئًا لمن يصبر على المحنة، لأنه إذا امتُحن ينال إكليل الحياة الذي وعد الرب به من يحبونه" (يع ١: ١٢ ترجمة الأخبار السارة).**

لقد أعطى لك اللّهُ نعمتَه المعضِّدةَ، طبيعته، صفاته وملئه. أنت واحد فيه، أنت جسد المسيح. الرأس (المسيح) لن يسقط أبدًا، وبالتالي، فإن جسده لن يسقط. يقول الرسول بولس: **"فالصعوبات تضيِّق علينا من كل جهة، ولكن لا ننهار. لا نجد حلًّا مناسبًا، ولكن لا نيأس" (٢ كو ٤: ٨ ترجمة كتاب الحياة).**

لا تظن أبدًا أن الله فقد الأمل فيك.

نحن جسد المسيح، نحن لا نيأس، نحن لا نستسلم! يكرر الرسول بولس هذه الكلمات: **"غير يائسين" (٢ كو ٤: ١).** ثم يقول: **"لذلك لا نفشل" (٢ كو ٤: ١٦).**

وهكذا تتكرر هذه العبارات. إن خطة الله لك هي أن تنجح بطريقةٍ عجيبةٍ.

لا تتخيَّل أن الله ييأس منك، فهو لن يفعل ذلك أبدًا. إن وعده الثابت **"أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا. إنه لا ييأس منك، ولن ينساك" (١ كو ١: ٩ ترجمة MSG).**

أليس هذا وعدًا مباركًا؟ الله لن ييأس منك، سيثابر معك. إن كان الله لن ييأس منك، فكيف يمكنك أن تيأس منه أو من نفسك؟ كن ثابتًا.

ما هي مكافأة التمسك بالله؟ هنا نجد الكلمات التي قالها الرب ذاته:
"ومَنْ يَغلِبُ ويَحفَظُ أعمالي إلَى النِّهايَةِ فسأُعطيهِ سُلطانًا علَى الأُمَمِ" (رؤ ٢: ٢٦).

يا لها من مكافأة! يؤكد الرسول بولس وعدَ الرب يسوع ويقول: **"إِنْ كُنَّا نَصبِرُ فَسَنَملِكُ أيضًا معهُ"** (**٢ تي ٢: ١٢**). إن هذا المُلك ليس في الدهر الآتي، بل هنا والآن **"الذينَ يَنالونَ فيضَ النِّعمَةِ وعَطيَّةَ البِرِّ، سيَملِكونَ في الحياةِ بالواحِدِ يَسوعَ المَسيحِ"** (**رو ٥: ١٧**).

إخوتي وأخواتي في المسيح، أنتم تمتلكون القوة التي تجعلكم ثابتين. لديكم ما يؤهِّلكم لإكمال السعي بنجاح؛ نعمة الله التي لا تسقط. لذلك، اسعوا بثقةٍ للجعالة- سواء كان هذا السعي لخدمةٍ إلهيةٍ أو لمركز، سواء كان لفترةٍ قصيرةٍ أو طويلةٍ أو طوال العمر - واعلموا أن خطة الله لكم هي أن تنتصروا وتملكوا. لديكم امتياز أن تختبروا الغنى الذي تستمدُّونه عندما تكونون مُلتَصِقين بالمسيح. إن المُلك ينتظركم. ستكونون مميَّزين لمجد الملك. إنها حقًّا جعالة رائعة. لذلك تذكَّروا دائمًا:

"انتَظِرِ الرَّبَّ. ليتشَدَّدْ وليتشَجَّعْ قلبُكَ. وانتَظِرِ الرَّبَّ" (**مز ٢٧: ١٤**).

الملحق أ

صلاة لتصبح ابنًا لله

كيف نصبح أولادًا لله؟ أول وأهم شيء، إن الأمر يتعلق أساسًا بما فعله الرب يسوع لا بما تفعله أنت. لقد قدم حياته، الكاملة التي بلا شر، ليحضرك مرةً أخرى إلى الله الآب خالقك. إن موته على الصليب هو الثمن الوحيد الذي به تستطيع أن تمتلك الحياة الأبدية.

أنت مؤهَّل لتصبح ابنًا لله، بغضِّ النظر عن وضعك الاجتماعي، جنسك، عقيدتك، ثقافتك، أو أي أمر آخر مقبول أو غير مقبول من الناس. إن الرب يريد ـ بل ويشتاق ـ أن تكون عضوًا في عائلته. إن هذا يحدث ببساطة عندما تعلن أنك على استعدادٍ للتخلي عن حياة الاستقلال عن الله، وتُخضِع حياتك لسيادة الرب يسوع المسيح. بمجرد أن تفعل هذا، فقد وُلِدت ثانيةً. لم تَعُد بعد عبدًا للظلمة، لكنك أصبحت ابنًا أو ابنةً لله. يعلن الكتاب:

"أنك إن اعترفت بفمك بيسوع ربًّا، وآمنت في قلبك بأن الله أقامه من الأموات، نلت الخلاص. فإن الإيمان في القلب يؤدي إلى البر، والاعتراف بالفم يؤيد الخلاص" (رو ١٠: ٩-١٠ ترجمة كتاب الحياة).

لذلك إن كنت تؤمن أن الرب يسوع مات لأجلك وأنت على استعداد أن تسلِّم حياتك له – لا أن تحيا لنفسك فيما بعد – صلِّ هذه الصلاة من قلبٍ مُخلِصٍ، وستصبح ابنًا لله:

"إلهي السماوي، أعترف بأني خاطئ ولم أستطع أن أحقِّق مطالب برِّك. أنا أستحق الدينونة الأبدية لأجل خطاياي. أشكرك لأنك لم تتركني في هذا الوضع، فأنا أؤمن أنك أرسلت يسوع المسيح، ابنك الوحيد، ليولد من العذراء مريم، ويموت لأجلي ويحمل خطاياي على الصليب. أؤمن أنه قام من الأموات في اليوم الثالث، وهو الآن جالس عن يمينك، كربِّي ومخلِّصي؛ لهذا ففي هذا اليوم الموافق / / ٢٠ أسلِّم حياتي بالكامل لتصبح ملكًا للرب يسوع.

يارب يسوع، أعترف أنك أنت ربِّي ومخلِّصي وملكي. تعالَ اسكن في حياتي من خلال روحك القدس، وغيِّرني لأصبح ابنًا لله. سأتخلَّى عن كل أعمال الظلمة التي كنت مُقيَّدًا لها. ومن هذا اليوم فصاعدًا، لن أعيش لذاتي، لكن لذاك الذي مات لأجلي لأحيا إلى الأبد.

أشكرك ياربي، حياتي الآن بين يديك، وبالاتكال على كلمتك لن أخزى أبدًا".

الآن أنت خلصت، وأصبحت ابنًا لله. السماوات فرحت بك من هذه اللحظة. مرحبًا بك في عائلة الله! أريد أن أقدِّم لك ثلاث خطوات عليك أن تتخذها على الفور:

١- شارك ما فعلته مع شخص آخر يكون مؤمنًا. يقول لنا الكتاب إن أحد الطرق التي نغلب بها الظلمة هي شهادتنا (راجع رؤ ١٢: ١١). أدعوك أن تتصل بإرساليتنا Messenger International, at www.messengerinternational.org. يسعدنا أن نستمع إليك.

٢- انضم لكنيسةٍ تستطيع أن تعلمك كلمة الله، وكن عضوًا فيها. لا يترك الآباءُ أطفالَهم الرضع في الشارع يوم أن يُولدوا ويقولوا لهم: "عيشوا". أنت الآن طفلٌ رضيعٌ في المسيح. الله أبوك هيَّأ لك عائلةً لتساعدك على النمو، اسمها كنيسة العهد الجديد المحلية.

٣- اعتَمِد بالماء. بما أنك أنت الآن ابنٌ لله، فالمعمودية هي اعترافٌ علني للعالم الروحي وللعالم المادي بأنك قد سلَّمت حياتكَ لله من خلال الرب يسوع المسيح. إنها أيضًا عمل طاعة. فقد قال الرب يسوع:

"وعَمِّدوهُمْ باسمِ الآبِ والابنِ والرّوحِ القُدُسِ" (مت ٢٨: ١٩).

أتمنى لك حياةً جديدةً رائعةً في المسيح. سوف نصلِّي لأجلك بصفةٍ منتظمةٍ. الآن ابدأ حياة الثبات في الحق!

الملحق ب

لماذا أستخدم ترجمات مختلفة كثيرة للكتاب المقدس؟

يُثار أحيانًا هذا السؤال، لماذا أستخدم ترجمات كثيرة للكتاب المقدس، ولماذا أستخدم جزءًا من الآية؟ اسمحوا لي بأن أجيب عن هذه الأسئلة.

١- كُتب الكتاب المقدس بأكثر من ١١٠٠٠ كلمة ما بين يونانية وعبرية وآرامية. لكن، أية ترجمة باللغة الإنجليزية تستخدم في المتوسط ٦٠٠٠ كلمة. من هذه الإحصائية، نستطيع أن نستنتج أن هناك بعضَ المعاني التي قد تتوه أو قد تضيع من خلال الترجمة. البحث في ترجمات كثيرة قد يفيد في إبراز غنى ما يريد الله أن يقوله لنا.

٢- في استخدام ترجمةٍ واحدةٍ، إن كان القارئ يحفظ النصَّ فقد يتوه معناه؛ لأنه أصبح مألوفًا لديه. استخدام ترجمات كثيرة سوف يقلِّل من هذا الاحتمال، وسيحفظ القارئ مركِّزًا على النص.

٣- في الكتابة، أنا أقرأ جزءًا معيَّنًا من الكلمة في خمس ترجمات مختلفة على الأقل، وأختار أفضل ترجمة سوف تخدم الفكرة. أما إذا كنت أستخدم ترجمةً تفسيريةً، فأحاول أن أتأكد أنها تلتزم بالنص، وأقارنها بإحدى الترجمات المحترمة.

٤- أما سبب أني أحيانًا لا أستخدم الآية كاملةً فهو أن تقسيم السفر إلى أصحاحات وأعداد قد تم في عام ١٢٢٧م. إن الكتاب المقدس عندما كُتب لم تكن به هذه التقسيمات. لقد اقتبس الرب يسوع في مراتٍ عديدةٍ أجزاءً من آيات في العهد القديم.

أسئلة للمناقشة

١- هل تتفق أم لا تتَّفق في أن كيفية إنهاء السعي أهم من كيفية البداية؟ حاول أن تفسِّر إجاباتك.

٢- ضع تعريفًا "للروح المثابرة - الصامدة"

٣- ما هو معنى "نعمة الله"؟ هل أضاف هذا الكتاب أبعادًا جديدةً لك عن معنى النعمة؟

٤- ما هو المعنى المتضمَّن في حقيقة أن المؤمنين "سيملكون في الحياة" (انظر رو ٥: ١٧)؟ كيف تؤثر هذه الحقيقة على أسرتك، عملك، رد فعلك لتحدِّيات الحياة المختلفة؟

٥- مؤمنون كثيرون لا يبدو أنهم "يملكون في الحياة". ما هو تفسيرك لهذا الأمر؟

٦- ما هي بعض الأعمال والاتِّجاهات الأساسية التي تجعل من الممكن أن يصبح المؤمن مالكًا في كل تحدِّيات الحياة؟

٧- ما هي حِيَل الشيطان في مقاومتك (انظر يو ١٠: ١٠)؟ في الأيام أو الأسابيع الماضية، كيف كنت ترى الشيطانَ وهو "يسرق، يقتل ويدمر" في حياتك؟

٨- قال الرب يسوع: "في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦: ٣٣). ما الذي يساعدنا لنكون غالبين ومنتصرين؟

٩- ما هي صفات الشخص المتكبِّر؟ ما هي صفات الشخص المتواضع؟

١٠- حث الرسول بطرس المؤمنين أن يتسربلوا بالتواضع (١ بط ٥: ٥). في الحياة العملية، ماذا تعني هذه العبارة؟

١١- ما هي بعض الطرق التي نستطيع بها أن نقاوم إبليس؟

١٢- لماذا تمثِّل الصعوبات حقيقةً مهمَّةً في حياة المؤمن؟

١٣- ما هو دور الصلاة في حياة المؤمن المثابر؟

١٤- ما هو وصفك للصلاة الحارة؟

١٥- لماذا هناك أنواع بل ومستويات مختلفة للمكافآت في السماء؟

١٦- بعد أن درست المواضيع المختلفة في هذا الكتاب، في أي المجالات في علاقاتك مع الله تحتاج لمعونة الروح القدس ليدعم فيك "روح المثابرة"؟

الإصدارات السابقة

حياة دافِعُها الأبدية

"لتكن حياتك مؤثرة اليوم وإلى الأبد"

يتحدث إلينا "**جون بيفير**" ذلك المؤلف ذائع الصيت – عن المبادئ الملزمة الخاصة بكيفية الحياة بالرجاء والضمان الذي يساعدنا حتى الأبدية.
الحق يقال إن معظم الناس سوف يشعرون بالعوز إذا خططوا لمستقبلهم بنفس الإهمال الذي استعدوا به للأبدية. حتى إن المؤمنين غالبًا ما يهملون هذا العنصر الحيوي من الحياة المسيحية. فغالبًا لا ننشغل كثيرًا بما سوف يحدث فيما بعد نهاية يومنا.

فوق العادي

"اشبع رغبتك الفطرية في أن تتخطى ما هو عادي"

أليس صحيحًا أننا نتوق إلى أن نرى ونختبر ونفعل ما هو العادي؟ ومع هذا كثيرًا ما نرضى بالمستوى المتوسط، في حين أن العظمة في متناول أيدينا.

يكتشف لنا **جون بيفير**، صاحب أفضل المبيعات فى الكتب، كيف أننا جميعًا قد "خُلِقنا للمزيد". لقد خلقنا بصورة فوق العادة والمفترض بنا أن نعيش حياة غير عادية على الإطلاق. هذا الكتاب هو خارطة الطريق لرحلة تغييرك. لقد خلقت لحياة تفوق التعريفات المعتادة للنجاح أو الإشباع بكثير.

الإصدارات السابقة

الغطاء الإلهي

"الوعد بالحماية تحت السلطان الإلهي"

أن هذا الكتاب يكشف لك عن واحدة من أكثر خطط العدو خداعًا وخطورة والتي يستخدمها ضد المؤمنين: وهي عدم القدرة على تمييز السلطان الإلهي في من يعينهم الرب في مركز السلطة والقيادة. وبالتالي عدم التعامل معه بالشكل الصحيح. فهذا الكتاب يكشف لنا أن ملكوت الله هو بالحق "ملكة".. على رأسها الرب الملك ومن تحته من يعينهم الملك من قادة وسلطات. وعلينا نحن كأبناء المملكة أن نخضع للجميع.

إغلق باب إبليس

"كيف أن طاعتك للرب تحميك من سيطرة العدو"

إذا كنت ترى نفسك ضعيفًا أمام هجمات العدو وكثيرًا ما تقع تحت سيطرته، فربما يكون السبب هو أنك تركت بابًا مفتوحًا للعدو في حياتك.

لقد قال الرب علي لسان أشعياء النبى:

"سبى شعبى لعدم المعرفة" (أش ٥: ١٣).

لهذا فإن هذا الكتاب يعطيك المعرفة التي تحميك من الخداع والتى تكشف لك أن طاعة الرب هي المفتاح للتمتع بالحماية الالهية.

فخ إبليس

"هل وقعت فى الفخ؟"

هذا الكتاب يكشف عن واحد من أخطر فخاخ العدو وأكثرهم خداعًا وقدرة على إقتناصك خارج مشيئة الرب. إنه فخ العثرات – أى ما تتعرض له من إساءة ومضايقات وجروح. لقد قال يسوع: لا يمكن إلا أن تأتي العثرات. (لو ١٧: ١). ومع ذلك فإن معظم هؤلاء المأسورين فى هذا الفخ لا يدركون حقيقة حالتهم. لذا لا تنخدع فأنت حتما ستتعرض للعثرات والإساءات فى حياتك وأنت وحدك تستطيع أن تحدد كيف ستجعلها تؤثر على علاقتك بالرب.

لا تستسلم أبدًا!

القوة التي تحتاجها حتى لا تستسلم

الكتاب الذي بين يديك هو جزء من منهجٍ دراسيٍّ متكاملٍ عن **الثبات وعدم الاستسلام** يقدِّمه لك جون بيفير. **عندما تقرأ هذا الكتاب، وباستخدامك للوسائل المعاونة المتاحة لك في الأسطوانة المُدمَجة، ومن خلال شبكة الإنترنت، تستطيع أن تدرس كلَّ جزءٍ في هذه السلسلة من التعاليم المغيِّرة للحياة.** عندما ندرس هذه المجموعة الدراسية بصدق ـ بلا شك ـ سوف يتأثر سلوكنا المسيحي، وسوف نخدم اللّهَ بفاعلية أكثر.

يحتوي المنهج الدراسي على:

- كتاب "لا تستسلم أبدًا!"

هو هذا الكتاب الذي بين يديك، وهو الجزء الوحيد المطبوع في هذا المنهج. هذا الكتاب أيضًا متاح على أسطوانة مدمجة (على هيئة كتاب إلكتروني وأيضًا على هيئة PDF)

- الأسطوانة المدمجة لبرنامج "لا تستسلم أبدًا!"

الأسطوانة المدمجة تحتوي على أغلب مواد هذا المنهج.

- دليل الدراسة والعبادة لبرنامج "لا تستسلم أبدًا!"

ستجده على الأسطوانة المدمجة (على هيئة كتاب إلكتروني وأيضًا على هيئة PDF)

- الكتاب المسموع "لا تستسلم أبدًا!"

على MP3 تستطيع أن تستمع إلى كل فصول الكتاب باللغة العربية.

- الحلقات الدراسية المسجَّلة بالفيديو

سيكون متاحًا على الأسطوانة المدمجة بعض من هذه الحلقات، إلا أنك تستطيع تحميلها كاملةً من على الإنترنت مجانًا.

- الحلقات الدراسية المسموعة

ستجد كل الحلقات الاثنتي عشرة على MP3.

- كتاب "أنهِضي القوة التي بداخلكِ"

ستجد هذا الكتاب على الأسطوانة المدمجة (على هيئة كتاب إلكتروني وأيضًا على هيئة PDF).

لا تستسلم أبدًا!

القوة التي تحتاجها حتى لا تستسلم

بعض المعلومات الإضافية عن محتويات منهج "لا تستسلم أبدًا!"

ملفات MP3 المسموعة: تستطيع أن تحمِّلها على حاسبك الشخصي أو على تليفونك المحمول أو على أية وسيلةٍ إلكترونيةٍ تصلح.

ملفات PDF: تستطيع أن تحمِّلها على حاسبك الشخصي. من السهل أن تقرأها بل وأن تطبعها وتنسخها. كما يمكنك أن تأخذ منها أجزاءً وتطبعها في مكانٍ آخر.

كتاب إلكتروني: وهو نسخة إلكترونية من الكتاب المطبوع. يمكنك تحميله على حاسبك الشخصي أو تليفونك المحمول.

أسطوانة مدمجة: إذا لم تستطع لأي سببٍ أن تشغِّل الأسطوانة المدمجة، يمكنك تحميلها على حاسبك الشخصي وفتح كل ملفاتها. إن استمرت المشكلة، من الممكن أن تستعين بشخصٍ آخر لدية خبرة أكبر في الكمبيوتر، واطلب منه أن يساعدك في فتح هذه الملفات.

كل هذه المصادر هدية لك. لك مطلق الحرية في أن تنسخ الأسطوانة المدمجة، أو أن ترسلها لأصدقائك عبر البريد الإلكتروني، أو أن تطبع منها ما تشاء، أو أن تقدم هذه التعاليم لكنيستك، أو أن تحمِّلها من على الإنترنت وتستخدمها كما تشاء. وزِّع هذه المواد عندما تشعر أن هناك جوعًا للتعليم الصحيح إلى كلمة الله واحتياجًا للقوة في الحياة المسيحية.

www.MessengerInternational.org
www.CloudLibrary.org

هذه الأسطوانة المضغوطة هي هدية شخصية لك من جون بيفير. ستقدم لك وسيلةَ الوصول إلى بعض المصادر القوية التي تساعدك أكثر في دراسة هذا التعليم الحي ولكي تشارك به الآخرين. إننا نشجِّعك لكي توزِّع أو تنسخ أيَّ جزء من هذا المنهج. تستطيع أن ترسل ملفات هذه الدراسة عبر البريد الإلكتروني للآخرين. من الممكن أن تُحمِّلها من على شبكة الإنترنت وتطبعها. لقد أُنتِجَت لتُلهِم وتشجِّع المؤمنين في كلِّ مكانٍ.

هذا التعليم، بل وبقية التعاليم باللغة العربية، مُقدَّم لك من جون وليزا بيفير ومن الممكن أن تُحمِّلها من هذا الموقع

www.Messengerinternational.org

www.CloudLibrary.org

أيضًا تستطيع الحصول على مصادر أخرى بلغات كثيرة

للمشاهدة والتحميل من على: Youtube.com - Yuku.com

"اللهُ لا يخلق الضيقات، لكنه يستخدمها ليقوِّينا حتى نستطيع أن نمتلك أراضي جديدةً. هو لا يُدخِلنا إلى العاصفة إلا بعد أن يمنحنا القوةَ للتغلُّب عليها".

- جون بيفير، لا تستسلم أبدًا!

إنك تمتلك ما يجعلك تنهي السعيَ جيدًا!

لم تكن خطة الله للمؤمنين أن يعيشوا مجرد حياة عادية؛ لقد خُلقنا لنتغلَّب على الصعوبات ونختبر العظمة! هذا الكتاب، الذي حقَّق أعلى مبيعات بين الكتب التي ألفها جون بيفير، يعلن عن كيفية إنهاء السعي بنجاح. هذا الكتاب يقدِّم أكثرَ من استراتيجيةٍ للحياة؛ فهو يقدم لك أسلوبَ تفكيرٍ جديد يعلن فيه بحماس ما قاله الرسول بولس: «أفرح في الضيقات». عندما يتأصل هذا الحق الكتابي داخل حياتك سيؤهِّلك لتكون مزدهرًا في كل فصول حياتك.

اشترك في اختبار "لا تستسلم أبدًا!"

جون بيفير هو مؤلف لبعض الكتب الأكثر مبيعًا وهو متكلم معروف في المؤتمرات. لقد أسَّس هو وزوجته ليزا إرسالية جون بيفير في عام ١٩٩٠م. نمت هذه الإرسالية وانتشرت عالميًّا من خلال برنامجهم الأسبوعي في الفضائيات، The Messenger الذي يذاع في ٢١٤ دولة. ألَّف جون بيفير العديدَ من الكتب مثل
الغطاء الألهي ,Breaking Intimidation, The fear of the Lord

مرفق مع هذا الكتاب منهاج «لا تستسلم أبدًا!»

قم بتنزيل هذه النسخة وإصدارات أخرى من على
www.CloudLibrary.org
www.MessengerInternational.org

هذا الكتاب هدية من المؤلف وليس للبيع

تابع جون بيفير على فيس بوك و تويتر

Messenger International
MessengerInternational.org

Prepare The Way
Translators & Publishers

للمزيد، سكان الكود